

الفلك والدار
على المثل السائر
لابن أبي الحريّة
٥٨٦ - ٦٥٦ هـ

قلم له وعقده وعلوه عليه

الدكتور أحمد الحوفي و الدكتور بدوي طبانة

الطبعة الثانية

منشورات
دار الرفاعي بالرياض

mustafa kurmed
31-10-2010

الفلكُ الدائر
على المشل السائر
لابن أبي حمدي

أُمَمَاتُ الْكِتَابِ - ٢

الْفَلَكَ الدَّائِرُ
عَلَى الْمَثَلِ السَّائِرِ
لِلإِمَامِ الْحَدِيدِ
٥٨٦ - ٦٥٦ هـ

قَدَّمَ لَهُ ، وَحَقَّقَهُ ، وَوَلَّغَ عَلَيْهِ

الدُّكْتُورُ أَحْمَدُ الْحَوْفِيُّ وَ الدُّكْتُورُ بَدْوِيُّ طَبَّانَهُ

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ

مَنْشُورَات
دَارُ الرِّفَاعِ بِالرِّيَاضِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

منشورات

دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

ص.ب. ١٥٩٠ الرياض ١١٤٤١ ت ٤٧٧٢٦٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ النِّعْمَةُ، وَبِيَدِكَ الْخَيْرُ، وَإِلَيْكَ الْمَرْجِعُ وَالْمَآبِ. إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

ونسألك رَبَّنَا أَنْ تَبْلُغَ بِنَا مِنْ هَذَا الْحَمْدِ مَا بَلَّغْتَنَا مِنَ الْإِيمَانِ بِوَحْدَانِيَّتِكَ، وَالْإِقْرَارِ بِعِبَادِيَّتِنَا لَكَ، وَمَا أَوْلَيْتَنَا مِنْ نَعَمٍ، وَمَا شَرَحْتَ بِهِ صَدُورَنَا لَدِينِكَ، بِمَا أَرَيْتَنَا مِنْ حِكْمَتِكَ الْبَالِغَةِ، وَأَيَاتِكَ الْنَاطِقَةِ بِجَلَالِ ذَاتِكَ، وَوَاسِعِ قُدْرَتِكَ.

وَنُصَلِّيْ وَنُسَلِّمُ عَلَى نَبِيِّكَ الْمُصْطَفَى، وَرُسُولِكَ الْمُحْتَبَى، بِمَا هَدَيْتَنَا، وَكَمَا عَلَّمْتَنَا، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ آمَنُوا بِرِسَالَتِهِ، وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ، وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ.

وبعد، فهذه هي الطبعة الثانية مما خدمنا به كتاب «الفلك الدائر على المثل السائر» الذي ألفه الشيخ العلامة عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني المعروف بابن أبي الحديد، المتوفى سنة ٦٥٦هـ.

وقد حرصنا أن يصدر هذا الكتاب في هذه الطبعة مستقلاً عن كتاب «المثل السائر» بعد أن كان يشغل في نشرتنا الأولى جزءاً كبيراً من القسم الرابع من أقسام المثل السائر. وقد كانت غايتنا إذ ذاك أن نقدم للقارئ والدارس كتاب ابن الأثير مقترناً بأهم الآثار التي كتبت في نقده، حتى تكتمل الصورة بين يديه.

ولكننا رأينا في هذه المرة أن ينفرد كتاب «الفلك الدائر» بجزء خاص حتى لا تتوارى شخصية ابن أبي الحديد، ولا الدراسة النقدية التي بسطها في كتابه بين صفحات موسوعة ابن الأثير الأدبية والبلاغية والنقدية.

وعلى هذا الأساس من الرغبة في استقلال كل كتاب من الكتابين صدرت الطبعة الثانية من «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» في ثلاثة مجلدات، وصدرت هذه الطبعة الثانية من «الفلك الدائر على المثل السائر» في هذا المجلد.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نزجي الشكر خالصاً لصديقنا العلامة الكبير معالي الأستاذ عبد العزيز الرفاعي الذي عنيت داره المباركة «دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع» بالكتابين، وتقديمهما إلى جبهة الدارسين في هذه الحلة القشبية.

كما لا يفوتني أن أذكر بالخير الجُهد الذي بذله معي أخي وزميلي المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد الحوفي في خدمة تراثنا العلمي الخالد، بتحقيق هذين الأثرين النفيسين.. رحمه الله رحمة واسعة، وأكرم مثواه في دار البقاء.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات..

الدكتور بدوي طبانه
أستاذ النقد الأدبي بالدراسات العليا
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

وكتب في الرياض ظهر يوم الاثنين
١٠ من صفر سنة ١٤٠٤هـ
١٤ من نوفمبر سنة ١٩٨٣م

الفلك الدائر

على المثل السائر

- ١ -

ألف ابن أبي الحديد هذا الكتاب ليرد به على كتاب ابن الأثير (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لأنه وجد فيه — كما قال في المقدمة — المحمود والمردود .

أما المحمود فإنشاء ابن الأثير وصناعته ، إلا في الأقل النادر .

وأما المردود فنظره وجدله واحتجاجه واعتراضه وتحامله على الفضلاء ، وإفراطه في الإعجاب بنفسه ، والتقريظ لعلمه وصناعته .

كذلك قصد من تأليفه إلى أن يبين لمن راقهم كتاب المثل السائر من أكابر أهل الموصل وبغداد ما في الكتاب من وجوه النقص وألوان المآخذ ، وأن يُعَلِّمَ ابن الأثير ورؤساء بلده أن في خلد المستنصر من يفوقه علماً وافتناناً .

وكان كتاب المثل السائر قد وصل إليه في غرة ذي الحجة سنة ٦٣٣ هـ فتصفحه ، وعلق عليه في خمسة عشر يوماً كما ذكر في المقدمة ، ولم يعاود النظر فيه مرة ثانية .

ولما ألفه كتب إليه أخوه موفق الدين هذين البيتين :

المثل السائر ياسيدي صَنَقْتَ فِيهِ الْفَلَكَ الدَّائِرَا

لكن هذا فلكٌ دائِرٌ أَصْبَحَتْ فِيهِ الْمَثَلُ السَّائِرَا

وقد قدم كتابه إلى خزانة كتب الخليفة المستنصر بالله ^(١) .

(١) أبو جعفر المنصور المستنصر بالله بن الظاهر : بويغ بالخلافة يوم وفاة والده في ١٤ من رجب سنة ٦٢٣ (١١ يوليو سنة ١٢٢٦) واستمر في الخلافة إلى أن توفي في ١٠ من جمادى الآخرة سنة ٦٤٠ وله آثار جليلة في بغداد منها المدرسة المستنصرية ، وكان شهياً جواداً عادلاً .

أما تسمية الكتاب فقد أراد بها — كما ذكر في المقدمة — نقض كتاب المثل وإبطاله ومحوه ، لأنهم يقولون لما باد ودثر قد دار عليه الفلك ، كأنهم يريدون أنه قد طحنه ومحاه .

— ٢ —

رأينا أن نخرج هذا الكتاب ، لأنه وثيق الصلة بكتاب المثل السائر الذي عُنينا بتحقيقه ونشره ، وهو في جملته تعليق عليه ، ونقد له ، وتوسعة لجمال الدراسات البلاغية والنقدية .

والنسخة التي اعتمدنا عليها مطبوعة على الحجر سنة ١٣٠٩ هـ على نفقة الميرزا محمد الشيرازي ، الملقَّب بملك الكتاب ، وتقع في ١٨٤ صفحة من القطع المتوسط .

وطبعتها رديئة جداً ، تنوء بالتحريف والأغلاط ، وليس بها ترتيب ما ، وكل ما بها من شعر مدمج بالنثر إدماجاً .

وكثيراً ما يكتفي المؤلف بالإشارات إلى بعض النصوص ، وكثيراً ما يذكر النص مبتوراً ، سواء أكان آية قرآنية ، أم بيت شعر ، أم مثلاً ، وكثيراً يورد النصوص غير منسوبة إلى قائلها ، وفي بعض الأحيان ينسبها إلى غير قائلها .

فاجتهدنا في معالجة هذا كله .

صححنا النصوص المحتاجة إلى تصحيح ، وأكملنا ما يحتاج إلى إكمال ، ونسبنا النصوص المجهولة إلى قائلها ما استطعنا ، وصوبنا نسبة بعضها إلى أصحابها ، ورجعنا كل نص إلى مصدره الذي أخذ منه ، أو الذي صححناه منه .

وراجعنا ما نقله من (المثل السائر) فقرة فقرة ، سواء أكان النقل كاملاً أم ملخصاً ، ونبهنا على ذلك .

وعرفنا بكثير من الأعلام والأحداث التي ذكرها في كتابه .

وشرحنا ما يحتاج من نثر المؤلف إلى شرح .

يتبين من دراسة (الفلك الدائر) أن ابن أبي الحديد كان معجباً بنثر ابن الأثير ، وبراعته في حل المنظوم ، والاقتباس من القرآن الكريم . والحديث النبوي ، ويغلب على نقده الموضوعية .

ونستطيع أن نقسم نقده ثلاثة أقسام :

١ — بعضه حق : مثله قوله :

(١) قال المصنف — ابن الأثير — : « ولا أدعي فيما ألفته فضيلة الإحسان ، ولا السلامة من سبق اللسان » . ثم قال بعد سطر واحد : « وإذا تركت الهوى قلت إن هذا الكتب بديع في إغرابه ، وليس له صاحب من الكتب فيقال إنه متفرد من بين أصحابه » .

وعلق ابن أبي الحديد بقوله : وهل يدعي أحد فضيلة الإحسان بأبلغ من هذا الكلام ؟ وقد قال قبل هذا التواضع بثلاثة أسطر : « إن الله هداني لابتداع أشياء لم تكن من قبلي مبتدعة . ومنحني درجة الاجتهاد التي لا تكون أقوالها تابعة ، وإنما تكون متباعدة » .

فمن يزعم أن الله هداه في هذا الفن إلى ابتداع أشياء لم يسبق بها ، ورزقه فيها درجة الاجتهاد التي يتبعها الناس كيف يقول : لا أدعي فيما ألفته فضيلة إلا وبلغتها ؟

(ب) وكان ابن الأثير قد نبه الكتّاب على أن يعلموا فيما يعلمون

ما يتصل بالنحو والصرف واللغة وقال : « وأما الإدغام فلا حاجة إليه لكاتب لكن الشاعر ربما احتاج إليه ، لأنه قد يضطر في بعض الأحوال إلى إدغام حرف ، وإلى فك إدغام من أجل إقامة الميزان الشعري » . ثم قال بعد ذلك : « وإنما قصدنا أن يكون الكتاب الذي يكتب في هذا المعنى مشتملاً على الترهيب والمساحة في موضع والمحاقة في موضع » .

وتألف ابن أبي الحديد كلمة (المحاققة) فعلق عليها بقوله : قد ظهرت فائدة علم الإدغام في باب الكتابة ، فإن الكاتب أراد أن يوازن لفظة المساحة بلفظة المحاققة ، وسها عن أن المحاققة بفك الإدغام غير جائزة .

(ج) قال ابن الأثير : « وقد مدح أبو الطيب كافوراً بقوله :
فما لك تُعَنِّي بالأسِنَّة والقَنَا وَجَدُّكَ طَعَّانٌ بغير سِنَان ؟
وما لك تختار القِيسِيَّ وإنمسا عن السعد بِرُمِي دونك المَلُوكَان ؟
وهذا يحتمل المدح والذم ، بل هو بالذم أشبه ، لأنه يقول إنك لم تبلغ ما بلغته بسعيلك واهتمامك ، بل بجِد وسعادة ، وهذا لا فضل فيه ، لأن السعادة ينالها الخامل والجاهل ومن لا يستحقها . وأكثر ما كان المتنبي يستعمل هذا الفن في القصائد الكافوريات » .

وعلق ابن أبي الحديد على هذا تعليقاً يدل على ذوقه الصائب ، واطلاعه الواسع ، وتحرره مما تناقله الناس ، فقال : إن الناس وقع لهم واقع ظريف مع المتنبي في هذا الباب ، وكان أصله الشيخ أبو الفتح عثمان بن جني رحمه الله . وزعم بعضهم أن المتنبي كان يبعض كافوراً ويَحْنَقُ عليه ، فكان يقصد ذلك ، ويعتمده بالشعر المَوْجَّه الذي يحتمل المدح والذم .

ومنهم من زعم أن كافوراً كان يتفطن لذلك ويغضي عنه ، وينقلون
هذا عن المتنبي .

وما كان ذلك قطُّ ، ولا وقع شيء منه ، ولا قصد أبو الطيب نحو
ذلك أصلاً .

ثم ضرب أمثلة من مدح المتنبي لسيف الدولة : فيها مدح بالجدِّ وحسن
الخط : كقوله :

ولقد رُمّت بالسعادة بعضاً من نفوس العدا فأدركت كلاً
وقوله :

إذا سعت الأعداء في كيِّد تجديده سعى جدُّه في كيدهم سعي مُحسِّن
وقوله :

لو لم تكن تجري على أسيافهم مَهْجَاتُهُمْ لِحَرَّتْ على إقباله
وقوله :

هم يَطْلُبُونَ فَمَنْ أَدْرَكُوا وهم يكذبون فمن يَمْقَبَلُ
وهم يتمنون ما يشتهون ومِنْ دونه جَدُّكَ المَقْبَل

وضرب أمثلة أخرى من شعر المتنبي فيها إشارة بالخط المواتي والسعد
المسعف ، ثم قال : ولكن سيف الدولة لما اشتهر بإخلاص أبي الطيب له عدل
الناس عن هذا الشعر الذي يتضمن ذكر الجدِّ والخط فلم يذكره ، ولم
يجعلوه متوسطاً بين المدح والذم ، وقالوا ذلك في كافور لما حدث تغييره مع
أبي الطيب ، وانحراف كل منهما عن صاحبه ، ومجاهرة أبي الطيب له بالهجاء
بعد أن فارقه . ثم زاد الفكرة تأكيداً بأمثلة من شعراء آخرين .

(د) قال ابن الأثير في تفسير بيت أبي صخر الهذلي :

عجبتُ لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سَكَنَ الدهر
« إنه يحتمل وجهين من التأويل : أحدهما أنه أراد بسعي الدهر سرعة
تقضي الأوقات مدة الوصال . فلما انقضى الوصل عاد الدهر إلى حاله
الأول في السكون والبطء .

والآخر أنه أراد بسعي الدهر سعي أهل الدهر بالنمائم والوشايات ،
فلما انقضى ما كان بينهما من الوصل سكنوا وتركوا السَّعَاة » .

فعلق ابن أبي الحديد بقوله : التفسير الثاني هو الصحيح ، والأول غير
صحيح ، واللفظ لا يحتمله ، وفي البيت ما يمنع منه ، لأنه قال (بيني وبينها)
وهذه اللفظة تمنع من أن يريد سرعة تقضي الزمان أيام وصالنا ، فإنها قرينة
تحمل لفظ السعي على العناية والنميمة بالشر ، لا على السعي بمعنى الحركة
والسير .

ألا تراهم يقولون : سعى فلان بين فلان وفلان بالشر ، أي ضرب
بينهم . وحمل بعضهم على بعض ، ولا يقولون : سعى بينهم من السعي بمعنى
الحركة والسير ؟

وليس هذا مقصود البيت . ولو أراد السعي بمعنى سرعة مرور الزمان
لقال : عجبت لسعي الدهر أيام وصالنا . أو ما يشبه ذلك .

وفساد المعنى الأول ظاهر عند من له أدنى نقد للمعاني الشعرية .

(هـ) قال ابن الأثير : « الأسماء المترادفة هي التي يتحد فيها المسمّى ،
وتختلف أسماءه . كالخمر والراح والمدام » .

وعلق ابن أبي الحديد بقوله : هذا من أمثال الغلطات التي نبه عليها

المنطقيون، فقالوا: قد يُظَنُّ في كثير من الأسماء أنها مترادفة ، وهي في الحقيقة متباينة ، كالسيف والصارم والمُهَنَّد ، فكل واحد من هذه مباین للآخر ، فالأسماء الموضوعه لها متباينة في الحقيقة ، وإن ظنَّ في الظاهر أنها مترادفة .

وكذلك ما مثَّل به هذا المصنف ، فإن الخمر اسم موضوع لهذا الشراب المخصوص ، والراح اسم لما تروح النفس إليه ، والمدام اسم لما يُدَامُ استعماله ، فالمعاني متباينة لا محالة ، وإن تُوهَّم في الظاهر أنها مترادفة .

(و) قال ابن الأثير في بيان المشترك اللفظي : « إن مقصود واضع اللغة البيان والتجنيس ، والبيان يحصل بالألفاظ المتباينة الكافية في الإفهام ، وأما التجنيس فإنه عمدة الفصاحة والبلاغة ، ولا يقوم به الأسماء المشتركة » .

ورد ابن أبي الحديد بأن عدم الاشتراك اللفظي لا يذهب التجنيس ، فإن التجنيس يحدث بين لفظتين متشابهتين في حروفها الأصلية ، كقول أبي تمام :

* متى أنت عن ذُهْلِيَّةٍ الحِمِّيِّ ذاهِلٌ ؟ *

وأكثر التجنيس في الشعر والرسائل مثل هذا ، ولا يستعمل التجنيس بالمشترك إلا نادراً .

وردَ أيضاً بأن عدم التجنيس لا يذهب حسن الكلام ، وضرب أمثلة بأدب عبد الحميد وابن المقفع ومن قبلهما ومن بعدهما من الفصحاء ، وقال :

فهل ترى لأحد منهم تجنيساً في كلامه إلا أن يقع اتفاقاً غير مقصود ؟

٢ - وبعضه مجانبٌ للحق ، إذ كان الصواب فيما قاله ابن الأثير .

من ذلك أن ابن الأثير ذهب إلى أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تقتصر إلى آلات كثيرة ، وثقافة متنوعة ، وقد قيل : ينبغي للكاتب

أن يتعلق بكل علم ، ويخوض في كل فن ، ومِلاك هذا كله الطبع ، فإنه إذا لم يكن ثمَّ طبعٌ فإنه لا تغني تلك الآلات شيئاً ...

وعلق ابن أبي الحديد على هذا بأنه من دعاوي الكتّاب وتزويقاتهم ، ولا يُعوّل عليه محصل ، لأنّ الفنون التي يذكرها الكتاب ، ويزعمون أن الكتابة مفتقرة إليها ، إن أرادوا بها ضرورتها لها فهذا باطل ، لأنّ سحبان وائل وقس بن ساعدة وغيرهما من خطباء العرب ما كانت تعرفها ، كذلك من كان في أول الإسلام من الخطباء ك معاوية وزيايد وغيرهما .

وإن أرادوا أنها متممة ومكملة فهذا حق ، لكن عدمها لا يقتضي سلب اسم الكتابة ، مع أن ما يحتاج إليه الكاتب يحتاج إليه الشاعر وزيادة .

ويبدو من تعليقه هذا أنه غفل عما تنبه إليه ابن الأثير من ضرورة الثقافة للكاتب .

ولم يكن موفقاً في تمثيله بقسّ وسحبان ومعاوية وزيايد ، لأن هؤلاء خطباء ، ولم يعرض ابن الأثير لثقافة الخطباء ، بل عرض لثقافة الكتاب والشعراء .

والذي يقرأ ما كتبه ابن الأثير في هذا الفصل يجده قد أشرك الشعراء مع الكتاب في ألوان الثقافة ، واختص الشعراء بنوع منها هو علم العروض والقواني الذي يقام به ميزان الشعر .

فلا محل إذاً لاعتراض ابن أبي الحديد بقوله : مع أن ما يحتاج إليه الكاتب يحتاج إليه الشاعر وزيادة .

٣ - وبعضه يبدو منه أن ابن أبي الحديد يتحامل أحياناً ، ويقسو على

ابن الأثير ، وإن كانت السمة الغالبة على كتابه أنه نقد موضوعي مدعوم بالبراهين .

من ذلك قوله : إن هذا الموضع من المواضع التي اشتبهت على هذا الرجل .

وقوله : وهذا من الغلط على ما تراه .

وقوله : إن كان هذا الرجل ممن ينفي القياس في الشرعيات ككَلَمَنَاهُ كلاماً أصولياً ، كما نكلم الشيعة والنظام وأهل الظاهر وغيرهم ممن نفي القياس في الفقه .

وإن كان يعترف بالقياس في الشرعيات فالقياس في النحويات كالقياس في الشرعيات .

وإذا كان ابن أبي الحديد قد أخذ على ابن الأثير إعجابه بفنه وإشادته بكتابه ، فإن ابن أبي الحديد قد تورط في مثل هذا .

من ذلك قوله :

وقد كنتُ شرعتُ في حلِّ سينيّات المتنبّي ، وأن أجعل ذلك كتاباً مُفَرِّداً ، وأنا أوردُها هنا بعض ذلك ، ليكون معارضاً لما جاء به هذا الرجل .

ومن ذلك أنه أورد مثلاً من نثره في حل بيتي المتنبّي :

بناها فأعلى والقنا يقرّعُ القنا وموجُ المنايا حوله متلاطمُ
وكان بها مثلُ الجنون فأصبحتُ ومن جُثثِ القتلى عليها تمامُ
وأورد مثالين لابن الأثير في حل البيتين .

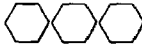
ثم قال : ومن عنده أدنى ذوق في فن الكتابة يعرف الفرق بين كلامنا
وهذا الكلام .

ثم قال : والزيادات العجيبة ، والتسميطات والأسجاع التي أتينا بها
ترري على ما أتى به هذا الكاتب ، وتجاوزه أضعافاً مضاعفة .

ومن هذا ما ذكره في المقدمة من الزهو بعلماء بغداد والفخار بأدبائها ،
وتفضيلهم على من سواهم تفضيلاً مبالغاً فيه ، وهو يريد نفسه ، وإن كان
قد حاول أن يستل نفسه ممن أشاد بهم .

* * *

وفيما يلي نماذج من الأصل الذي اعتمدنا عليه في تحقيق (الفلك الدائر)
وهذه النماذج من نسخة أستاذنا الكبير الشيخ أحمد عمر السكندري ، وقد
استعزناها من مكتبة صديقنا الأستاذ محمد أحمد برائق ، تغمدهما الله بواسع
رحمته ، وأسكنهما فسيح جنانه .



بسم الله الرحمن الرحيم

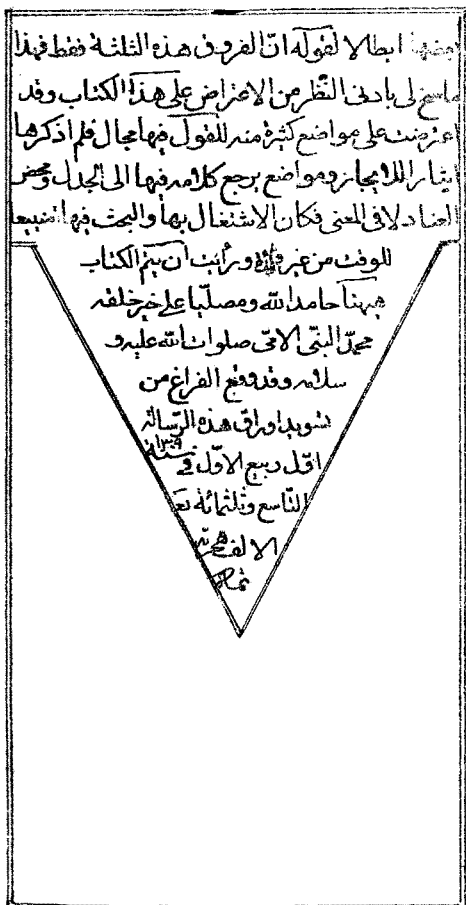
الحمد لله الذي فاوت بين عقول البشر واخطاهم كما فاء وسبنا عارا
وارزاهم فكان من خبايا الميرة ولطائف حكته وفقد برونه
ارضى كل منهم بعقله وخلفه لا بعمره ووزنه فليس نرى منهم الا
الراضية بعقله ورايه المحب بما رشح من انائه الحامد لتجني الزاري
على الناكين عن طريقته فصد بقوله تعالى فل كل عمل شاكلة
وقل ان يجد منهم القانع بدنياه الراضع عن وقته بما قسم له واعطاه
فلا ترى الا فاقا او ساقطا او عاصدا او قابضا بهم الكدح والنصب
الجهد والطلب فصد بقوله لو كان لا يرادهم وادبان من فصب
عليه على سبيل ما يجد من حمار المؤيد بروع قدس والفسوس من
الخطا في القول وليس والكم ان من جملة الذين المالكات عجب المرء
ان يروى الرادى الى الذين منهم من هو رضى وعنده وجبة
ان يروى في كتابه فبطل الذين هذا الموصلى الى امره فبطل الذين

الجبرية المتعدي كتاب السائر في ادب الكاتب الشاعر فوجدت فيه
 المحمود والمفنون والمزكورة والمركوبون اما المحمود منه فاشاء وصناعته
 فانه لا بأس بذلك الا في الاقل التاخر اما المردود فيه فمظهره وجله
 واجتهاده واعراضه فانه لم يأت في ذلك في الاكثر الا عليه بل يفتق
 اليه ولما يعتمد عليه فمخالف على نفعه ومناقض في هذه المواضع
 النظرية امور منها ان دأبه على الفضل وعقده منهم وعيبه لهم و
 طعنه عليهم فاق في ذلك ما يدعو الى الغيرة عليهم والانتصار
 لهم ومنها افراطه في الإعجاب بنفسه والتمجيد بابه والنفي بغيره
 وصناعته وهذا عيب قبيح يحبط الانسان والاجتهاد ويوجب الغضب
 من الله والعباد ومنها انه قد اوى مراراً في كتابه الى عتابه هرهه ان
 لم يعطه على قدر استحقاقه فاردنا ان نعرفه ان الارزاق ليست على
 مقدار الاستحقاق وان الرزق مقسوم لا يعطيه الفضل ولا يرد النقص
 ومنها ان جماعة من اكابر الموصلي قد حسن ظنهم في هذا الكتاب جداً
 ونسبوا له حتى ضلوه على اكثر الكتب المصنفة في هذا الفن واولوا
 منه نخاعاً معدودة الى مدينة السلام واشاعوه ونادوا له كثير من أهلها
 فاعرضت عليه بهذا الكتاب ونفرت به الى الخزانة الشريفة المقدسة
 النبوية الامامية المستنصرية في عمر الله تعالى بعانها اندية الفضل و
 ربيعة واطال بطول بقاء ما الكهايد العلم وبيعة وجعل ملكاً له الشا
 انصافاً واتباعاً كما جعل ملوك الارض اعوانه واتباعاً وكان اكثر
 فحسب في ذلك ان يعلم مصنف هذا الكتاب ودور ما عليه ان
 من اسلم على هذه الدنيا الشريفة ولا يفتخر في غير الله عز وجل ولا

اي الارزاق
 فان الارزاق
 من العباد
 وانما العباد
 في الخلق

والتبارك فكفى ابا اسحق في الفرق بينه ما هذا القدم فقط فان
 ذلك من ادل دليل على ان الشعر في الاصل موضوع لهذا المعنى
 والاخذة والطلب لذلك لم يخرج احدهما للآخر وجعل منه
 الرسايل بخلاف ذلك قال المصنف هذه الفرق كلها ضعيفة
 الذي عندي ان الفرق بين النوعين من ثلثة اوجه احدهما
 ان هذا منظوم وذلك منثور والآخران من الالفاظ الفاظ
 لا يحسن استعمالها في الكتابة وبهجن في الشعر لبعض الالفاظ الغريبة
 والثالث ان الشاعر اذا اطال في شرح معان متعددة واجاب
 ان بالحيثاني بيتا واكثر فانه لا يجتهد في الجميع بل في الاول
 والكتاب لا ياتي من ذلك جميعه اقول قد بينا ان ابا اسحق
 لم يتعرض لبيان الفرق بين الكتابة والشعر من حيث هما كتاب
 وشعر وانما تكلم في العلة التي كانت لاجلها مرتبة الكتاب
 اعلى من مرتبة الشاعر فاما الفرق بين الكتابة والشعر فهو
 كثره وليس مقصوره على هذه الوجوه الثلاثة التي قد
 ذكرها هذا الرجل فان من جملة الفرق في ان للشاعر ان يطرد
 نفسه ويهيجها في شعره وليس ذلك للكتاب ومنها ان
 الشاعر نبالغ ويوغل حتى يدخل في الاحالة وليس ذلك
 للكتاب ومنها ان الشعر يحسن فيه الكذب ولا يحسن في
 الكتابة ومنها ان الشاعر مخاطب الملك بالكاف كما مخاطب
 الموفى ويدعوه باسمه وينسب اليه وليس ذلك
 للكتاب والفرق بين الشعر والكتابة كثره وانما بينهما

في هذا البيت من الرسايل المذكورة والكثير هو الذي في ذلك



ابن أبي الحديد^(١)

٥٨٦ - ٦٥٦ هـ

حياته :

هو عزّ الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين ابن أبي الحديد ، المدائني ، المعتزلي ، الشيعي ، الفقيه ، الشاعر .

ولد في غرة ذي الحجة سنة ٥٨٦ هـ وكان من أعيان العلماء الأفاضل ، بارعاً في علم الكلام على مذهب المعتزلة ، أديباً جيد الذر والشعر .

اشتغل زمناً في الدواوين السلطانية ، وأدرك إغارة المغول على بغداد ، ولما هجم عليها هولاكو في ٢٠ من المحرم سنة ٦٥٦ هـ وأسرف في التخريب والتقتيل كان ابن أبي الحديد وأخوه موفق الدين أحمد بن أبي الحديد من الذين نجوا من القتل في دار الوزير مؤيد الدين محمود بن العلقمسي^(١) . وقابل خواجه نصير الدين الطوسي ، فوكل الإشراف على خزائن الكتب ببغداد إليه وإلى أخيه موفق الدين والشيخ تاج الدين علي بن أنجب .

ولكن أيامه لم تطل ، فقد توفي في جمادى الآخرة سنة ٦٥٦ هـ .

مؤلفاته :

أما مؤلفاته فإنها كثيرة ، تدل على كلفه بالثقافة الشرعية والأدبية ، وقد سلم بعضها من عادية الدهر ، وطبع .

(١) اعتمدنا في التعريف به على فوات الوفيات لابن شاکر ٦/١ وعلى ما نقل في نهاية شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة من (معجز الآداب في معجم الألقاب) لأحمد محمد بن أبي المعالي الشيباني القوطي . وعلى محاضرات الخفري في تاريخ الدولة العباسية .

١ — شرح نهج البلاغة :

ألفه نخزاة كتب الوزير مؤيد الدين محمود بن العلقمي . وهو شرح مفصل لخطب ورسائل الإمام عليّ ، يحتوي على مسائل كثيرة لم يحتو عليها كتاب من جنسه .

ولما فرغ من تأليفه بعثه إلى الوزير مع أخيه مؤيد الدين أبي المعالي ، فأرسل إليه الوزير مائة دينار ، وحلة سنية ، وفرساً .
وقد طبع هذا الشرح .

٢ — العبقريّ الحسان .

وهو كتاب فريد الوضع ، اختار فيه نصوصاً شتى من علم الكلام والتاريخ والشعر ، وأودعه قطعاً من إنشائه وترسلاته ومنظوماته ، وقد ذكره في كتابه الفلك الدائر .

٣ — الاعتبار على كتاب «الذريعة في أصول الشريعة» للسيد المرتضى ، في ثلاثة مجلدات .

٤ — شرح المحصل للإمام فخر الدين :

وهو نقص لكتاب « المحصل » وردود عليه .

٥ — نقص المحصول في علم الأصول :

وهو رد آخر على الإمام فخر الدين .

(١) كان وزيراً للمستعصم بالله ، وكان من كبار رجال الشيعة . وكانت الفتن كثيرة بين أهل السنة والشيعة ، وكان يسوؤه أن الشيعة مضطهدون من أهل السنة ، وأن البيت العباسي يعاضد أهل السنة . فيقال إن الوزير كاتب هولاء ، وحرشه على فتح بغداد ، وهو يريد إسقاط الخلافة العباسية . وأكثرنا مؤرخين يدل على هذه الخائنة ، وبعضهم يبرئه منها .

- ٦ - شرح «مشكلات الغرر» لأبي الحسن البصري في أصول الكلام .
- ٧ - شرح «الباقوتة» لابن نوبخت في علم الكلام أيضاً .
- ٨ - الوشاح الذهبي في العلم الأدبي .
- ٩ - انتقاد «المُصَفَّى» للغزالي ، في أصول الفقه .
- ١٠ - الحواشي على كتاب «المفصل» في النحو .
- ١١ - الفلك الدائر على المثل السائر .

شعره :

له شعر كثير ، أجلكه وأكثره شهرة القصائد السبع العَلَقَمِيَّات ، نظمها في صباه بالمدائن سنة ٦١١ هـ في الإشادة بعلي بن أبي طالب . ويروى أنه نظم فصيح ثعلب في يوم وليلة .

١ - من شعره ما كتب به إلى الوزير ابن العَلَقَمِي لما بعث إليه مكافأة على تأليف شرح نهج البلاغة :

أَيَا رَبَّ الْعِبَاد رَفَعْتَ صُنْعِي وَطُلْتَ بِمَنْكَبِي وَبَلَلْتَ رِيقِي
وَزَيَّنْتَ الْأَشْعَرِيَّ^(١) كَشَفْتَ عَنِّي فَلَمْ أَسْلُكْ ثَنِيَّاتِ الطَّرِيقِ^(٢)

(١) الأشعري هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، ينتسب إلى أبي موسى الأشعري ، كان معتزلياً أولاً ، ثم خرج على مذهب المعتزلة وحارهم بمثل سلاحهم ، وأخذ من مذهبهم بعض الآراء ، ومن مذهب خصومهم بعضها ، وكون لنفسه مذهباً مختاراً حاول فيه أن يوفق بين المعقول والمنقول ، وهو أميل إلى مذهب أهل السنة ، يثبت الصفات لله تعالى من علم وقدر وإرادة ، وهي صفات أزلية قائمة بذاته تعالى . ويقول بإمكان رؤية الخالق سبحانه وتعالى في الآخرة ، لكن يستحيل أن تكون الرؤية على جهة ومكان وصورة ومقابلة .

ومذهبه في الوعد والوعيد للمعتزلة مخالف من كل وجه .
ولكن بعض العلماء الكبار من أهل السنة لم يوافقوه على آرائه كلها ، ورأوا أن بعضها مشوب بآراء المعتزلة .

(الملل والنحل ١/ ٨٥) .

(٢) ثنيت الطرق : الطرق الملتوية المعوجة .

أحب الاعتزال وناصريه ذوي الأسباب والنظر الدقيق
فأهل العدل والتوحيد أهلي نَعَمْ ففريقهم أبداً فريقي
وشرح النهج لم أدركه إلا بعونك بعد مجاهدة وضيق
تَمَثَّلَ إذ بدأت به لعيني هناك كذروا الطَّوْدَ السَّحِيقَ
قَمَّ بحسن عونك وهو أنأى من العيوق^(١) أو بيض الأنوق^(٢)
بال العلقَمِيَّ ورت زنادي وقامت بين أهل الفضل سُوقي
فكم ثوب أنيس نلت منهم ونلتُ بهم ، وكم طِرفٍ عتيق^(٣)
أدام الله دولتهم وأنحى على أعدائهم بالخنفِقيق^(٤)

٢ — ومن شعره قوله في مناجاة الله، وبيان مذهبه في الاعتزال :

وحقك لو أدخلتني النار قلتُ للـ سذنين بها قد كنت ممن يُحبُّهُ
وأفيتُ عمري في دقيق علومه وما بغبي إلا رضاه وقُرْبُهُ
هبوني مسيئاً أَوْضَعَ العلمُ جهله وأربعةٌ دون البرية ذنبه^(٥)
أما يفتتضي شرعُ التكرم عَفْوَهُ أَيْحَسُنُ أن يُنسَى هواه وحبُّهُ ؟
أما ردَّ زَيْغِ ابنِ الخطيب وشكُّهُ وتموئهم في الدين إذ عَزَّ حَظُّهُ ؟
أما كان يتوي الحق فيما يقوله أَلَمْ تَنْصُرِ التوحيدَ والعَدْلَ كُتْبُهُ ؟
وغايةُ صِدْقِ العبد أن يَعْدُبَ الأَمَى إذا كان من يَهْوَى عليه بَصْبُهُ

(١) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف الحجر الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها .

(٢) بيض الأنوق : الأنوق : على وزن صبور العقاب والرحمة ، وهو أعز من بيض الأنوق لأنها تحمزه فلا يكاد يظفر به أحد ؛ لأن أوكارها في القلل الصعبة .

(٣) الطرف : الفرس الأصيل الكريم .

(٤) الخنفِقيق : السريمة جداً من النوق والغزلان وحكاية جري الخيل ، وهو مشى فيه اضطراب ، والمراد الداعية .

(٥) أَوْضَعَ العلمُ جهله : لزمه ، من أَوْضَعَتِ الإبل إذا رعت الحمض حول الماء ولم تبحره .

فرد عليه الشيخ صلاح الدين الصفدي بقوله :

علمنا بهذا القول أنك آخذٌ
فترعمُ أن الله في الحشر ما يرى
وتسفي صفات الله وهي قديمة
وتعتقد القرآن خلقاً ومحدثاً
وتثبت للعبد الضعيف مشيئة
وأشياء من هذي الفضائح جمّة
ومن ذا الذي أضحى قريباً إلى الهدى
وما ضرَّ فخر الدين قولُ نظمته

يقول اعتزال جبلّ في الدين خطبه ؟
وذاك اعتقادٌ سوف يُردّيك غيبه
وقد أثبتتها عن إهلك كتبه
وذلك داء عزّ في الناس طيبه
يكون بها مالم يُقدّره ربّه
فأيكم داعي الضلال وحزبه ؟
وجاء عن الدين الحنيفي ذبّه
وفيه شناعٌ مُفْرِطٌ إذُ تسبّه

٣ — ومن شعره قوله :

لولا ثلاث لم أخفُ صرعتي
ليست كما قال فتى العبد^(١)

(١) يريد طريقة بن العبد حيث قال :

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتي
فهن سبقي العاذلات بشرية
وكري إذا نادى المضاف محنيا
وتقصير يوم الدين والدين معجب

وجدك لم أحفل متى قام عودي
كيت متى ما تعمل بالماء تزيد
كسيد الغضا نهته المتشورد
بهكنة تحت الطراف المعمد

(من معلقة طريقة بن العبد)

عودي : من يحضره عند موته وينوح عليه .

الكيت : من الخمر التي تصرب إلى السواد . متى ما تعل بالماء : أي تخرج به .

كري : عطش . المضاف : الذي نزلت به الهموم : المحبب : فرس في وظيفه احدياب .

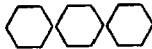
ليس بالاوجاج الشديد وهذا يدل على القوة . سيد : ذئب . الغضا : شجر ، وذئابه

أخبت الذئاب . المتشورد : الذي يطلب أن يرد الماء .

الدين : المطر الغزير وإلباس الغيم الأرض . بهكنة : المرأة المتلثة أو الخفيفة الروح

الملبسة الطيبة الرائحة . معجب : يعجب من رآه . الطراف المعمد : الخباء ذو الأعمدة من آدم .

أن أنصُر التوحيد والعدلَ في كل مكان باذلاً جهندي
وأن أناجي الله مستمتعاً بخَلْوة أحل من الشَّهِدِ
وأن أتبعه الدهر كِبَراً على كل لثيم أضعر الخلد
لذلك لا أهوى فتاة ولا خمرأ ولا ذا مِئعة نَهْدِ



الفلك الدائر
على المثل السائر
لابن أبي أحمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي فَاتَوَتْ بَيْنَ عُقُولِ الْبَشَرِ وَأَخْلَاقِهِمْ . كما فَاتَوَتْ
بَيْنَ أَعْمَارِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ ، فكان من خَفَايَا تَدْبِيرِهِ ، ولَطَائِفِ حِكْمَتِهِ
وَتَقْدِيرِهِ ، أنْ أَرْضَى كَلَاءَ مِنْهُمْ بِعَقْلِهِ وَخُلُقِهِ ، لَا بِعُمُرِهِ وَرِزْقِهِ ،
فَلَسْتُ تَرَى مِنْهُمْ إِلَّا الرَّاظِيَّ بِعَقْلِهِ وَآرَائِهِ ، الْمُعْجَبَ بِمَا يَرْتَشِعُ مِنْ إِنْائِهِ ،
الْحَامِدَ لِسَجِيَّتِهِ ، الزَّارِيَّ عَلَى النَّاكِبِينَ عَنْ طَرِيقَتِهِ ، تَصْدِيقاً لِقَوْلِهِ تَعَالَى :
« قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ »^(١) .

وَقُلْ . أنْ تَجِدَ مِنْهُمْ الْقَانِعَ بِدُنْيَاهِ ، الرَّاظِيَّ عَنْ وَقْتِهِ بِمَا قَسَمَ لَهُ
[الله]^(٢) وَأَعْطَاهُ .

فَلَا تَرَى إِلَّا قَانِطاً أَوْ سَاخِطاً أَوْ حَاسِداً أَوْ غَابِطاً ، دَأْبُهُمُ الْكَدْحُ
وَالنَّصَبُ ، وَالْجِدُّ وَالطَّلَبُ ، تَصْدِيقاً لِقَوْلِهِ [صلى الله عليه وسلم] ^(٣) :
« لَوْ كَانَ لابْنُ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ ذَهَبٍ [لَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَالِثٌ] »^(٤) .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْمُؤَيَّدِ بِرُوحِ قُدْسِهِ ، وَالْمَعْصُومِ
مِنَ الْخَطَا فِي الْقَوْلِ وَلَبْسِهِ ، وَالْحَاكِمِ بِأَنْ مِنْ جُمْلَةِ الثَّلَاثِ الْمَهْلِكَاتِ
عُجِبَ الْمَرءُ بِنَفْسِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَحْبَابِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ [مِنْ] ^(٥)
نَوْعِهِ وَجِنْسِهِ .

(١) سورة الإسراء : الآية ٨٤ .

(٢) ما بين القوسين زيادة يقتضها السياق .

(٣) ما بين القوسين زيادة يقتضها السياق .

(٤) ما بين القوسين زيادة يتم بها الحديث .

(٥) ما بين قوسين زيادة يقتضها السياق .

وبعد . فقد وَقَفْتُ على كتاب نَضِيرِ الدِّينِ بن محمد المَوْصِلِيِّ المعروف بابن أَثِيرِ الجَزِيرَةِ : المسمَّى « كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » فوجدت فيه المَحْمُودَ . والمَقْبُولَ . والمَرْدُودَ . والمَرْدُودَ .

أما المحمودُ منه فإنشاؤه وصناعتهُ ، فإنه لا يَأْسَ بذلك إلا في الأقلِّ النَّادِرِ . وأما المردود فيه فنظرة وجدلُه واحتجاجُه واعتراضُه ، فإنه لم يَأْتِ في ذلك في الأكثر الأغلب بما يُلْتَفَتُ إليه مما يُعْتَمَدُ عليه .

فحداني على تَتَبُّعِهِ ومُنَاقَضَتِهِ في هذه المواضع النظرية أمور ، منها إزراؤه على الفضلاء ، وغلظهُ منهم ، وعيبهُ لهم ، وطعنهُ عليهم ، فإن في ذلك ما يَدْعُو إلى الغيرةِ عليهم ، والانتصارِ لهم .

ومنها إفراطه في الإعجاب بنفسه ، والتَّجَحُّجُ برأيه ، والتَّقْرِيطُ لمعرفته وصناعته ، وهذا عيبٌ قبيحٌ يُحْبِطُ عَمَلَ الإنسان والاجتهاد ، ويوجبُ المَقْتَ من الله والعباد .

ومنها أنه قد أَوْثَمَ مِراراً في كتابه إلى عِتَابِ دَهْرِهِ ، إذ لم يُعْطِهِ على قَدَرِ استحقاقه ، فأردنا أن نُعَرِّفَهُ أن الأرزاق ليست على مقادير الاستحقاق ، وأن الرزقَ مَقْسُومٌ لا يَجْلُبُهُ الفضلُ ، ولا يَرُدُّهُ النقصُ .

ومنها أن جماعةً من أكابر المَوْصِلِ قد حَسَنَ ظَنَّهُمْ في هذا الكتاب جيداً ، وتعصبوا له ، حتى فَضَلُوهُ على أكثرِ الكُتُبِ المصنَّفة في هذا الفن ، وأَوْصَلُوا منه نُسخاً معدودةً إلى مدينةِ السَّلامِ^(١) وأشاعوه ، وتداوله كثيرٌ من أهلها .

(١) مدينة السلام : بغداد .

فَاعْتَرَضْتُ عَلَيْهِ بِهَذَا الْكِتَابِ ، وَتَقَرَّرْتُ بِهِ إِلَى الْخِزَانَةِ الشَّرِيفَةِ
الْمُقَدَّسَةِ النَّبَوِيَّةِ الْإِمَامِيَّةِ الْمُسْتَنْصِرِيَّةِ ، عَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِمَارَتِهَا
أَنْدِيَةَ الْقَضَلِ وَرِبَاعَهُ ، وَأَطَالَ بَطُولَ بَقَاءِ مَالِكِهَا يَدَ الْعِلْمِ وَبِاعَهُ ،
وَجَعَلَ مَلَائِكَةَ السَّمَاءِ أَنْصَارَهُ وَأَشْيَاعَهُ ، كَمَا جَعَلَ مَلُوكَ الْأَرْضِ
أَعْوَانَهُ وَاتِّبَاعَهُ .

وَكَانَ أَكْثَرُ قَصْدِي فِي ذَلِكَ أَنْ يَعْلَمَ مُصَنِّفُ هَذَا الْكِتَابِ وَرُؤَسَاءُ
بَلَدَتِهِ أَنْ مِّنْ أَصَاغِيرِ خَوَلِ^(١) هَذِهِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ - فَالْعُجْبُ
مُبِيرٌ ، وَلَا أَنْبِيءَ عَنِّي فِيمِثْلِي كَثِيرٌ - مِّنْ إِذَا أَلْغَزَ أَدْرَى ، وَإِذَا ضَرَبَ
أَفْرَى^(٢) وَإِذَا رَشَقَ أَصْمَى^(٣) ، وَإِذَا نَكَأَ^(٤) أَدْمَى ، وَأَنَّ دَارَ
السَّلَامِ ، وَحَضْرَةَ الْإِمَامِ مَاخَلَّتْ كَمَا تَزْعُمُ الْمَوَاصِلَةُ مِمَّنْ إِذَا سُوْبِقَ
خَلَّتْ ، وَإِذَا بُوْسِرَ^(٥) فَسَازَ بِالْقِدْحِ الْمُعَلَّى^(٦) ، وَإِذَا خَطَبَ خَضَعَتْ
لِبِرَاعَتِهِ الْمَنَاصِلُ^(٧) ، وَإِذَا كَتَبَ سَجَدَتْ لِبِسْرَاعَتِهِ الذَّوَابِلُ ، وَإِذَا
شَاءَ عَلَّمَ النَّاسَ السَّحْرَ ، وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِيَابِلَ ، وَأَنَّ فِي
الْأَعْفَالِ الْمَغْمُورِينَ مِّنْ رَّعَايَاهَا مَنْ لَوْ هَدَرَ^(٨) لَقَرَّتْ لَهُ الشَّقَاشِقُ^(٩) ،

(١) الخول : الخدم والعبيد والإماء وغيرهم من الحاشية ، للواحد والجميع والمذكر والمؤنث

(٢) فرى وأفرى : شق .

(٣) أصمى الصيد : رماه فقتله مكانه .

(٤) نكأ القرحة على وزن منع : قشرها قبل أن تبرأ فندبت . ونكى الأعداء نكابة : جرحهم

(٥) بسر : من معانيها قهر وابتدأ الشيء ، ويظهر أن المؤلف صاغ من الفعل باسر

بمعنى غالب وسابق ، ثم بناء للمجهول .

(٦) القدح المعل : أحدقداح الميسر عند العرب في الجاهلية ، وهي عيدان تتخذ من النبع

وهو شجرمتين لين تصنع منه القسي والسهام ، والقداح الراجعة سبعة وغير الراجعة ثلاثة ، والمعل

أكثر الراجعة حظاً لأن له سبعة أنصبه .

(٧) المناصل : جمع متصل وهو السيف .

(٨) هدر البير هدرا وهديراً : صوت في غير شقيقة .

(٩) الشقاشق جمع شقيقة بالكسر : شيء كالرئة يخرج البير من فيه إذا هاج .

ولو نَطَقَ لَتَجَلَّتْ بِشَمُوسِهِ الْمَهَارِقُ^(١) ، ولو جَرَّدَ حُسَامَ قَلَمِهِ
لَقَالَ الْمَلِكُ لِلسَّيْفِ : اغْرُبْ فَأَنْتَ طَالِقٌ ، فكَيْفَ بِسَدَنَةِ^(٢) كَعْبَتِهَا
وَالْحَافِّينَ بِشَرِيفِ سُدَنَتِهَا^(٣) ، فحُولُ الْبَلَاغَةِ الَّذِينَ إِذَا رَكَضَ
أَحَدُهُمْ فِي حَلَبَةِ الْبَيَانِ أَخْجَلَ الْبُرُوقَ ، وَسَخَّرَ بِالرِّيَّاحِ ، وَإِذَا
ضَرَبَ الْأَعْدَاءَ بِصَارِمِ اللِّسَانِ قَلَدَ السَّلْوُوقِيِّ الْمُضَاعَفِ ، حَتَّى تُوقِدَ
نَارُ الْخَبَابِيبِ فِي الصَّمَّاحِ^(٤) .

وهذا الكتاب وَقَعَ إِلَيَّ فِي غُرَّةِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ
وَسِتِّمِائَةَ ، فَتَصَفَّحْتُهُ ، أَوَّلًا أَوَّلًا فِي ضِمْنِ الْأَشْغَالِ الدِّيَوَانِيَّةِ الَّتِي
أَنَا بِصَدْدِهَا ، وَعَلَّقْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ فِي أَثْنَاءِ تَصَفُّحِهِ عَلَى الْمَوَاضِعِ
الْمُسْتَدْرَكَةِ فِيهِ إِلَى نِصْفِ الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ ، فَكَانَ مُجْمُوعُ مَطَالَعَتِي لَهُ
واعتبراضي عَلَيْهِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَلَمْ أَعَاوِدِ النَّظَرَ فِيهِ دَفْعَةً
ثَانِيَةً ، وَرُبَّمَا يَسْتَحِلُّ عِنْدَ الْمَعَاوِدَةِ نُكْتُ أُخْرَى ، وَإِنْ وَقَعَ ذَلِكَ
أَلْحَقْتُهَا .

وَقَدْ سَمَّيْتُ هَذَا الْكِتَابَ (الْفَلَكَ الدَّائِرَ عَلَى الْمَثَلِ السَّائِرِ) لِأَنَّهُ
شَاعَ مِنْ كَلَامِهِمْ ، وَكَثُرَ فِي اسْتِعْمَالِهِمْ أَنْ يَقُولُوا لِمَا بَادَوْدَتَّرَ « قَدْ دَارَ
عَلَيْهِ الْفَلَكَ » كَأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَنَّهُ قَدْ طَحَنَهُ وَمَحَا صُورَتَهُ . مِنْ ذَلِكَ
قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ :

(١) المهاريق : جمع مهريق وهي الصحيفة .

(٢) السدنة : جمع سادن وهو خادم الكعبة ، أو خادم بيت الصنم .

(٣) السدة : باب الدار .

(٤) من قول النابغة في مدح الفساسة ووصف سيوفهم :

تقد السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباب

السلوقي : الدروع المنسوبة إلى سلوق ، عل وزن صبور ، بلدة باليمن تنسب إليها الدروع
والكلاب . الصفاح : حجارة عراض رقاق . الحباب : ذباب يطير بالليل له شعاع كالسراج ،
ومنه نار الحباب . أو نار الحباب ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة ،
وقيل كان أبو حباب رجلا لا يوقد ناره إلا بالحطب الشخت لئلا ترى ، وقيل إنها من الحبيبة
وهي الشررة تسقط من الزناد .

إن كنت تَشُدُّهُمْ فإنهم هَمْدُوا ودار عليه الفلك^(١)
وأنا أسأل الله المعونة والتوفيق ، وأَسْتَمْنِحُهُ الهداية إلى سواء الطريق
بمَنِّهِ وكرمه .

— ١ —

قال المصنّف : « نَسألُ الله أنْ يبلِّغَ بنا من الحمدِ ما هو أهْلُهُ^(٢) » .
أقول : إنه أول ما تكلّمَ سألَ أمرأ يستحيل عقلاً ، لأنه تعالى لا نهاية
لما هو أهْلُهُ من المحامدِ ، سواء جعلَ الحمدَ بمعنى المدح أو أخصَّ .
أما الأولُ فلأن جلالتهُ تعالى وعظمتَهُ وصِفَةَ كمالِهِ لا تَقِفُ
عند غَايَةٍ ، ولا تَنْقَطِعُ عند حَدٍّ ، وأما الثاني فلأن نِعَمَهُ لا نهاية لها
بتعريضه إيانا للثوابِ والتَّعْجِيزِ الذي لا نهايةَ له ، فإذا هو سبحانه أهلُّ
للحمد الذي لا نهايةَ له على كلا التفسيرين ، ويستحيل أن يبلغ بنا إلى
ذلك ، لأن القوَّةَ المتناهيةَ لا تقوَّى على أمورٍ غيرِ مُتَنَاهِيَةٍ .

وليس لظنَّ أن يظنَّ أنَّ هذا القولَ يَجْري جَرَى قَوْلِ الناسِ :
« الحمد لله كما هو أهْلُهُ » فإن ذلك كلامٌ مُجْمَلٌ ، لا يتضمن سؤالاً ،
ولا يقتضي دعاءه تعالى أن يجعلَنا حامدينَ حمداً لا بدايةَ له ولا نهايةَ .

— ٢ —

قال المصنّف : « وأنْ يَعْلَمَنا من البَيَّانِ ما تَقْصُرُ عَنْهُ مَزِيَّةُ
النُّطْقِ وَفَضْلُهُ »^(٣) .

(١) ليس البيت بديوانه .

(٢) نص عبارة ابن الأثير في أول المقدمة : « نَسألُ الله ربنا أن يبلغ بنا من الحمد ما هو
أهْلُهُ » ٤٥/١ .

(٣) عبارة ابن الأثير : « وأنْ يَعْلَمَنا من البَيَّانِ ما تَقْصُرُ عَنْهُ مَزِيَّةُ الْفَضْلِ وَأَصْلُهُ » ٤٥/١ .

(الفلك الدائر — م ٣)

أقول : هذا أيضاً سؤالٌ أمرٌ مستحيل ، لأن النطق هو كمال الصَّوْرةِ الإنسانيةِ إنْ أَخِذَ على تفسيرِ التَّعليمِ الطَّبِيعِيِّ ، والفَصْلُ المميِّزُ إنْ أَخِذَ على تفسيرِ التَّعليمِ المنطِيقِيِّ . وعلى كلا التفسيرين فيه يكون الإنسانُ إنساناً ، فيستحيل أنْ يَفْضُلَهُ البَيَانُ في مَرْتَبَةٍ وَفَضِيلَةٍ ، لأن الفرعَ لا يَفْضُلُ الأَصْلَ الذي لولاه لما كان .

واعلمَ أن هذين الاعتراضين قد يَعْتَذِرُ المصنَّفُ عنهما بأنه إنما قال ذلك على سبيل المبالغة ، ويسمى غُلُوءاً ، وهو مُسْتَهْجَنٌ في الكِتَابَةِ ، وأحدُ عُيوبها القَبِيحَةِ ، وإنما يَسْأَلُكَ الشعراءُ ، وأما الكاتبُ ففي سَعَةِ عنه ، ومَذْهَبُ الكِتَابَةِ غَيْرُ مَذْهَبِ الشَّعْرِ .

قال المصنف : «وَأَنْ يُوَفَّقَنَا لِلصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ الَّذِي هُوَ أَفْصَحُ مِنْ نَطْقِ الْبَاطِلِ ، وَنَسَخَ بِهِدِيهِ شَرِيعَةَ كُلِّ هَادٍ» (١) .

أقول : في هذا الكلام عيبٌ ظاهرٌ ، وذلك أنه عَطَفَ المِعْلَ وهو «نسخ» على الاسم وهو «أفصح» وهذا قبيح . ألا ترى أنه يَقْبَحُ أَنْ يُقَالَ : زيدٌ أَفْصَحُ القومِ ، وَضَرَبَ زيدٌ . والوجه أن يقال : الذي هو أفصح من نطقِ الباطل ، والمنسوخ بهداه شريعة كلِّ هادٍ .

قال المصنف : «وَلَا أَدْعِي فِيهَا أَلْفُسُهُ فَضِيلَةَ الْإِحْسَانِ ، وَلَا السَّلَامَةَ مِنْ سَبَقِ اللِّسَانِ» . ثم قال بعد سطر واحد : «وَإِذَا تَرَكْتُ الْهَوَى قُلْتُ

(١) عبارة ابن الأثير : « وَأَنْ يُوَفَّقَنَا لِلصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الَّذِي هُوَ أَفْصَحُ مِنْ نَطْقِ الْبَاطِلِ . وَنَسَخَ هِدْيَةَ شَرِيعَةِ كُلِّ هَادٍ » ٤٥/١ .

إن هذا الكتاب بديع في إعرابه ، وليس له صاحب من الكتب . فيقال : إنه مُتَّفَرِّدٌ من بين أصحابه .^(١)

أقول : وهل يدعي أحدُ فضيلة الإحسان بأبلغ من هذا الكلام ؟ وقد قال قبل هذا التواضع بثلاثة أسطر : « إن الله هداني لأبتدع أشياء لم تكن من قبلي مُبْتَدَعَةً ، ومنحني درجة الاجتهاد التي لا تكون أقوالها تابعة وإنما تكون مُتَّبَعَةً »^(٢) . فمن يزعم أن الله هداه في هذا الفن إلى ابتداع أشياء لم يُسَبِّقُ بها ، ورزقته فيها بلوغَ درجة الاجتهاد التي يتبعها الناس ، ولا تكون تابعة لأحد منهم ، كيف يقول لا أدعي فيها ألفتَهُ فضيلةً إلا وبلغتُها ؟ .

- ٥ -

قال المصنف : « موضوع الحساب هو الأعداد من جهة ما يعرض لها من الضرب والقسمة ونحوهما ، وموضوع الطب بدن الإنسان من جهة ما يصح ويمرض ، وموضوع النحو هو اللفظ من جهة الدلالة على المعنى من طريق الوضع اللغوي : وموضوع علم البيان هو اللفظ والمعنى من جهة الحسن والقبح .

ثم قال : صاحب هذا العلم هو والنحوي يشتركان في النظر في دلالة الألفاظ على المعنى من جهة الوضع اللغوي ، وتلك دلالة عامة ، وصاحب علم البيان يتنظر في فضيلة تلك الدلالة . وهي دلالة خاصة »^(٣) .

(١) عبارة ابن الأثير : « فيقال إنه متفرد بين أصحابه من إخوانه أو من أترابه » ٤٧/١ .

(٢) المقدمة ٤٧/١

(٣) قال ابن الأثير : « وعلى هذا فموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة ، وصاحبه يسأل عن أحوالها اللفظية والمعنوية ، وهو والنحوي يشتركان في أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي ، وتلك دلالة عامة ، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة ، وهي دلالة خاصة ، والمراد بها أن تكون على هيئة مخصوصة من الحسن ، وذلك أمر وراء النحو والإعراب . ألا ترى أن النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ، ويعلم مواقع إعرابه ، ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة ٥١/١ » .

أقول : أما موضوعُ علم النحو فغيرُ ما ذكر ، بل الذي ذكر موضوع علم اللغة ، لأن اللغوي هو الذي يَنْتَظِرُ في الألفاظ من حيث كانت دلالَةُ بالوضع اللغوي على المعاني . وأما موضوعُ علم النحو فهو الألفاظ من جهة تغييرات تلحق أو أخيرها أو تَلَحِّقُهَا أَنْفُسُهَا على قول مَنْ جعل التصريف جزءاً من النحو . ولم يجعله علماً مفرداً .

قال المصنف : « وقد غَلِطَ مُفَسِّرُو الأشعار في اقتصارهم على شرح المعنى ، وما في الشعر من الكلمات اللغوية ، وتَبَيَّنَ مواضع الإعراب فيه دُونَ ما تَضَمَّنَتْهُ مِنْ أسرار البلاغة والفصاحة » .

أقول : إن مُفَسِّرِي الأشعار جعلوا قِصْدَهُمْ وكَدَّهُمْ كَشْفَ مُرَادِ الشاعر لِيُعْلَمَ ، فَفَسَّرُوا الألفاظَ اللغوية وما في الشعر من إعرابٍ نَحْوِيٍّ يتعلقُ فهمُ المعنى به ، وتارة يشرحون المعنى فقط . إذا لم يَكُنْ في البيت ألفاظٌ لغوية ، ولا يَرْتَبِطُ المعنى بإعرابه ، كأنهم إنما وَضَعُوا الشُّرُوحَ المصنَّعةَ لتفسير مُرَادِ الشاعر فَقَطْ ، فكلُّ ما يذكرونه من زيادة على ذلك مقصودةٌ بالعَرَضِ لا بالذَّاتِ ، وإذا كانت الحال هكذا لم يَجْزُ أَنْ يُقَالَ إنهم غَلِطُوا لإخلالهم بنَقْدِ الشعر والكلام على ما فيه من عِلْمِ الصناعة الشعرية . والبَحْثُ عن فصاحته وبلاغته ؛ لأن ذلك قِسْنٌ مُفَرَّدٌ لم يَضَعُوا شُرُوحَهُمْ له ، وكذلك لم يتكلموا في العَرُوضِ والقَوافي ودقائق التصريف . فإن قلت : قد تكلم كثيرٌ مِنْ شارحي الأشعار في العَرُوضِ والقَوافي ودَقَائِقِ التصريف أيضاً ، قلتُ : وقد تكلم كثيرٌ من شارحي الأشعار في نَقْدِها ، وبحثوا عن فصاحتها وبلاغتها وما تَحْتَمِلُهُمَا من أسرار ذلك . ثم يقال له : إن جُمُهورَ مُفَسِّرِي القرآن اقتصروا على شرح المعاني

واللغة والإعراب ، وأسباب النزول ، وما يتضمنه الكتاب العزيز من الفقه والأصول ونحوها ، ولم يذكروا في تفاسيرهم نقد ما فيه من البلاغة والفصاحة وأسرارها ، فإن ارتكبت من ذلك قياسك ، وغلطت المفسرين كنت مغلطاً لأكابر الصحابة ، كعلي بن أبي طالب عليه السلام ، وعبد الله ابن عباس ، وهما اللذان أخذ علم التفسير كله عنهما ، ويكفيك ذلك قبحاً وشناعة ، وإن لم تغلط المفسرين ، فقد انتقص ما قلته من شرح الأشعار .

قال المصنف : « وصناعة تأليف الكلام من المثور والمنظوم تفتقر إلى آلات كثيرة . وقد قيل : إن كل ذي علم يسوع له أن ينسب نفسه إليه ، فيقال : فلان الكاتب لما يفتقر إليه من الخوض في كل فن »^(١) . أقول : هذا الكلام من أبهات^(٢) الكتاب وتزويقاتهم ، ولا يعول عليه محصل ، وهذه الفنون التي يذكرها الكتاب ، ويزعمون أن الكتابة مفتقرة إليها ، إن أرادوا بها ضرورتها لها فهذا باطل ، لأن سحبان^(٣) وقسا^(٤) وغيرهما من خطباء العرب ما كانت تعرفهما ، وكذلك من

(١) ملخص من كلام ابن الأثير ٥٥/١ .

(٢) الأبهات : جمع أهبة على وزن سكرة ، وهي العظمة والكبر .

(٣) سحبان وائل خطيب فصيح يضرب به المثل في البيان والفصاحة ، خطب أمام معاوية فلم يشعر شاعر ولم يخطف خطيب ، لأنهم بهروا بفصاحته (البيان والتبيين ٦/١ ، ٤٨ ، ٣٤٨) .
(٤) قس بن ساعدة الإيادي خطيب جاهلي من قبيلة إياد ، كان يخطف الناس ويعظهم في سوق عكاظ ، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : رأيته بالسوق على جمل أحمر وهو يقول : أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت (البيان والتبيين ٣٠٨/١) .

وقال الجاحظ : ولإياد مزية ليست لأحد من العرب ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي روى كلام قس بن ساعدة وموقفه على جملة بعكاظ وموعظته ، وهذا إسناد تعجز عنه الأماني ، وتنقطع دونه الآمال (البيان والتبيين ٥٢/١) .

كان في أوّل الإسلام من الخطباء كعازية^(١) وزيد^(٢) وغيرهما .
وإن أرادوا أنها مُتَمِّمَةٌ ومُكَمِّلَةٌ فهذا حقّ ، ولكن عَدَمَها
لا يقتضي سَلْبَ اسم الكِتَابَةِ . مع أن كل ما يحتاج إليه الكاتب يَحْتَاجُ إليه
الشاعر وزيادة .

قال المصنف : « ومن أقسام الفاعِلِ والمفعول مالا يُفْهَمُ إلا بعلامة ،
كتقديم المفعول على الفاعل ، فإنه إذا لم يكن ثَمَّ علامةٌ تَبَيَّنُ أحدهما عن
الآخر ، وإلاَّ لأشْكَلَ الأمرُ ، كقولك « ضرب زيد عمرو » بالوقف عليهما
ويكون زيد هو المضروب ، فإنك إذا لم تَنْصِبْ زيدا وترفع عمرا لم يُفْهَمَ
ماذا أردت . ومن هذا قوله تعالى : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ »^(٣) .

أقول : إن هذه الآية لا مَدْخَلَ لها في هذا الموضع ، لأننا لو وَقَفْنَا على
الفاعل والمفعول منها لم يَحْصُلِ الالتباس ، لَعَلِمْنَا أن الله لا يَخْشَى أحداً
من العلماء ولا مِنْ غيرهم ، فالآية تَدُلُّ بنفسها لا بعلاقة لفظية على أنه
تعالى مفعولٌ ، وأن العلماء فاعل ، بخلاف ما إذا وقفنا على زيد ومحمد في
قولنا ضرب زيد محمداً ، فقد بان أن تمثيلة بهذه الآية مُضَاهِيَةً بِضَرْبِ زيد
محمد غير صحيح ، وأن أَحَدَ المِثَالَيْنِ لا يُشَابِهُ الآخر .

قال المصنف : « وكل خُفَاسِيٌّ يُحَدَفُ منه في التصغير حَرَفٌ » ،

(١) معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية سنة ٤١هـ وكان من دهاة العرب وفصحائهم .
(٢) زيد بن أبيه أحد ولاية معاوية وخطباء العرب المشهورين وساستهم . ألحقه معاوية
بنسب أبي سفيان سنة ٤٤هـ فكان عضده القوي وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق ، ولم يزل
والياً حتى توفي .

(٣) المثل السائر ١/٥٩ ، والآية من سورة فاطر ٢٨ .

سواء كان في الكلمة حرف زائد أو لم يكن ، مثال الزائد : «منطلق» تصغيره «مُطَلِق» ، فإن كان في الكلمة حرفان زائدان استُبْقِيَتِ الميم لأنها زيدت لمعنى ، وأسْقِطَتِ النون لأنها زيدت لغير معنى ، ومثال الأصول جَحْمَرٍ ش تصغيره جَحْمِيرٌ^(١) .

أقول : هذه القضية على إطلاقها غير صحيحة ، فإنهم قالوا في تصغير حمراء ونحوها حُمَيْراء ، وهي خماسية ، ولم يسقطوا شيئاً ، وكذلك لفظة أجمال^(٢) صغروها فقالوا أجمال ، فهذه الخماسيات ما أسقطوا منها شيئاً ، ولا تصرفوا فيها بشيء سوى ياء التصغير فقط ، ومن الخماسيات ما تصرفوا فيه نوع تصرف ، ولم يسقطوا منه شيئاً ، نحو ميزان فإنهم قالوا مؤيزين ، فأبدلوا ولم يسقطوا ، وبالحملة فقوله : كل خماسي لا بد أن يسقط بعض حروفه قول غير صحيح .

قال المصنف : « وقد غلط أبو نواس فيما لا يغلط فيه مثله » حيث قال :

كأن صغرى وكبرى من فواقعهما حصباء در على أرض من الذهب^(٣)
فإن فعلتى أفعل لا يجوز حذف اللام منها إلا إذا أضيفت ، وإنما يُحذفان من فعلتى التي لا أفعل لها ، نحو حبلى^(٤) .

(١) المثل السائر ٦٣/١

(٢) أجمال : جمع جبل .

(٣) ديوان أبي نواس ٢٤٣ وأكثر الرواة على أنها (فقاغمها) وهى التفاحات التى تعلقو الماء أو الخمر .

(٤) المثل السائر ٦٦/١ .

أقول : إننا لا ننكر أن كثيراً من أئمة العربية طعنَ في هذا البيت ، لكن كثيراً منهم انتصروا له ، وقالوا وَجَدْنَا فَعَلْتَنِي أَفْعَلُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ واردةٌ بغير لام ولا مضافة ، مثل دُنْيَا في قول الراجز .
* في سَعْيِي دُنْيَا طَالَ مَا قَدْتُ مُدَّتْ *

وقول الآخر * لَا تَبْتَخَلَّنْ بَدْنِيَا وَهِيَ مُقْبِلَةٌ * .

ومثلها أُخْرِي ، وقد جاء جُلِّي في قوله :

وإن دعوتِ إِلَى جُلِّي ومكرمة (١)

وقالوا : طُوبَى لَكَ .

وفي البيت وجه ، وهو أن يُجْعَلَ « مِنْ » في قوله من فواقعها زائدة على مذهب أبي الحسن ، زيادة مِنْ في الواجب ، فإنه يذهب إلى ذلك (٢) .

ويحتاج بقوله تعالى : « فِيهَا مِنْ بَرْدٍ » أي فيها برد ، وعلى هذا يكون فَعَلْتَنِي من البيت مضافة ، وقد وَقَعَ الاتفاقُ على جوازه .

(١) تكله البيت : يوما مرارة كرام الناس فادعينا .

من قصيدة لبعض بني قيس بن ثعلبة ، ويقال إنها لبشامة بن جزء (حزن) النهشل ، مطالعها :

إنا محمولك يا سلسي فحيينسا وإن سقيت كرام الناس فاسقينا

(شرح الحماسة للمرزوقي ١٠٠/١) .

(٢) أبو الحسن الأخفش ، يرى هو والكسائي وهشام زيادة (من) بلا شرط مستدلين

بقوله تعالى : « وَيَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ » لأن (من) في حيز الإيجاب وهي زائدة داخلية على المعرفة ، قالوا : ولو لم نقل بزيادتها في الآية لزم التناقض بينها وبين قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا » ، وأجيب بأن قوله تعالى : « يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ » خطاب لقوم نوح ، وقوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا » خطاب لأمة محمد عليه الصلاة والسلام . على أنه لو كان الخطاب لأمة واحدة لم يلزم التناقض بين الآيتين ، لأن غفران بعض الذنوب لا يناقض غفران كلها ، بل عدم غفران بعضها يناقض غفران كلها .

والصحيح أن (من) في الآية تبعيضية ، أي يغفر لكم شيئاً من ذنوبكم كما قال سيبويه .

والجمهور يشترط لزيادة (من) ثلاثة شروط :

أحدها أن تكون مسوقة بنفي نحو « ما جاءنا من بشير ولا نذير » أو نهي بلا نحو « لا يلتفت منكم من أحد » أو استفهام بها خاصة .

قال المصنف : « وقد غلط أبو تمام في قوله :
 بالقائم الثامن المستخلفِ اطَّأَدَتْ قواعدُ الملوك ممتداً لها الطول^(١) »
 والصواب اتَّطَدَتْ بالتاء ، لأن التاء تبدل من الواو في موضعين :
 أحدهما : مقيسٌ عليه كهذا الموضع ، لأنك إذا بَنَيْتَ افْتَعَلَ من
 الوَعْدِ قلت اتَّعَدَ ، وهنا يجب أن يكون اتَّطَدَ لأنه من وَطَدَ يَطِدُ ،
 مثل وَعَدَ يَعِدُ . »

أقول : قرأت بخط أبي زكريا رحمه الله : قال العلماء : اشتقاق
 اطَّأَدَتْ من الطَّوْد ، وهو الجبل بُنِيَ على افْتَعَلَتْ من ذلك ، فقيل
 اطَّأَدَتْ ليناً غير مهموز ، لأن تاء الافتعال إذا كان بعدها تاء قُلِبَتْ ألفاً ،
 ثم هَمَزَها في الشعر للضرورة .

قال المصنف : « وقد لَحَنَ أبو نُوَاسٍ في أمرٍ ظاهرٍ ، فقال لحمد
 الأمين^(٢) :

يا خَيْرَ مَنْ كَانَ وَمَنْ يَكُونُ إِلَّا النَّبِيُّ الطَّاهِرُ الْمَيِّمُونَ^(٣)

= مثل قوله تعالى : « هل من خالق غير الله يرزقكم » وبعضهم الحق الممزة بـهـل في هذا الباب .
 الثاني : أن يكون مجرورها نكرة كما تقدم .
 الثالث : أن يكون مجرورها المنكر فاعلاً أو مبتدأ أو اسماً فكان أو مفعولاً به . وبعض
 الكوفيين أجازوا زيادتها بشرط تنكير مجرورها فقط .
 ونقل السعد عن القوم أن (من) لا تزداد في الإثبات إلا في تمييزكم الخبرية إذا فصل منها
 بفعل متعمد كقوله تعالى : « كم تركوا من جنات وعيون » .
 (١) تصويب البيت من المثل السائر ٦٧/١ .
 الديوان ١٦٧ .

(٢) في الأصل « محمد ابن الأمين » والصواب ما ذكرناه .
 (٣) ديوان أبي نواس ٣٣٧ ومنه أكلنا الشعر الثاني ومصحته .

فَرَفَعَ بَعْدَ الْإِسْتِثْنَاءِ مِنَ الْمَوْجِبِ .
 أقول : إن أبا نواس يستعمل في شعره مذهب الكوفيين كثيراً ، وهذا
 من جملة مذاهبهم ، وقد قال :
 لمن طلل عاني المحلل دفين (عفا عهده إلا خوالد جُونُ) ^(١)
 فابتدأ بقوله خوالد جُونُ : وحذف الخبر وتقديره فإن الأمين
 لا يفضلُه . على أن من الناس مَنْ رواه « إلا النبي الطاهر الميمون »
 فنصب اللفظتين الأوليتين على الاستثناء من الموجب ونعته . ورفع
 الميمون على حذف المبتدأ ، تقديره : هو الميمون ، ويجوز في الوصف إذا
 كرر أن يتبع وأن يستأنف .

قال المصنف : « وقد خفي على أبي الطيب المتنبي أمرٌ ظاهر ، فقال
 بِصَفِّ نَاقَةٍ :
 وتكرّمت رُكباتُها عن مَبْرَكٍ تقعان فيه وليس مسكاً أذُ قَرَا
 فجمع في حال التثنية فقال رُكباتُها عن مَبْرَكٍ تقعان فيه ، وليس
 للناقة إلا رُكبتان » ^(٢) .
 أقول : إن هذا من اتساع العرب ومذاهبها غميرٌ بعيد : كقولهم : امرأة
 ذات أوراك ، وهما وركان ، وقال الشاعر :
 ولا زهْلَ لِبَاتِهِ وبَدَلُهُ ^(٣) وقد جاء مثله في حكم داود وسليمان في

(١) من أبيات له في مدح الأمين ، منها :

ولي عهد ما له قرين ولا له شبه ولا خدين
 استغفر الله بلى هارون يا خير من كان ومن يكون

إلا النبي الطاهر الميمون ذلت له الدنيا وعز الدين
 (٢) التصويب من ديوان المتنبي ٣٦٨/١ ومن المثل السائر ٦٩/١ .

(٣) هذا هو الشطر الثاني من البيت :

فَيَ قَدْ قَدْ السيف لا متضائل ولا زهْلَ لِبَاتِهِ وأباهله =

الغنم التي نَفَقَشَتْ في الحَرْتِ وكنا لحكمهم شَاهِدِينَ .

قال المصنف : « فأما الإدغام فلا حاجة إليه للكاتب ، لكن الشاعر ربّما احتاج إليه ، لأنه قد يُضْطَرُّ في بعض الأحوال إلى إدغام حَرْفٍ أو فُكٍّ أو إدغام من أجل إقامة الميزان الشعري » .

أقول : إن المعرفة بأبواب الإدغام ومباحثه كما يحتاج إليه الشاعر لإقامة الميزان الشعري قد يحتاج إليه الكاتب لِلْقَرِينَةِ ، وقد يُصِيبُ فيه وقد يُخْطِئُ .

مثال الخطأ أن تقول : « وأخلص بعدما نافق ، وأصحب بعدما شاق » فقد دعت القرينة إلى أن أخطأ في فكَّ الإدغام في موضع لا يجوز فكه فيه .
ومثال الصواب أن يقول : « أولاهم بالإحسان مَنْ لم يَغْشَ ولم يَمَارِقْ » ، ولم يَشُقَّ عصا ولم يُشَاقِقْ .

قال المصنف : « والأسماء المترادفة هي التي يتحد فيها المسمّى وتختلف أسماؤه ، كالخمر والراح والمُدام ، فإن المسمّى بها شيء واحد ، والأسماء كثيرة ^(١) » .

أقول : هذا الموضع من أمثال الغلطات التي نبّه عليها المتنطقيّون ،

= وهو من قصيدة لزَيْنَب بنت الطَّيْرِية في رثاء أخيها :

(شرح الحماسة للرزوقي ١٠٤٦/٣) .

رهل : مسترخ . اللبات : المراد الصدر ، الأباجل : جمع أبجل وهو عرق في باطن الذراع وعرق غليظ في الرجل .

وعلى رواية (يآدله) فإنها جمع بادلة وهي لحمة بين الإبط والتندوة .

(١) المثل السائر ٧٠/١ .

فقالوا قد يُظنُّ في كثير من الأسماء أنها مترادفة^١ ، وهي في الحقيقة متباينة^٢ ، كالسيف والصَّارِم والمُهْتَدِر موضوع للمنسوب إلى الهند . فكل واحد من هذه المعاني مبين^٣ للآخر . فالأسماء الموضوعة لها متباينة في الحقيقة . وإن ظُنَّ في الظاهر أنها مترادفة^٤ .

وكذلك ما مثَّلَ به هذا المصنِّفُ ، فإن الخمر اسم موضوع لهذا الشراب المخصوص ، وإن كان مُشْتَقًّا غير مُرْتَجِلٍ ، والراح اسم لما تَرْتَاح النفس إليه ، والمُدَّامُ اسم لما يُدَامُ استعماله ، كأنه أُدِيمَ يُدَامُ . فالمعاني متباينة^٥ لا محالة^٦ ، وإن تَوَهَّم في الظاهر أنها مترادفة .

قال المصنِّف : « والأسماء المشتركة هي التي تَتَّحِدُ وتختلف مُسَمِّيَّاتِهَا كالعين^(١) .

أقول : ينبغي أن تراد في ذلك زيادة^٢ فيقال : هي التي وُضِعَتْ لها وَضْعاً أوْلاً^٣ ، ويكون ذلك احترازاً عما يَدُلُّ على شيء بالحقيقة وعلى غيره بالجاز ، فإنه مُتَّحِدٌ تختلف مُسَمِّيَاتُهُ^٤ ، ولا يُسَمَّى مُشْتَرَكاً^٥ .

قال المصنِّف : من الناس من منع وَفُوعَ اللفظ المُشْتَرَكِ . بمعنى أنه لا يكون حقيقة^١ في مُسَمِّيَّيْنِ ، بل يكون مجازاً في أحدهما ، واحتجَّ بأن ذلك مُخِلٌّ بفائدة وَضْعِ اللغة . لأن مقصودَ الواضع الإِفْهَامُ والإِبْتَانَةُ . والاشتراك مُخِلٌّ بذلك .

(١) قال ابن الأثير : كذلك يحتاج (الكاتب) إلى معرفة الأسماء المشتركة ، ليستعين بها على استعمال التعجيس في كلامه ، وهي اتحاد الاسم واختلاف المسميات ، كالعين فإنها تطلق على العين الناضرة ، وعلى ينبوع الماء ، وعلى المطر وغيره ... (المثل السائر ١ / ٧٠) .

ثم أجاب فقال لا نُسلّم أن مقصودَ الواضع هو البَيانُ فقط ، بل
البيان والتجنيس ، فالبيان يحصل بالألفاظ المتباينة التي هي كافية في الإفهام ،
وأما التجنيس فإنه مُهِمٌّ في هذه اللغة ، لأنه عمدةُ الفصاحة والبلاغة ،
ولا يقوم به إلا الأسماء المشتركة ، وهي وإن أُخِلَّتْ بفائدة البيان إلا أنه
إخلالٌ يمكن استدراكه بالقَرينة الدالّة على المراد من اللفظ المشترك ،
والإخلالُ بوضع الألفاظ المشتركة تسقطُ به الفصاحة والبلاغة وروثُها ،
ولا استدراكٌ له بحالٍ ، فكان وضع الألفاظ المشتركة مُتَعَبِيّاً ^(١) .

أقول : لا نُسلّم أنه بتقدير عدم الألفاظ المشتركة يذهب التجنيس
من الكلام ، ولا يزول روثُه وبهاؤه ، كما زعم هذا الرجل ، وبيّانُه
أنّ التجنيس يحصلُ بتشابه لفظتين في الحروف الأصليّة ، وإن كانت
في إحداها زوائد ليست في الأخرى ، مثاله قول أبي تمام :

مَنْ أَنْتَ عَنْ ذُهْلِيَّةٍ الْحَيِّ ذَاهِلٌ ^(٢)

وقوله :

تُطِلُّ الطُّلُولُ الدَّمَعَ مِنْ كُلِّ مَوْقِفٍ

وقوله :

مَنَازِلُ لَمْ يُخَفِّ الرِّبِيعُ رُبُوعَهَا

فذهُليّةٌ منسوبةٌ إلى ذُهْلٍ اسم رجل ، وذاهل فاعل ذَهَلَ عن
الأمرِ يَذْهَلُ . وتُطِلُّ الطُّلُولُ كذلك ، لأن تُطِلُّ مضارع أَطْلَ دَمَهُ

(١) ملخص ما قاله ابن الأثير ٧١/١ .

(٢) تكلته : وقبلك منها مدة الدهر أهل

وهو مطلع قصيدته في مدح محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان ١١٢/٣) .

أي أهدرَه ، والطاول جمع طلل ، وهو ما شَخَص من آثار الديار . وكذلك الربيع وهو العُشْب . والرُّبُوع جمع رُبْع وهو المنزل ، فهذه كلها تتضمن التجنيس ، وليست من المشتركات ، لأنها ليست لفظتين متماثلتين داليتين على مُسَمَّيَيْن مختلفين ، كلفظة العَيْن .

وأكثر التجنيس في الشعر والرسائل مثل هذا : ولا يُسْتَعْمَلُ فيه التجنيس بالمُشْتَرَك إلا في النادر أيضاً ، فلو كان كل تجنيس في الذَّهْنِ بالمُشْتَرَك فَقَطْ لم يكن ذلك من المقصودات الأَصْلِيَّة التي تَقْضِي وضع المشترك مع ما فيه من تَرَدُّدٍ فَهْمِ السَّامِعِ وَعَدَمِ معرفته ، فإن تَحْدُورَ ذلك أعظمُ من تَرَوُّيقِ اللَّفْظِ بالمُشْتَرَكات ، خصوصاً ويمكن استدراك غَيِّيرِ اللفظ بغيِّيرِ التجنيس . كالمطابقة والمقابلة وغيرهما من أنواع البديع .

والعَجَبُ من قَوْلِ هذا الرجل إنَّ علمَ التجنيس يُذْهِبُ حُسْنَ الكلامِ . وقوله : إنَّ واضعَ اللغة نظر إلى ما تحتاج إليه الفصاحة والبلاغة ، فوجدَ من مُهِمَّاتِ ذلك التَّجْنِيسِ الذي لا يَقُومُ إلا بالأَسْمَاءِ المُشْتَرَكَةِ ، وهو يرى القرآن عارياً عن التجنيس ، وهو أَحْسَنُ الكلامِ وَأَفْصَحُهُ وَأَبْلَغُهُ . كما قال تعالى : « الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ^(١) » .

ليت شِعْرِي كيف تحتاجُ البلاغةُ إلى التجنيس ؟ أتراه يَعْلَمُ ما البلاغة ؟ ألم يَسْمَعْ كلامَ عبد الحميد بن يحيى ^(٢) وابنِ المقفَّع ^(٣) ؟

(١) الله أنزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله . سورة الزمر : الآية ٢٣ .

(٢) عبد الحميد بن يحيى مولد فارسي لبني عامر ، نشأ بالشام في أخريات الدولة الأموية ، وكتب لمروان بن محمد سنة ١٢٧ هـ . ويعد من الرعا الذين كان لهم أثر عظيم في النشر الفني . توفي سنة ١٣٢ هـ .

(٣) ابن المقفع هو عبد الله بن المقفع أحد فحول البلاغة في العصر العباسي الأول وله حوالي ١٠٦ هـ وقيل سنة ١٤٢ هـ وله مؤلفات شتى منها : الأدب الكبير ، والأدب الصغير ، وترجمة كلیلة ودمنة .

وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمَا مِنَ الْكِتَابِ ، وَمَنْ كَانَ قَبْلَهُمَا مِنْ فَصْحَاءِ الْعَرَبِ الَّذِينَ كَلَامُهُمْ مَحْضُ الْبَلَاغَةِ ؟ فَهَلْ تَرَى لِأَحَدٍ مِنْهُمْ تَجْنِيساً فِي كَلَامِهِ . اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَقَعَ ذَلِكَ اتِّفَاقاً غَيْرَ مَقْصُودٍ قَصْدَهُ ؟

قال المصنّف : « وقد استُعْمِلَ المشترك في الكلام العزيز قال سبحانه : « وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ »^(١) فالساعة الأولى هي القيامة ، والساعة الثانية هي هذا المقدار المخصوص من الزمان^(٢) .

أقول : لذاذهب أن يذهب إلى أن الساعة في الموضعين بمعنى واحد ، وهو هذا المقدار المعيّن من الزمان ، وسمّيت القيامة ساعة لما يجري فيها من الأهوال والأمور الشاقة ، وهذه عادتهم إذا استعظموا أمراً يَصْغُرُ في زمان مخصوص اكتفوا بذكر ذلك الزمان في الدلالة عليه ، كقولهم يَوْمَ الْجُمُعِ^(٣) ويوم ذي قار^(٤) وليلة التحرير^(٥) ، وقوله سبحانه :

(١) سورة الروم : الآية ٥٥ .

(٢) لم نجد هذا النص في كلام ابن الأثير عن المشترك ، ولكننا وجدناه قد استدل بالآية في التجنيس الحقيقي . (المثل السائر ١/٣٨٠) .

(٣) وقته كانت بين علي بن أبي طالب وطلحة والزبير والسيدة عائشة سنة ٣٦ هـ : بالقرب من البصرة ، وانتصر فيها علي بن أبي طالب ، وانحصر بعدها النزاع بين حزينين اثنين هما حزب معاوية بن أبي سفيان . وحزب علي بن أبي طالب .

(٤) يوم ذي قار أشهر الوقائع بين بني بكر بن وائل وبني عجل وبين كمرى وحلفائه من العرب ، كان النصر فيه للعرب ، وكان ذلك في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد البعثة . وقد أشاد الشعراء بانتصار العرب أيما إشادة (مروج الذهب ١/١٣٤) والتنبيه والإشراف ٢٠٨ والأغاني ٢/٢٩ و ١٣٢/٢٠ وتاريخ الطبري ١٤٦/٢) .

(٥) ليلة الحرير : ليلة بصفين كانت بين علي ومعاوية ، حدث معاوية أنه هم فيها بالفرار ، فولا أبيات لمرو بن الإطابة بثبته وقوته على البقاء (العمدة ١/١٠) ومن أيام العرب في الجاهلية هم الحرير بين بكر بن وائل وتيم (القاموس المحيط مادة حر ١٦٦/٢) .

« هذا يومكم الذي كنتم تُوعِدون^(١) » ولم يقل أحدٌ إن لفظة يوم مشتركة ، وأنها في هذا الموضوع بمعنى القيامة ، وفي غيره بمعنى هذا الزمان الخصوص ، وعلى هذا يكون معنى قوله تقوم الساعة أن تحضر الساعة التي وُعِدُوا بالمجازاة فيها . فلا تكونُ اللفظةُ مشتركةً كما زعمه هذا المصنّف ، أو يكون مجازاً في القيامة ، حقيقة في الوقت الخصوص ، فلا يتم أيضاً ما يريد من الاشتراك .

ويؤكد بطلان الاشتراك أن العرب لم تكن تعرّف القيامة ، فيضعوا لها لفظة الساعة ، كما وضعوا لفظة الفرس لهذا الحيوان الخصوص ، اللهم إلا أن يُقال إنها حقيقة شرعية ، فيكون ذلك تسليماً لما يقوله المعارض ، لأن الحقيقة الشرعية مجازٌ حقيقي في أصل الوضع .

قال المصنّف : « وقد تعسّف قومٌ وأجابوا عن شبهة الاشتراك في اللغة فقالوا : الأسماء المشتركة إنما وضعتها قبائلٌ مختلفةٌ لا واضع واحد . قال : وهذا باطل ، لأنه قد ورد من الجموع ما يتّبع على مسمّين مختلفين مثل كِعْصَب جمع كِعْصَب [الذي هو كِعْصَب الرَّجُل] ^(٢) وجمع الكِعْصَب هذه الينيمةُ الخصوصية ، وقد ورد لفظاً لفرد وجمع لغيره على وزنه ، مثل الرَّاح اسم الخمر ، وجمع رَاحَةٍ وهي راحة الكتف ، ومثل عِقَاب للعقوبة وجمعُ عِقَبَةٍ . ونظائر هذا كثيرة ^(٣) .

أقول : لصاحب هذا الجواب أن يَمْتَسَلَ إن هذه الجموع أيضاً وضعتها قبائلٌ مختلفون فوضع بنو تميم مثل الكِعَاب ووضع بنو أسد الكِعَاب

(١) سورة الأنبياء : الآية ١٠٣ « لا يهزمهم الفرع الأكبر ، وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعِدون » .

(٢) زيادة يتم بها المعنى : عن المثل الثاني ٧٢/١ .

(٣) المثل السائر ٧٣/١

جمع كَعْبَةٌ ، وكذلك ما جاء مثل الراح المفرد بِمُسَمًى ،
قبائلٌ مختلفون ، فوضع بنو تميم مثلاً الكعاب جمع «كعب» ، ووضع
والراح الجمع لمُسَمًى آخر ، يجوز أن يكون ورد عن قبيلتين كل واحدة
منهما وضعت اللفظة بِمُسَمًى غير ما وضعت القبيلة الأخرى له ، فالقَدَرُ
الأولُ عن وقوع الاشتراك في اللغة مُطَرَّدٌ فيما ظنَّ هذا المصنف أنه
لا يمكن اطرادهُ فيه حَدَّوْ النَّعْلِ بالنَّعْلِ .

قال المصنف « وَحَدُّ الْمَثَلِ : هو القولُ الوجيزُ المرسلُ لِيُعْمَلَ عليه »^(١) .

هذا باطل بقوله تعالى : « أقيموا الصلاة »^(٢) فإنه قول وجيزٌ أرسل
لِيُعْمَلَ عليه ، وليس بمثل ، وأيضاً فإنَّ أرادَ بقوله : لِيُعْمَلَ عليه
أي ليعمل بمُوجِبِ مافيه من الاقتضاء والطلب ، فهذا باطل بأكثر
الأمثال ، نحو قولهم : هو أَفْعَلُ من كذا .

وإن أرادَ بقوله : ليعمل عليه أن يُسْتَعْمَلَ في الموضع اللائق ، فكلُّ
بَيِّنَةٍ شَعَرٍ من أشعار الجاهلية والمحدثين قولٌ وجيزٌ مرسلٌ يستعمل
في موضع يليق به ، وذلك يقتضي أن يكون الشعر كله أمثالاً ، ولم يقل
بذلك قائل .

والصحيح أن يُقَالَ : المثلُ يُطْلَقُ على نَوْعَيْنِ : أَحَدُهُما ما قُصِدَ
به المبالغةُ بلفظة أَفْعَلُ ، كقولهم : أشغَلَ من ذَاتِ النَّحْيَيْنِ^(٣) ،

(١) المثل السائر ٩٤/١

(٢) تكرر هذا الأمر في سورة البقرة : الآيات ٤٣ ، ٨٣ ، ١١٠ وفي سور أخرى .

(٣) كانت امرأة من بني تميم الله بن ثعلبة تبيع السنن في الجاهلية ، فأتاها خوات بن جبير
الأنصاري يبتاع منها سناً ، فلم ير أحداً عندها ، وسأموها ، فحلت نجياً - وعاء لبن - فنظر
إليه ، ثم قال : أمسكه حتى أنظر لك غيره ، فلما حلت آخر قال أريد غير هذا فأمسكه ، فلما
شغل يديها ساورها فلم تقدر على دفعه ، حتى قضى ما أراد وهرب (مجمع الأمثال للميداني ٢٥٥/١) :
(الفلك الدائر - م ٤)

والثاني كل كلامٍ وجيزٍ مشهورٍ أو منظمٍ قليلٍ في واقعةٍ مخصوصةٍ تضمّنَ معنىً وحكمةً ، وقد تهيأ بتضمّنه ذلك لأن يُستشهدَ به في نظائر تلك الواقعة .

قال المصنف : « وقد كتبت كتاباً لمن اقترحه عليّ أذكر فيه فتح مصر معارضاً لكتاب كتبه عبد الرحيم بن علي البيسانى في المعنى فقلت فيه ، « ومن جُمِلَتْها ما فعَلَه الخادمُ في الدولة المصرية ، وقد قام بها منبَرٌ وسرير ، وقالت مِنّا أميرٌ ومنكم أميرٌ ، فردّ الدعوة العباسيّة إلى معادِها ، وأذكّرَ المنابرَ ما نسيتهُ بها من زهو أعوادِها ، ولم يُعِدّها إلى وطنها حتى تغرّبت لها الأرواحُ عن أوطانها ، وسهرت لها أجفانُ السيوف سهرَ العيون عن أجفانِها » .

قال : فانظر إليّ كيف أتيت فيه بكلام الحبيب بن المُنذر الأنصاري^(١) حيث قال يوم السقيفة للمهاجرين : منا أمير ومنكم أمير . والقصة مشهورة ، فقال أبو بكر : بل نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، قال : وهذا نُكَيْتُهُ هذا الفتح التي عليها المَعوَل ، ومركزه الذي عليه يَدُور .

(١) هو الحبيب بن المنذر بن الجهم بن زيد السلمي . يكنى أبا عمرو ، شهد بدرًا وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة . كان يقال له ذو الرأي ، وهو الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل على ماء بدر للقاء القوم .

وشهد أحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ، وهو القائل يوم السقيفة : أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، منا أمير ومنكم أمير . مات في خلافة عمر رضي الله عنه . الاستيعاب ٣١٦/١ .

جذيلها المحكك : الجذال عود ينصب للجري لتحتك به ، ومنه : أنا جذيلها المحكك ، وهو تصغير تمطيم . يريد أنه حكيم محكك يشتفي الناس برأيه كما تشتفي الإبل الجربى باحتكاكها بهذا العود . عذيقها المرجب : العذيق النخلة يكثر حملها فيجمل تحتها دعامة تسمى الرجة ، أو المراد أنه نافع كريم كهذه النخلة التي يكثر حملها .

وعجيبٌ من عبد الرحيم بن علي البيسانى مع تقدمه في فن الكتابة كيف فاته أن يأتي به في كتابه^(١).

أقول: إن القاضي الجليل الفاضل النبيل أبا علي عبد الرحيم كان موقفاً حيث لم يندكّر ما ذكره هذا الرجل وأعجيب به. وذلك أن الحباب بن المنذر والأنصار راموا أن يكون منهم أميرٌ ومن المهاجرين أميرٌ. وملوك الدولة الطالبية^(٢) بمصر لم يقتصروا على أن يكون منهم خليفة ومن الأئمة العباسية خليفة، بل كانوا يندعون أن الخلافة ليست إلا لهم خاصة. دون غيرهم وما زالت الحرب بين الفريقين قائمة، والمهج سائمة على ذلك؛ ولو لم يكن إلا ما جرى في الأيام القائمة لكفى. فكيف كان القاضي الفاضل على جلالته من يذهب عليه هذا، ويُسبّه واقعتهم بواقعة الأنصار؛ ويوردُ كلام الحباب بن المنذر، ويُسوّهُ وجه رسالته الحساء به؟ وإنما ترصّع الرسالة بالوقائع والأيام المشهورة إذا كانت مطابقة للحال الحاضرة؛ لا إذا كانت مخالفة لها. فأما الكلام المنشور الذي أنشأه في هذا فليس من جيد قوله، وفيه مالا يتجاوز، وإن جاز فهو على ضعف شديد وتكلف عظيم. فمن ذلك قوله: «وأذكّر المناير ما نسيته بها من زهو أعوادها» فإن الباء في بها لا محالة متعلقة بزهو، وإلا لم يسبق للكلام معنى، وحينئذ التقدير «وأذكر المناير ما نسيته من زهو أعوادها بها» وحرف الجر إذا تعلق بالمصدر صار من صليته، فلا يجوز تقديمه عليه إلا على تأويل بعيد، وهو أن يُقدّر مثله شيء قد دل عليه المصدر المتأخر، وهو في هذا الموضع خاصة متعذر التقدير أو مُستتهجن التقدير.

ومن ذلك قوله «وسهرت لها أجفان السيوف سهر العيون عن أجفانها»

(١) ملخص من المثل السائر ٧٩/١

(٢) الطالبية هي الفاطمية.

فقوله : « سهر العيون عن أجفانها » كلام بارد ، لأن العيون لا تسهر عن الأجفان وما سمعنا في نثر ولا نظم سهرت عيني عن جفني . ولا شبهة أنه أراد وسهرت لما أجفانُ السيوف سهر أجفان العيون ، فلم يستوسق^(١) له ذلك ، فأتى بلفظ إما ألا يكون صحيحاً أصلاً ، أو يحتاج في تصحيحه إلى تعب شديد ، وليس تحت اللفظ من المعنى الغريب ما يساوي ذلك التعب .

قال المصنف : « وإنما قصدنا أن يكون الكتاب (الذي يكتب) في هذا المعنى مشتملاً على الترغيب والترهيب والمساحة في موضع ، والمحاققة في موضع »^(٢).

أقول : قد ظهرت فائدة علم الإدغام في باب الكتابة كما قدمناه ، فإن الكاتب أراد أن يوازن لفظة المساحة بلفظة المحاققة ، وسهأ عن أن المحاققة بفك الإدغام غير جائزة .

قال المصنف : « اللفظ قد يتأول في المعنى وضده ، وقد يتأول في المعنى وغيره الذي ليس بضد . والأول أغرب وأظرف . فما جاء منه قوله عليه السلام : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام » .

قال : فهذا الحديث يستخرج منه معنيان ضدان : أحدهما أن المسجد الحرام أفضل من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآخر أن مسجد

(١) لم يتوسق . لم يجمع .

(٢) المثل السائر ٨٤/١

رسول الله صلى الله عليه وسلم أَفْضَلُ من المسجد الحرام ، إلا أن صلاةً واحدةً فيه لا تَفْضَلُ ألفَ صلاةٍ في المسجد الحرام ، بل تَفْضَلُ ما دونها بخلاف المساجد الباقية ، فإن ألفَ صلاةٍ فيها تَقْصُرُ عن صلاةٍ واحدةٍ فيه ^(١) .

أقول : هذا الحديث لا يُدَلُّ على أن المسجد الحرام أَفْضَلُ من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا على أن مسجد رسول الله أَفْضَلُ من المسجد الحرام ، وليس الأمر كما تَوَهَّمَهُ هذا الرجل ، وإنَّما يُدَلُّ على أن حكم المسجد الحرام مُخَالِفٌ لهذا الحكم الذي قد حكم به صلى الله عليه وسلم في حقِّ مسجده وباقي المساجد ، لأن تقدير الكلام : كلُّ مسجدٍ في الأرض إذا صَلَّيَ فيه ألفَ صلاةٍ فهي في الفضيلة دون الصلاة الواحدة في مسجدي ، واستثنى من هذا الحكم المسجد الحرام فدلَّ في المطابقة على أن المسجد الحرام يُخَالِفُ باقي المساجد في هذا الحكم .

هذا هو الذي يدل عليه هذا اللفظ فقط ، ولا يُدَلُّ على شيء آخر ، لا أَفْضَلِيَّةَ مسجده على المسجد الحرام ، ولا أَفْضَلِيَّةَ المسجد الحرام على مسجده .

لكن هذه المخالفة تحتمل أموراً ، منها : أن يكون مسجده عليه السلام لا تَفْضَلُ الصلاة الواحدة فيه ألفَ صلاةٍ في المسجد الحرام ، بل تَفْضَلُ تسعمائة صلاةٍ أو ثمانمائة صلاة مثلاً .

ومنها : أن يكون مسجده صلى الله عليه وسلم تَفْضَلُ الصلاة الواحدة فيه صلاةً واحدةً في المسجد الحرام ، لا فَرْقَ بينهما .

ومنها : أن تكون الصلاة الواحدة في المسجد الحرام أفضل من صلاة كثيرة في مسجده ، إما ألف صلاة أو أقل منها أو أكثر ، ومراتب ذلك غير متناهية ولا معلومة ، فهذه الاحتمالات كلها تندخل تحت المخالفة التي دك الاستثناء عليها .

فقد ظهر أنه لم يُصِبْ في قوله : إن هذا الحديث يمكن أن يستخرج منه معنيان ضدان : هما أفضليّة مسجده عليه السلام ، للمسجد الحرام ، والآخر أفضليّة المسجد الحرام لمسجده عليه السلام ، لأننا قد بيّنا أن الحديث إنما يدلُّ على أن حكم المسجد الحرام 'مخالف' لما قد حكّم به في حقّ مسجده وبقية المساجد ، ولا يدل على شيء آخر لا في هذا ولا في ذاك ، لكن المخالفة المدلول عليها يمكن انقسامها إلى أفضليّة كل واحد منهما ، وإلى تساويهما أيضاً .

فالخاصل أن الحديث ما دلَّ على شيئين ضدّين كما ذكره صلى الله عليه وسلم . وإن سلّم له أنه قد دلَّ فإنه يدلُّ أيضاً على المساواة ، وهي أمر ثالث ، قصّدت أيضاً ، وهي شيء غير أفضلية كل واحد منهما ، وذلك لم يذكره المصنف ، فقد ظهر أن الذي ذكره مستدرّك على كلا التقديرين .

قال المصنف : « وقد قال أبو الطيب المتنبّي :
وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً لمن بات في نعمائه يتقلّب
قال : هذا البيت يستخرج منه معنيان ضدان ، أحدهما أن المنعم عليه
يخسّد المنعم ، والآخر [أن المنعم يحسد] المنعم عليه » (١) .

(١) التصويب من المثل السائر ٩٢/١

والبيت من قصيدته في ملح سيف الدولة التي مطلعها :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

الديوان ١٢٨/١

أقول : أما أولاً فإن هذين المعنيين ليسا بضدين ، لأنه يجوز اجتماعهما معاً ، فيكون زيدٌ قد أنعمَ على عمرو ، ثم حسده ، وعمرٌ و يحسدُه أيضاً ، فيكون المنعمُ والمنعمُ عليه كلٌ واحدٍ منهما يحسدُ صاحبه ، فقد بطلَ التضادُّ الذي ذكره ، ووجب دخولُ هذا البيت في القسم الآخر ، وهو أن تتأول اللَّفْظَ على المعنى وغيره لا على المعنى وضده . وأيضاً فإن لفظة البيت تشعر بأنه أراد أن المنعمَ عليه يحسدُ المنعمَ ، وكذلك سياقُ الشعر ، أما لفظ البيت فلائنه سمَّاه ظالماً وقال إنه أظلمُ الظالمين ، ولا شبهة أن من أنعمَ عليه بنعمة فحسدَ من أنعمَ بها عليه وودَّ زوالَ نِعْمَتِهِ ، وانتقالها إليه ، فإنه يكون قد كافأ الإحسانَ بالإساءة ، وكان ظالماً ، فإذا أنعمَ إنسانٌ على غيره ، ثم حسدَ ذلك الغيرَ فإنه لا يُسمَّى ظالماً ، لأنه لم يكافئ الإحسانَ بالإساءة . نعم قد يسمى بخيلاً كما قال ابن هانيء :

وهبَ الدهرُ نفساً فاستردَّ ربَّما جادَ بخيلٍ فحسد^(١)

وأما سياق البيت فإن هذا المصنف ذكر في بيت أبي الطيب وهو :
فإن نلتُ ما أملتُ منك فربما شربتُ بماءٍ يُعجزُ الطيرَ وردّه^(٢)

أنه ليس متردداً بين المدح والذم كما قد توهمه قوم ، لأن سياق الشعر

(١) هو أبو القاسم محمد بن هانيء الأزدي الأندلسي ، ولد بالأندلس بمدينة إشبيلية ونشأ بها واشتغل بالأدب ومهر في الشعر ، ولما خرج معز الدولة يريد مصر شيعة ومدحه بقصيدة مشهورة ، ثم جاء إلى مصر ليُلحق به فقتل ببرقة سنة ٣٦٢ هـ .
(وفيات الأعيان ٤/٤٩) .

(٢) من قصيدته في مدح كافور التي مطلعها :
أرد من الأيام مالا توده وأشكو إليها بيننا وهي جنده
الديوان ٢٦٢/١

يقتضي أنه أراد المدح لا الذم ، وإذا كان كذلك فسياقُ هذا الشعر يَفْتَضِي
أنه أرادَ أن المنعمَ عليه بِحَسَدُ المنعمِ ، لأنه قال :

تريد بك الحسادُ ما الله دافعٌ وسُمِرُ العوالي والحديدُ المذَرَّبُ
إذا طلبوا جَدُّك أعطُوا وحكُّمُوا وإنَّ طلبوا الفضلَ الذي فيك خُيِّبُوا
ولو جاز أن تعطي علاك وهبتهَا ولكنْ من الأشياءِ ما ليس يُوهَبُ
وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً لمن بات في نعمائه يَتَقَلَّبُ^(١)

فهذا يدل على أن المملوح يعطي هؤلاء وهم يحسدونه ، وإذا كانت
السياقة تدل على أنه أراد هذا المعنى خرج من كونه دالاً على معنيين ضدين
كما حَكَّمَ به في البيت المتقدم .

قال المصنف : « وقد قال أبو الطيب أيضاً في كافور :

فإلك تُعَنِّي بالأسِنَّةِ والقَنَسَا وجدُّك طَعَّانٌ بغير سِنَان
ومالك تختار القيسيَّ وإنما عن السُّعْدِ يَرْمِي دُونَك المِلْوان^(٢)

فإن هذا يحتمل المدح والذم ، بل هو بالذم أشبه ، لأنه يقول إنك لم
تَبْلُغْ ما بَلَغَتْهُ بِسَعْيِكَ واهتمامك ، بل بجَدِّ وسَعَادَةِ ، وهذا لا فَضْلَ
فيه ، لأن السعادة ينالها الخاملُ والجاهلُ وَمَنْ لا يستحقها . قال : وأكثُرُ

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة .

الديوان ١٢٨/١

(٢) رواية الديوان تقديم البيت الثاني حل الأول . وفيه (يرمى دونك الثقلان) .

الديوان ٢٤٧/٤ .

ما كان المتنبي يَسْتَعْمِلُ هَذَا الْفَنَّ فِي الْقَصَائِدِ الْكَافُورِيَّاتِ ^(١) .

أقول : إن الناسَ واقعٌ لهم واقعٌ ظريفٌ مع المتنبي في هذا الباب ، وكان أصلهُ الشيخ أبو الفتح عثمان بن جني ^(٢) رحمه الله ، فإنه نَبَّهَ المتنبي ، ولم يكن ذلك لبُغْضِهِ لكَافُورٍ وَحَنَقِهِ عَلَيْهِ ، فصار فيه حديثٌ طويل .

وَزَعَمَ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ أَنَّ الْمُتَنَبِّيَّ كَانَ يَقْصِدُ ذَلِكَ وَيَسْتَعْمِدُهُ وَيَمْدَحُهُ بِالشَّعْرِ الْمَوْجَةِ الَّذِي يَحْتَمِلُ الْمَدْحَ وَالذَّمَّ .

ومِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ كَافُورًا كَانَ يَتَفَقَّطُنُ لِلذَّكَ ، وَيُبْغِضِي عَنْهُ . وَيَنْقُلُونَ هَذَا عَنِ الْمُتَنَبِّيِّ ، وَمَا كَانَ ذَلِكَ قَطُّ وَلَا وَقَعَ شَيْءٌ مِنْهُ ، وَلَا قَصْدَ أَبُو الطَّيِّبِ تَحْوِ ذَٰلِكَ أَصْلًا .

فَأَمَّا هَذَانِ الشَّيْئَانِ فَقَدْ قَالَ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحَسَنِ ^(٣) مِثْلَهُمَا كَثِيرًا ، نَحْوُ قَوْلِهِ لَهُ :

وَلَقَدْ رَمَتْ بِالسَّعَادَةِ بَعْضًا مِنْ نَفُوسِ الْعِدَا فَأَدْرَكَتْ كُلًّا ^(٤) .
وقوله له :

(١) المثل السائر ٩٤/١

(٢) هو أبو الفتح عثمان بن جني الإمام النحوي ، كان من أحق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف ، صنف في ذلك كتباً تفوق فيها على المتقدمين وأعجز عن مثلها المتأخرين ، منها الخصائص وشرح ديوان المتنبي . وكان يحضر مجلس المتنبي وينظره ، وكان المتنبي يعجب بذكائه وحذقه ويقول : هذا الرجل لا يعرف قدره كثير من الناس .

ولد حوالي سنة ٣٣٠ وتوفي سنة ٣٩٢ هـ (معجم الأدباء ٨١/١٢) .

(٣) سيف الدولة بن حمدان أمير حلب الذي مدحه المتنبي كثيراً .

(٤) من قصيدته في تعزية سيف الدولة بأخته الصغرى وتسليته بالكبرى التي مطلعها :

إن يكن صبر ذي الرزية فضلاً تكن الأفضل الأعز الأجلا

الديوان ٩٦/٢

إذا سعت الأعداء في كيد مجده سعى جدّه في كيدهم سعى مختق^(١)
وهذه الرواية الأولى من رواية من روى (سعي مجده في جده) لأن قوله
بعدها :

وما ينصر الفضل المبين على العدا إذا لم يكن فضل السعيد الموفق
يؤكد ما ذكرناه .

ونحو قوله له :

لو لم تكن تجري على أسياهم مهجأتهم لجرت على إقباله^(٢)
ونحو قوله له :

هم يطلبون فمن أدركوا وهم يكذبون فمن يقبّل
وهم يتمنون ما يشتهون ومن دونه جسدك المقبل^(٣)

وقد قال لعضد الدولة أبي شجاع ، وهو أعظم ملوكاً من سيف الدولة
أبي الحسن ، وأشدُّ بأساً ، وأكثر انتقاداً للشعر ، وهو يذكّر هزيمته
(وهشودان) وهو بعيد عن عسكر لدولة أبيه :

وليت يومئذ فناء عسكره ولم تكن دانياً ولا شاهند

(١) صوبنا البيت من الديوان .

وهو من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

لينيك ما يلقى الفراد وما لقي ولحب ما لم يبق مني وما بقي
الديوان ٤٥٧/١

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

لا الحلم جاد به ولا بمثاله لولا اذكار وداعه وزياله
الديوان ٥٠/٢

(٣) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

أيقح في الحية العذل وتشمل من دهرها يشمل
الديوان ٥٩/٢

وَلَمْ يَغِيبْ غَائِبٌ خَلِيفَتُسُهُ جَيْشُ أَبِيهِ وَجَدَّهُ الصَّاعِدُ^(١)

وقال له في هذه القصيدة وقد صرح بأنه يقهر الأعداء بالحدّ فقط :

إِنْ كَانَ لَمْ يَعْمِدِ الْأَمِيرُ لِمَا لَقِيتَ مِنْهُ فِيمَنْهُ عَامِدُ

فَلَا يُبَلِّ قَاتِلُ أَعَادِيهِ أَقَانَمَا نَالَ ذَاكَ أَمْ قَاعِدُ^(٢)

وقال له في قصيدة الوداع :

وَأَيًّا شَتَّ يَاطْرُفِي فَكُونِي أَذَاةً أَوْ نَجَاةً أَوْ هَلَاكَا

يُشْرَدُ يُمْنُ قَتَا خُسْرُ عَنِي قَنَا الْأَعْدَاءَ وَالطَّعْنَ الدَّرَاكَا^(٣)

وقال لغيره من ممدوحيه :

نَفَذَ الْقَضَاءُ بِمَا أَرَدْتَ كَأَنَّهُ لَكَ كَلِمَا أَرْمَعَتْ شَيْثَا أَرْمَعَا

وَأَطَاعَكَ الدَّهْرَ الْعَصِي كَأَنَّهُ عَبْدُ إِذَا نَادَيْتَ لَكِي مَسْرَعَا^(٤)

(١) من قصيدته في مدح عضد الدولة أبي شجاع حينما حارب وهشودان ملك الديلم وهزمه وأفنى عسكره ، ولم يحضر عضد الدولة القتال في الموقعتين ، ولم يكن قريباً منهما فكتب النصر له وهو غائب ، كان سعد نواب عنه في قتالهم .

مطلع القصيدة :

أَزَائِرِيَا خِيَالِ أَمْ عَائِدِ أَمْ عِنْدَ مَوْلَاكَ أَنِّي رَاقِدِ

الديوان ٢٩٨/١

(٢) الخطاب موجه إلى ملك الديلم الذي لم يقصده الأمير بنفسه .

ومعنى البيت الثاني أن من قتل أعاديه لا يبالي أقتلهم قائماً أم قاعداً ، بنفسه أم بغيره . قال الواحدي : كان حقه أن يقول لا يبالي بحذف الياء للجزم لكنه قام على قولهم لا يبالي بمعنى لا تبالي ، وإنما جاز ذلك لكثرة الاستعمال ، ولم يكثر استعمالهم لا يبالي ، فيجوز فيه ما جاز في غيره .

(٣) من قصيدته في وداع أبي شجاع عضد الدولة ومدحه التي مطلعها :

فَدَى لَكَ مِنْ يَقْصِرُ عَنْ مَدَاكَ قَسَا مَلِكِ إِذْنِ إِلَّا فُسَاكَا

فنا خسرو : اسم عضد الدولة . الطعن الدراك : المتتابع .

الديوان ١٧/٢

(٤) من قصيدته في مدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الإصيص الكاتب التي مطلعها :

أَرْكَابُ الْأَحْبَابِ إِنْ الْأَدْمَعَا تَطَلَّ الْخُدُودُ كَا تَطَلَّ الْيَرْمَعَا

تطلس : تدق . اليرمع . حجارة بيض صغار رخوة :

الديوان ٤٢٤/١ .

ولكن سيف الدولة لما اشتهر بإخلاص أبي الطيب في ولايته عدل الناس عن هذا الشعر الذي يتضمن ذكراً الجحد والخطأ ، فلم يذكره ، ولم يجعلوه موجهاً متوسطاً بين المدح والذم . وقالوا ذلك في كافور لما حدث تغيره مع أبي الطيب . وانحرف كل واحد منهما عن صاحبه ، ومُجَاهَرَةُ أبي الطيب له بعد مفارقتها بالهجاء .

ولو تأملت الأشعار كلها وأردت أن تستنبط منها ما يمكن أن يكون هجاء لقد رت .

هذا السيد الحميري من الشيعة العلوية^(١) ، لا يختلف في ذلك الثنا .

وقال أبو (عثمان) عمرو الجاحظ في كتاب «الباقوتة» إن بعض الشيعة أنشد أبا محمد قول السيد :

أقسم بالله وآله	المرء عمّا قال مستقول
أن علي بن أبي طالب	على الهدى والبر مجبول
وأنه كان الإمام الذي	له على الأمة تفضيل
كان إذا الحرب مررتها القنا	وأحجمت عنها البهاليل
يمشي إلى الروع وفي كفه	أبيض ماضي الحد مصقول
مشي العقرني بين أشباله	أضجره للقص الغيسل ^(٢)
ذاك الذي سلم في ليله	عليه ميكال وجبريل

(١) شاعر شيعي ولد سنة ١٠٥ هـ وتوفي سنة ١٧٣ هـ فأدرك الدولة الأموية والعباسية ، وكان من غلاة الشيعة ، يفرط في سب أصحاب رسول الله وأزواجه ، فتحامي الناس شعره . ولولا ما في شعره من سب السلف ما تقدمه أحد من طبقاته (الأغاني ٣/٧) .

(٢) أمد عفري : شديد .

ميكال في الألف وجبريل في ألف وبتلوهم لإسراييل
في يوم بدر بددا كلهم كأنهم طير أباييل^(١)
فقال أبو نختد في هذا : إن الشاعر لم يمدح صاحبك ، وإنما هجاه
في موضعين :

أحدها : أنه زعم أن علياً محبباً على البر والهدى ، ومن جليل على
أمر لم يمدح عليه ، لأنه لم يكتسبه بسعيه .
والثاني : أنه زعم أنه أبداً في حروبه بالملائكة ، ولا فضيلة له إذا
في الظفر ، لأن أبا حية النميري^(٢) لو أبده هؤلاء لقهّر الأعداء
وغلبهم .

واعلم أن الشعراء ما زالت على قديم الدهر وحديثه يمدحون الرئيس
بعلو جده ، ومساعدة الأقدار له ، ومطوعة الأفلاك والكواكب
والدهر لإرادته . وأقوالهم في هذا أكثر من أن تورّد وتحكى ،
وإن كان الأصل في إكثارهم من ذلك أن يهدوا (إلى) أسماع أعداء
المدح وخصومه ، ويوقروا في صدورهم ، ويثبتوا في نفوسهم أنه
منصور من السماء ، وأنه محاط بالعناية الإلهية ، وأن الكواكب تساعده ،

(١) البيت الأولان بالأغاني ٣/٧

(٢) أبو حية النميري اسمه الهيثم بن ربيع ، شاعر مجيد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ،
مدح الخلفاء فيها ، وكان أهورج جباناً كذاباً بخيلاً ، وله في الأكاذيب أخبار شتى (الأغاني
٦١/١٥) منها أنه دخل ليلة إلى بيته كلب ، فظنه لصاً ، فانقضى سيفه الذي كان يسميه لعاب
المنية ، ووقف في وسط داره وهو يقول : أيها المغتر بنا والمجترى علينا ، بش والله ما اخترت
نفسك ، خير قليل ، وسيف صليل ، لعاب المنية الذي سمعت به ، مشجورة ضربته ، لانتخاف
نبوته ، اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ، إني والله إن أدع قيساً إليك لا تقم لها ،
وما قيس ؟ تملأ واهة الفضاء خيلاً ورجلاً . فبينما هو كذلك إذا الكلب قد خرج ، فقال : الحمد لله
الذي مسخك كلباً ، وكفاني حرباً .

والأفضليّة والاقدار تجرّي على مُرادِه ، فيُوقِعُوا الرُّعبَ منه في الصدور ، والخوفَ في القلوب ، إلى أنْ يَسْتَحْدِلَ مَنْ يَنْوَاهُ من غيْبِ حَرْبٍ ولا كَيْدٍ .

وقد رُوِيَ أنْ مَلِكَ الصِّينِ عَرَضَ عَسْكَرَه على الإسكندر فاستعظمه ، ورأى ما هَالَهُ ، فقال : قد كنتُ قادراً على أدْ أصادمك بهذه العساكرِ العظيمة ، لكنّي رأيتُ الأفلاكَ ناصرةً لك ، فرأيتُ ألا أحاربَ مَنْ تَنْصُرُهُ . ثم أعطاه الطّاعة ، ودفعَ إليه الإنّاوة .

قال المصنف : « فأما ما يدل على الشيء وغيره ، لأعلى الشيء وضده ، فمثل قوله تعالى في قصة إبراهيم وولده « فبشرناه بغلام حليم » . فلما بَلَغَ معه السَّعْيَ قال يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى في المنام أَني أَذْبَحُكَ » إلى قوله « فبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ^(١) » قال : فقوله « فبشرناه بإسحاق » يحتمل أن يكون استئنافاً لذكر إسحاق بعد ذكر الغلام الحليم ، صاحب القصة الذي هو إسماعيل . ويحتمل أن يكون قوله : وبشرناه بإسحاق بنوته بعد البشارة بميلاده ، أو يكون قوله : « فبشرناه بغلام حليم » ، إشارة إلى إسحاق وهو بشرى الولادة فقط ، وقوله : « وبشرناه بإسحاق نبياً » بشرى النبوة ، ويكون هو صاحب القصة لا غير ^(٢) .

أقول : هذا القسمُ بأنْ يُجْعَلَ في جُمْلَةِ الْقِسْمِ الأولِ وهو ما يَدُلُّ على الشيء وضدّه أَلْيَقُ ، لأن هذه الآية تُجَاذِبُهَا حَتْمًا ، لأنه يَسْتَحِيلُ

(١) سورة الصافات : الآيتان ٩٩ - ١١٣ .

(٢) عبارة ابن الأثير : قوله تعالى « وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين » قد يكون بشارة بنوته بعد البشارة بميلاده ، وقد يكون استئنافاً بذكره بعد ذكر إسماعيل وذبحه . والتأويل متجاذب بين هذين الأمرين . ولا دليل على الاختصاص بأحدهما . ولم يرد في القرآن ما يدل على أن الذبيح إسماعيل ولا إسحاق ، وكذلك لم يرد في الأخبار التي صحت عن رسول الله صل الله عليه وسلم ... « ٩٦/١ » .

الجمع بينها ، لأن الناس مجمعون على أن أحدهما هو الذبيح لا كلاهما ، فكل واحد في القوانين يناقض الآخر ويُضادُهُ ، فتكون الآية من باب ما يمكن استخراج أمرين متنافيين منه ، فلا وَجَهَ لإدخالها في هذا القسم ، ولا هي من صُورَةٍ إِنْ صَحَّ أن هذين الاحتمالين يتجاذبانها على السواء .

والصحيح أن حَمَلَهَا على أن الذبيح هو إسماعيل أَرْجَحُ وأظْهَرُ مِنْ حَمَلها على أنه إسحاق ، لأن الظاهر يقتضي البشارة بمولد إسحاق لا بنبؤته لأنه إذا قِيلَ قد بُشِّرَ عِمْرانُ بموسى تبادرتْ الأفهام إلى البشارة بمولده . ولأنه عَطِفَ على قوله « رَبَّ هَبْ لِي من الصالحين » فبشرناه بسلام حلیم » ثم قال « وبشرناه بإسحاق » فهذه البشارة هي مثل تلك البشارة الثانية [وكلاهما بالولد ، ولأنه لو كان صاحب القصة هو إسحاق والمراد بالبشارة]^(١) البشارة بنبؤته لقال وبشرناه به نبياً من الصالحين ، لأن قبله ضماير كثيرة تَرْجِعُ إليه ، فلو كان هو المراد لَأَتَى بالضماير كالمضامير المتقدمة .

قال المنصف : « ومن هذا القسم أيضاً ما يحكى أن الحُرُورِيَّةَ ظَمِرَتْ برجل فقالت له : ابرأ من عليّ وعُثمَان .

فقال أنا مِنْ عليٍّ وعثمانَ بريء . فهذا يدل على مَعْنَيْنِ : أحدهما أنه بريء من عُثمَانَ وَحْدَهُ ، والآخر أنه بريء منهما معاً . ولكن الرجل لم يَرِدْ [إلا] الوجه [الأول] »^(٢) .

والرواية أنا مِنْ عليٍّ ، ومن عثمان بريء بإثبات مِنْ الثانية ، وهو الصحيح ، لأنها لو حذفت لعطفَ بالواو على عاملين ، وهو غير جائز ،

(١) ما بين قوسين تكله تَمَّ المعنى ملحقه بهامش النسخة الأصلية .

(٢) ما بين قوسين تكله من ابن الأثير ٩٧/١ .

بل التقدير أنا مِن أصحابه . وأنا مِن عَمَان بَرِيء . ولم أَجِدْ لفظه مِن
في النسخة التي وقفتُ عليها بهذا الكتاب ، ولعل الناسخ قد أوْهَم .

وأيضاً فإن هذه الحكاية بأن تُلْحَقَ بالقسم الأول أولى . لأنه قد
استُخْرِجَ منها معنيان متضادان : أحدهما البراءة من عَمَان والاتباع له ،
والثاني البراءة من علي وعَمَان . ولا أرى أن أحد هذين القسمين مناف
للآخر ، فهو بالقسم الأول أشبه .

قال المصنف : « ومن هذا ما يحكى أن عبد المسيح بن بُقَيْلَةَ دخل على
خالد بن الوليد بالحيرة ، فقال له خالد : من أين أَقْصَى أَتَرَكَ ؟ قال من
ظَهْر أَبِي . قال : من أين خَرَجْتَ ؟ قال : مِن بَطْنِ أُمِّي . قال :
عَلَامَ أَنْتَ ؟ قال . على الأرض . قال فِيمَ أَتَيْتَ ؟ قال : في ثِيَابِي . قال :
ابنُ كَمْ أَنْتَ ؟ قال : ابنُ رجلٍ واحدٍ . قال : وهذا من توجيه الكلام
على نَمَطٍ حَسَنٍ ، وهو يَصْلُحُ أن يكون جواباً لخالدٍ عما سأل ، وَيَصْلُحُ
أن يكون جواباً لغيره مما ذكره عبد المسيح » ^(١).

أقول : إن اللفظ الذي يُحْمَلُ على المعنى وغيره في هذه الحكاية هو
الفاظ خالد علامَ أَنْتَ ؟ يُحْمَلُ أن يريد به على أيِّ حالٍ أَنْتَ ، أو على
أيِّ دِينٍ ، أو على أيِّ عِزٍّ ، وَيَحْتَمِلُ أن يُرِيدَ به على أيِّ مكانٍ أَنْتَ ،
وكذا بقية الألفاظ ، فبعد المسيح ترك ما عَلِمَ أنه غَرَضُ خالدٍ ، وَعَدَلَ
إلى الحِمْلِ الآخر الذي يَعْلَمُ أنه ليس بغَرَضِهِ ، فقول المصنف « هذا
من تَوْجِيهِ الكلام على نَمَطٍ حَسَنٍ وهو يصلح أن يكون جواباً لخالد »

هو إشارةٌ بغير شك إلى أن ألفاظ عبد المسيح ليست موجّهةٌ ، بل الموجّهةُ ألفاظ خالد ، لأنها هي المحتملة لأمرين ، فقد بان أن قولَ المصنّف : إن ألفاظ عبد المسيح موجّهةٌ ليس بصحيح ، وأيضاً فقولهُ « وهو يصلح أن يكون جواباً لخالد عما سأل ، ويصلح أن يكون جواباً لغيره » غير صحيح أيضاً ، لأن هذه الأجوبة لا تصلح أن تكون أجوبةً لخالد ، لأن خالداً سأل عن أمرٍ ، فأجاب عبد المسيح عن غيره ، فالذي قال عبد المسيح لا يصلح أن يكون جواباً لخالد عما سأله عنه ، بخلاف ما قاله هذا الرجل .

قال المصنّف : « وقد ورد في التوراة : لا تأكل الجُدّي بلبنِ أمه . وهذا التحريم يحتمل وجهين : أحدهما ما دلّ عليه ظاهر اللفظ ، وهو تحريم أكل الجُدّي بلبن أمه خاصةً ، فإذا أُكِلَ بلبن غير (لبن) أمه جاز ولم يكن حراماً ، واليهود لا تقول بذلك . والآخر أن كل شيء من اللحوم بكل شيء من اللبن حرام ، وهو قولُ كافة اليهود . الثاني الذي في التوراة لا تُنضِج الجُدّي بلبن أمه ، أي لا تأكل » (١) .

وهذه سواء كانت « لا تُنضِج » أو « لا تأكل » خارجة عن هذا القسم الذي قبّلهُ أيضاً ، لأنها دالة على إنضاج الجدي بلبن أمه ، أو تحريم أكله بلبن أمه ، وليس منها ما يدل بالمطابقة ولا بالتضامن ولا بالالتزام على تحريم أكل الجُدّي بغير لبنِ الأم ، واليهود لا تحرم أكل اللحم باللبن بمجرد هذه الآية ، بل بنصوص أخرى نقلها فقهاؤهم عن نبيهم ، فإدخال هذه الآية في باب الألفاظ المترددة في المعاني المختلفة لا وجهَ له .

(١) المثل السائر ٩٨/١ يتمرّف .

قال المصنف : « وما يجري على هذا النهج ما حكى عن أفلاطون^(١) أنه قال . ترك الدواء دواء . فذهب بعض الأطباء إلى أنه أراد أنه إذا لَطَفَ المزاج الدواء وانتهى إلى غاية فهو دواء . فتركه حينئذ والإضراب عنه دواء .

وذهب آخرون إلى أنه أراد بالترك الوضع ، أي تركَ وَضَعَ الدواء على الداء دَوَاءً ، يشير بذلك إلى حَذَقِ الطبيب في وقت علاجه^(٢) .

أقول : إن مراد الحكيم ليس واحداً من هذين التفسيرين ، ومراده ظاهر ، كقول العامة دائماً وهو أن تَرَكَ التداوي حيث لا حاجة إليه هو التداوي بَعَيْنِهِ ، وقد شرح ذلك جالينوس^(٣) ، فقال : الحِمِيَّةُ في الصحة كالْتَحْلِيظِ في المَرَضِ . فأما التفسيران المذكوران قباردان جداً ، وخصوصاً الثاني منهما ، فإنه بعيد أن يُحْمَلَ الكلامُ عليه . وليست الأدوية كلها مما يوضع الدواء على داء عارض في الأعضاء الظاهرة وسطح البشرة ، وبالحملة فهو تفسيرٌ ركيكٌ لا يُسْتَحْسَنُ حَمْلُ كلام ذلك الحكيم الفاضل عليه .

قال المصنف : « وما ينخرط في هذا السلك قول أبي صخر الهذلي :

(١) أفلاطون من أكبر فلاسفة اليونان ولد نحو سنة ٤٢٨ قبل الميلاد ، وله الفضل في جمع الآراء الفلسفية المتناثرة ، واستنباط فلسفة خاصة به ، وقد خلف كتباً كثيرة في الفلسفة صاغها في أسلوب حوار ، متأثراً في ذلك بأستاذه سقراط ، واتخذ سقراط بطلاً لكثير من المناقشات ، وهو في فلسفته أديب فنان .

(٢) المثل السائر ٩٩/١ .

(٣) جالينوس طبيب يوناني قبل الميلاد يعتبر من أساطين الطب في عصره ، ونقل للعرب كثيراً من آرائه في كتبهم الطبية ، وقد توفي بعد بعثة المسيح .

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فلما انقضى ما بيننا سَكَنَ الدَّهْرُ^(١)

قال : وهذا يحتمل وجهين من التأويل : أحدهما أنه أراد بسعي الدهر سُرْعَةَ تَقْضِي الأوقاتِ مُدَّةَ الوَصَالِ ، فلما انقضى الوَصْلُ عاد الدهرُ إلى حالته الأولى في السُّكُونِ والبُطْءِ ، والآخر أنه أراد بسعي الدهر سَعْيَ أَهْلِ الدَّهْرِ بالنِّمَائِمِ والشَّيَاثِ ، فلما انقضى ما كان بينهما من الوَصْلِ سَكَنُوا وتركوا السَّعَايَةَ^(٢) .

أقول : التفسير الثاني هو الصحيح ، والأولُ غيرُ صحيح ، واللفظ لا يَحْتَمِلُهُ ، وفي البيت ما يمنع منه ، بيان ذلك أنه قال « بيني وبينها » وهذه اللفظة تمنع من أن يُرِيدَ سرعة تَقْضِي الزَّمانِ أيامَ وَصَالِنَا ، فإنها قرينةٌ تحمل لفظَةَ السَّعْيِ على السَّعَايَةِ والنِّمَةِ بالشرِّ ، لا على السَّعْيِ بمعنى الحركة والسير ، ألا تراهـم يقولون سَعَى فلانٌ بين فلان وفلان بالشرِّ ، أي ضرب بينهم ، وَحَمَلَ بعضهم على بعض ، ولا يقولون سَعَى بينهم من السَّعْيِ بمعنى الحركة والسير ، إلا أن يراد أنه كان يتحرك ويسير بين قومٍ مفترقين في أماكن شتى ، وليس هذا مقصودَ البيت . ولو أراد السعي بمعنى سُرْعَةِ مُرُورِ الزَّمانِ لقال عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ أَيَّامَ وَصْلِنَا أو ما يُشْبِهُ ذلك ، وبالجُمْلَةِ فسادُ المَحْمَلِ الأولِ ظاهرٌ عند مَنْ له أدنى تَقْدِيرٍ للمعاني الشعْريَّةِ .

(١) البيت من قصيدة لأبي حضر الهذلي وليست لأبي كبير الهذلي كما في الأصل، وهو عبد الله ابن سلم السهمي الهذلي شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، مطلعها :

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر

شرح الحماسة للرزوقي ١٢٣١/٣ والأمازي ١٤٨/١ .

(٢) المثل السائر ١٠٠/١ .

قال المصنف: «وليس كلُّ مَنْ حَمَلَ مِيزَانًا سُمِّيَ صَرَّافًا، ولا كلُّ مَنْ وَزَنَ بِهِ سُمِّيَ عَرَّافًا»^(١).

أقول: العَرَّافُ هو الكاهِنُ، وليس الوزَنُ من الكَهانةِ ولا يُناسِبها، ولو قال ولا كلُّ مَنْ تَقَرَّسَ أو مَنْ تَكَهَّنَ سُمِّيَ عَرَّافًا كان أوَلَى، اللهم إلا أن يُريدَ ليس كل من وَزَنَ بِخَاطِرِهِ، أي لَمَحَ ونَقَدَ سُمِّيَ عَرَّافًا، فيجوز، لكنه تأويلٌ بعيدٌ، وخيَرُ الكناية ما كان معناه جليًّا، ويُحَمَّدُ فيها مِنْ وضوح المعنى ما لا يُحَمَّدُ في كثير من الشعر.

قال المصنف: «والفرق بين الترجيح البياني والترجيح الفقهي أن هناك يُرَجَّحُ بين دَلِيلَي الخَصْمَيْنِ في حكم شرعي، وهاهنا يُرَجَّحُ بين جَانِبَي فصاحةٍ وبلاغةٍ في ألفاظ ومعاني خطابية.

وبيان ذلك أن صاحب الترجيح الفقهي يُرَجَّحُ بين خبر الواحد مثلاً وبين خبر المتواتر، وبين المُسْتَدِرَّ والمُرْسَلِ^(٢)، أو ما جَرَى هذا المجرى، وهذا لا يتعرض له صاحبُ علم البيان، لأنه ليس من شأنه، ولكن الذي من شأنه أن يُرَجَّحَ بَيْنَ حَقِيقَةٍ ومجاز، أو بين حَقِيقَتَيْنِ، أو بين مجازين، ويكون في ذلك كله ناظرًا إلى الصَّنَاعَةِ الخطابيةِ»^(٣).

(١) المثل السائر ١/١٠٥.

(٢) خبر الواحد ما رواه الواحد. المتواتر هو الذي رواه جمع يؤمن تواتره على الكذب واستمر هذا في إسناده. المستدر الذي ذكر جميع رواته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. المرسل هو الذي سقط منه الصحابي الذي رواه عن الرسول.

(٣) كان في العبارة سقط فأصلحناها من المثل السائر ١/١٠٥.

أقول إنه قد أطلال في هذا الفصل وأسهبَ بما لا ثمرة له إلا تسويدُ
الكاغِد ، وتضييع الزَّمان ، فإن كلَّ أحدٍ يَعْلَمُ أن البابَ المعقودَ في
هذا العِلْمِ للترجيحات لا يكونُ مُتَضَمِّناً ترجيحاتِ الفقهاء ، ولا ترجيحاتِ
النُّحاة ، ولا ترجيحاتِ الأصوليين ، فأَيُّ حاجةٍ له إلى أن يَقْصُ هذه
القِصَصَ ، ويُطِيلَ هذه الإطالة ؟ ومن العجب قوله « وبيان ذلك » وهذه
لفظة تُقالُ فيما يَحْتَاجُ إلى بيانٍ وبرهان . فأما مَنْ قال إن مباحثَ
النُّحاة مثلاً في باب الصِّلةِ والموصولِ غَيْرُ مباحثِ الفلاسفةِ في ماهيةِ
الزمان والمكان ، فإنه لا يُنازعُهُ في ذلك عاقلٌ حتى يحتاج إلى أن يقول
« وبيان ذلك » .

قال المصنف : « والترجيحُ إنما يَقَعُ بينَ مَعْنِيَيْنِ يَدُلُّ عليهما لفظُ
واحدٌ ، ولا يخلو الترجيحُ بينهما من ثلاثة أقسام : إما أن يكونَ اللفظُ
حقيقةً في أحدهما مجازاً في الآخر ، أو حقيقةً فيهما معاً ، أو مجازاً فيهما معاً .
قال : والترجيحُ بين الحقيقتين أو بين المجازينِ يَحْتَاجُ إلى نظر .
وأما الترجيحُ بين الحقيقة والمجاز فإنه يُعْلَمُ بالبدية لمكان الاختلاف
بينهما ، والشيطان المختلفان يَظْهَرُ الفرقُ بينهما ، بخلاف الشئين المشابهين »^(١) .
أقول : الذي يُعْلَمُ بالبدية هو الفرقُ بين الحقيقة والمجاز لا الترجيحُ ،
لأنَّا إذا عَلِمْنَا في لفظٍ مُسْتَعْمَلٍ في شعر أو خطابة أنه مُتَرَدِّدٌ بين
مُسْتَعْيَيْنِ وهو موضوع لأحدهما وضعاً أولاً ومنقول إلى الآخر ثانياً ،

فقد علمنا الفرقَ ، وأما ترجيحُ أحدِ المَحْمَلَيْنِ على الآخرِ فإنه لا يُعْلَمُ
الترجيحُ بينَ مَحْمَلَيْنِ في لفظ واحد ، وكلاهما حقيقةٌ أو كلاهما مجازٌ إلا بالنظر ،
ويدل على ذلك الآية التي قد أوردتها بعد هذا الكلام بلا فصل ، وهي قوله
تعالى : « شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ ^(١) » فإن لفظة الجلود
ها هنا مترددة عنده بين الجلود الحقيقية وبين الفُرُوجِ على سبيل المجاز ،
وَيَحْتَاجُ ترجيحُ أحدِ المَحْمَلَيْنِ على الآخرِ إلى نظيرٍ دقيق .

قال المصنف : « وبيان الترجيح بين الحقيقة والمجاز قوله تعالى : « حتى
إذا ما جاءوها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بما كانوا
يعملون ^(١) » قال فالجلود ها هنا يمكن أن تكون هذه الجلود الحقيقية ،
ويمكن أن يراد بها الفروج مجازاً ، لكن المانع البلاغيّ من حمل لفظ
الجلود في هذا الموضع على حقيقتها ، لما فيه من لطف الكناية عن المَكْنِيّ
عنه . قال : ويمكن أن يُسْتَدَلَّ على ذلك من وجه آخر استنباطاً بأن يقال
إما أن يراد بالجلود هذه الجلودُ المعروفةُ والجوارح التي هي ذوات الأعمال ،
والأول باطل ، لأن شهادة الجلود وهي غير فاعلةٍ شهادةٌ باطلة ، لأن المراد
الإقرار ، بأن تَقُولَ الْيَدُ : أنا أخذتُ كذا ، وتقول الرَّجُلُ : أنا مشيتُ
إلى كذا ، وكذلك بقية الجوارح ، وهو باطل ، لأنه قد دَخَلَ تحته السمعُ
والبصرُ فلا يكونُ لتخصيصهما بالذكر فائدةً ، أو بعض الجوارح فيكون
ذلك البعض هو الفروج ، لأن حمله عليها أولى من وجهين :

أحدها أن الجوارح قد ذُكِرَتْ في القرآن شاهدةً على صاحبها

بالمُعَصِيَةِ ما عدا الفَرْجَ ، فكان حَمْلُ الجِلْدِ عليه أَوْلَى لِيَسْتَكْمَلَ ذِكْرُ
جميع الأعضاء ، والثاني أنه ليس في الجوارح ما يُكْرَهُ التَّصْرِيحُ بِذِكْرِهِ
إلا الفَرْجَ ، فَكُنْتَنِي عَنْهُ بِالْجِلْدِ كَرَاهِيَةً لَذِكْرِهِ . ثُمَّ سَأَلَ نَفْسَهُ : لِمَ
لَا يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ كُلُّ الجوارحِ وَيَكُونَ ذِكْرُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ مِنْ بَابِ
التَّفْضِيلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « فَاكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ »^(١) وَهِيَ مِنَ الْفَاكْهَةِ ؟

وَأَجَابَ فَقَالَ : هَذَا الْكَلَامُ يُؤَيِّدُ اسْتِدْلَالَنَا ، لِأَنَّ النَّخْلَ وَالرَّمَانَ إِنَّمَا
أُفْرِدَا بِالذِّكْرِ لِفَضِيلَتِهِمَا عَلَى الْفَاكْهَةِ ، وَلَيْسَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ أَفْضَلَ وَأَكْثَرَ
وَزَرًّا مِنْ غَيْرِهِمَا مِنَ الْأَعْضَاءِ فِي الْمَعْصِيَةِ ، لِأَنَّ قُصَارَى الْعِصْيَانِ بِهِمَا إِبْصَارٌ
مَحْرَمٌ أَوْ سَمَاعٌ مُحْرَمٌ ، وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يُوَجِّبُ الْحَدَّ ، وَأَمَّا غَيْرُهُمَا مِنَ الْأَعْضَاءِ
فَيَقَعُ بِهِ الْكِبَائِرُ الَّتِي تُوَجِّبُ الْحُدُودَ ، فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْأَعْضَاءُ
هِيَ الْمَخْصُوصَةُ بِالذِّكْرِ دُونَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ^(٢) .

هَذَا مُلْتَخَصٌ مَا ذَكَرَهُ بَعْدَ حَذْفِ التَّطَوِيلَاتِ .

أَقُولُ : أَمَّا الْوَجْهُ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ ، لِأَنَّهُ مَا زَادَ عَلَى أَنْ قَالَ هَذَا
مَانِعٌ بِلَاغِيٍّ يَمْنَعُ مِنْ حَمْلِ الْجُلُودِ عَلَى حَقِيقَتِهَا ، وَأَنْ تُحْمَلَ عَلَى
الْفُرُوجِ ، وَهَذَا ضَعِيفٌ لِأَنَّهُ بِمُتَرَلَّةٍ قَوْلٍ مِنْ يَقُولُ : إِنْ الْجُلُودَ فِي قَوْلِهِ
تَعَالَى « كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا »^(٣) بِمَعْنَى الْفُرُوجِ ،
وَإِنْ هَذِهِ الْآيَةُ تَنَزَّلَتْ فِي الزَّوَاةِ ، وَكُنْتَنِي عَنِ الْفُرُوجِ بِالْجُلُودِ لِأَنَّهَا كُنَايَةٌ
لَطِيفَةٌ ، وَأَيْضًا كَانَ سَبْحَانَهُ قَدْ ذَكَرَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ مِنْ أَجْزَاءِ بَدَنِ الْإِنْسَانِ ،
وَهِيَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْجِلْدُ ، وَقَالَ : لَهَا تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ ، فَلَمْ حُمِلَ

(١) سورة الرحمن : الآية ٦٨ (فِيهَا فَاكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ) .

(٢) المثل السائر ١٠٦/١ .

(٣) سورة النساء : الآية ٥٦ .

الجلدُ على الفرج ؟ لأجل أن الفَرْجَ يَلِيْقُ ألا يُدْمَكِرَ تصرِيحاً ، وبحسن أن يُكْنَى عنه بغيره أولى من أن يُحْمَلَ السَّمْعُ والبصر على الفرج لهذه العلة ، وإنما يتعين حَمْلُ الجلد على الفرج إذا كان بين لفظيَّيْ الجلدِ والفَرْجِ أو معناها مناسبة لا تحصل بين السمع والفرج ، ولا بين البصر والفرج ، ونحن لا نجد فرقاً بين هذه الأجزاء الثلاثة ، وكل واحد منها بعيد عن الفَرْجِ لا مناسبةَ بينه وبينه ، اللهم إلا أن يكون لأجل أن الجلد جزء من أجزاء ماهيَّةِ الفَرْجِ ، فَعَبَّرَ عن الكلِّ بالبعض ، وهذا بعيد جداً فأما استدلاله له ثانياً ، وإبطاله أن يراد بالجلود هذه الجلود الحقيقية ، لأنها ليست هي الفاعلة ، بخلاف الأعضاء كاليد والرجل ، فينبغي أن يجاب عنه بالضحك من عاقل يتوهم أن اليد هي التي فعلت الشيء ، وأن اللسان هو الذي فعلَ التَّنطِقَ ، وهذا وهمٌ عامي لا يعتقده محصِّلٌ ، فإنما يُبْطَلُ أن تكون الجلود هي جُمْلَةُ الأعضاء والجوارح بقوله : إنه قد ذَكَرَ السَّمْعَ والبصرَ فلا يكون لإفرادها بالذكر فائدة ، فجوابه ما سأل عنه نَفْسُهُ ، وهو أن المراد بذلك ما أراد من قوله تعالى « فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ » (١) .

وقوله هذا لا يجوز ، لأن العصيانَ بالسمع والبصر أخَفُ ، فيقال له بل هو هذا الترتيب ، والصحيح في نظم الكلام ، لا كما توهمته ، مثال ذلك يقال دخلت قرية كذا فوثب عليَّ الولدانُ والنساء وكلُّ مَنْ فيها . يَوَدُّ الولدانُ والنساء ويخصهم بالذكر ، لأنه ليس من شأنهم أن يثبوا بالرجال ويقبلوا عليهم ، وأنت إنما تريدُ أنه وثبَ عليك الضعيف والقوي ، فكذلك الآية تقديرها شَهِدَ عليهم من الجوارح ما المعصية به صغيرة ، والمعصية به كبيرة .

ثم يقال له : إذا سَلَّمْنَا أنه ليس المرادُ كلُّ الجوارح بل بعضها فلم قُلْتَ إن ذلك البعض هو الفَرْج ؟

وقوله : « لأن سائر الأعضاء قد ذَكَرَ في القرآن أنها تَشْهَدُ إلا الفَرْجُ فوجب أن يكون هو المراد بالجلود لتكامل شهادة كل الأجزاء » باطل ، لأنه لم يُذَكَّرْ في القرآن شهادة الأعضاء ، وإنما ذَكَرَ شهادة الأيدي والأرجل والسمع والبصر والألسنة والجلود في آيات مُتَفَرِّقة ، فأما القلوب فلم يُذَكَّرْ لها صريح شهادة ، بل قال : « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » ^(١) ولا ذَكَرَ شهادة الذوق وهي اللهاة فيما ذَاقَتْهُ من الحرام والحلال ، ولا شهادة حاسة اللمس بما لمسته من المحرمات ، فقد بَطَلَ قوله : « إنه إنما وقع الإخلال من جميع الأعضاء من الشَّهادة بالفرج وحده .

وأما قوله : « إنه يجب حَمْلُهُ على الفَرْج ، لأنه مما يُكْرَهُ التصريح بذكره ، فَوَجَبَ أن يُجْعَلَ هذا اللفظ كنايةً عنه » فباطل ، لأنه تعالى قد ذكره في غير موضع ، فقال : « والذين هم لفروجهم حافظون » ^(٢) وقال : « وَقُلْ للمؤمنات يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ » ^(٣) وقال تعالى : « ويعلم ما في الأرحام » ^(٤) وما رأيناه كنى في هذه المواضع بكناية أصلاً .

قال المصنف : « ومما استُدِلَ به على مُراد المتكلم بقريئةٍ دقيقةٍ لطيفةٍ

(١) سورة الإسراء : الآية ٣٦ .

(٢) سورة المؤمنون : الآية ٥ .

(٣) سورة النور : الآية ٣١ .

(٤) سورة لقمان : الآية ٣٤ .

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ جَعَلَ نَفْسَهُ قَاضِيًا لِلْمُسْلِمِينَ فَقَدْ ذَبَحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ »^(١) قَالَ : وَمَعْنَاهُ أَنْ مَنْ جَعَلَ قَاضِيًا فَقَدْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَهَوَاهَا ، لِأَنَّهُ يَكُونُ مَحْمُولًا عَلَى الْإِمْتِنَاعِ مِنْ اخْتِذَاكَ الزُّنَا ، وَمَأْمُورًا أَنْ يَحْكُمَ لَعْدُوهُ عَلَى صَدِيقِهِ ، وَأَنْ يَرْفَعَ الْحِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَيَجْلِسَ لِلْقَضَاءِ فِي وَقْتِ رَاحَتِهِ ، وَيُسْتَعِيبَ نَفْسَهُ وَيُجْهِدَهَا . قَالَ : فَلَمَّا اشْتَرَكَ الْقَضَاءُ وَالذَّبْحُ فِي الْأَلَمِ الشَّدِيدِ ، وَكَانَ الذَّبْحُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ قَطْعُ الْخَلْقُومِ ، وَالْقَضَاءُ هُوَ قَطْعُ النَّفْسِ عَنْ هَوَاهَا ، لَا جَرَمَ كَانَ الشَّخْصُ الَّذِي يُجْعَلُ قَاضِيًا مَذْبُوحًا ذَبْحًا مَعْنَوِيًا . قَالَ : وَهَذَا مَوْضِعٌ غَامِضٌ لَطِيفٌ^(٢) .

أَقُولُ : إِنْ تَأْوِيلَاتُ الْبَاطِنِيَّةِ^(٣) لآيَاتِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ أَوْقَعُ وَأَقْرَبُ إِلَى الْعَقْلِ مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ ، وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ أَرَادَ هَذَا الْمَعْنَى ؟ وَهَلْ هَذَا إِلَّا فِي قُوَّةِ أَنْ يُقَالَ : مِنْ رُتَبِ قَاضِيًا فَإِنَّهُ يَتَعَبُّ ، وَيَجِدُ مَشَقَّةً ، وَيَنْقَطِعُ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ

(١) النص في المثل السائر : وَأَمَّا مَا يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ بِقِرْنَةِ لَيْسَ مِنْ تَوَابِعِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَرَقَ مِنَ الْأَوَّلِ ، وَأَلْفَظُ مَا عُدَّ . فَمَا وَرَدَ مِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ جَعَلَ قَاضِيًا بَيْنَ النَّاسِ فَقَدْ ذَبَحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ » ١١١/١ .

(٢) يتصرف من ١١٢/١ .

(٣) فِرْقَةُ مِنَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الَّذِينَ يَنْسِبُونَ الْإِمَامَةَ لِإِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ . وَفِي رَأْيِهِمْ أَنَّ الْأَرْضَ لَنْ تَحُلَّ مِنْ إِمَامٍ حَيٍّ قَائِمٍ إِمَّا ظَاهِرٌ مَكْشُوفٌ وَإِمَّا بَاطِنٌ مَسْتُورٌ . وَلَمْ يَرَأَ شَيْءٌ مِنْهَا أَنْ مِنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً . وَأَشْهُرُ أَلْقَابِهِمُ الْبَاطِنِيَّةُ ، وَإِنَّمَا لَزِمَهُمْ هَذَا الْقَلْبُ لِحُكْمِهِمْ بِأَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنًا وَلِكُلِّ تَنْزِيلٍ تَأْوِيلًا . وَهُمْ يَلْقُبُونَ بِالْعِرَاقِ الْبَاطِنِيَّةِ وَالْقَرَامِطَةَ وَالْمَزْدَكِيَّةَ ، وَيَلْقُبُونَ بِخِرَاسَانَ التَّعْلِيمِيَّةِ وَالْمُلْحَدَةَ . وَيَقُولُونَ نَحْنُ إِسْمَاعِيلِيَّةٌ لِأَنَّنَا تَمَيَّزْنَا عَنْ فِرْقِ الشَّيْعَةِ بِهَذَا الْأَسْمِ وَهَذَا الشَّخْصِ . وَقَدْ خَلَطَ الْبَاطِنِيَّةُ الْقَدَمَاءُ كَلَامَهُمْ بِبَعْضِ كَلَامِ الْفَلَسَفَةِ ، وَصَنَفُوا كِتَابَهُمْ عَلَى هَذَا الْمَنَاجِ . وَمِنْ آرَائِهِمْ نَفْيُ الصِّفَاتِ لِأَنَّ إِثْبَاتَهَا الْحَقِيقِيَّ يَقْتَضِي شُرْكََةَ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَسَائِرِ الْمَوْجُودَاتِ وَذَلِكَ تَشْبِيهِ .

وَلَمْ يَدْعُوا جَدِيدَةً تَزْعُمُهَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّبَّاحُ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهَاجِرِيِّ .

(المثل والتحل ١٧٠/١) .

أوقات راحته ؟ ومَنْصَبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أجلُّ وأعظمُ من أن يكون هذا المقدارُ فَحَوَى كلامه .

ومعلومٌ أنه إنما أخرجَ هذه اللفظةَ مخرَجَ التحذيرِ لأصحابه من القضاء ؛ لما فيه من التعرض للآثام ، والمؤاخذه الأخروية ، وأنه ليس كلُّ أحدٍ يَقْدِرُ على ضَبْطِ نفسه عن الميل إلى أحدِ الخصمَيْنِ ، ولا يَمْلِكُ سُورَةَ الغَضَبِ التي تُفْضِي به إلى الحكم بغيرِ الحقِّ ، ولا يستطيع تَجَنُّبَ المراقبة والمحابة لأبناء الدنيا وأصحاب السلطان ، ولذلك كان الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم يتأذَّونَ من القضاء ، ويقرُّون منه ، ويستترُّون الدهرَ الأطولَ إذا ندَّبُوا إليه ، ويتحملون مشقة الحرب والاستتار ومفارقة الأوطان حذراً من عقاب الآخرة لا غيرُ .

وكيف يُحذَرُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه وأُمَّتُهُ من الدخولِ في القضاء لكَوْنِهِ مجاهدةً لهُوَى النفس ، وَكَوْنِهِ يُورِثُ التَّعَبَ والمشقة الدنيوية ، وهو يأمرهم بالجهادِ ومناهضةِ المشركين وقتلِ أولادهم وآبائهم وإخوانهم في طاعة الله ورسوله ؟

ومعلومٌ أن ذلك أَصْعَبُ وأَشَقُّ من متاعب القضاء بأضعافٍ مضاعفة ، وهم مأمورون به لما فيه من ثوابِ الجهاد ، فكذلك القضاء متاعبه ومشاقه مغمورةٌ بما فيه من ثوابِ الانتصارِ للحكم بالحقِّ ، ونُصْرَةِ المظلوم ، وإقامة شعائر الإسلام ، وما أعلمُ ما أقولُ فيمن حَمَلَ كلامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك التَّأويلِ الرديء .

قال المصنف : « ومثال ما يَسْتَرَدُّ بَيْنَ مَعْنَيْنِ وَيَحْمِلُ عَلَى أَحَدِهِمَا الْقَرِينَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا » ^(١) فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ لَا تَدْعُوهُ بِاسْمِهِ فَيَقُولُوا يَا مُحَمَّد ، كَمَا يَدْعُو بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِأَسْمَائِكُمْ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ أَنْكُمْ إِذَا حَضَرْتُمْ فِي مَجْلِسِهِ فَلَا يَكُنْ حُضُورُكُمْ كَحُضُورِكُمْ فِي مَجَالِسِكُمْ ، أَيْ لَا تَفَارِقُوا مَجْلِسَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَالزَّمَمُوا مَعَهُ الْأَدَبَ . قَالَ : وَالْحَمْلُ عَلَى هَذَا الْحَمْلِ أَوَّلِي ^(٢) لِأَن قَبْلَ هَذِهِ « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ » ^(٣) .

أقول : هَذِهِ قَرِينَةٌ مُتَقَدِّمَةٌ لِعَمْرِي ، وَلَكِنْ فِي الْآيَةِ قَرِينَةٌ أُخْرَى مُتَأَخِّرَةٌ تَقْتَضِي حَمْلَهُ عَلَى تَحْمِيلِ آخَرٍ غَيْرِ هَذَا وَغَيْرِ الْحَمْلِ الْأَوَّلِ ، وَلَعَلَّهُ الْأَصَحُّ ، وَهُوَ أَنْ يَرَادَ بِالْدُعَاءِ الْأَمْرُ ، يَقَالُ : دَعَا فُلَانٌ قَوْمَهُ إِلَى كَذَا أَيْ أَمَرَهُمْ بِهِ وَتَدَبَّهَتْ إِلَيْهِ ، قَالَ سُبْحَانَهُ « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ » ^(٤) أَيْ نَدَبَكُمْ . وَقَالَ سُبْحَانَهُ « وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ » ^(٥) أَيْ أَمَرْتُهُمْ وَتَدَبَّهَتْ بِهِمْ . وَالْقَرِينَةُ الْمُتَأَخِّرَةُ قَوْلُهُ « فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ » ^(٦) فَلَمْ كَانَ حَمْلُ الْآيَةِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ لِأَجْلِ الْقَرِينَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ أَوَّلِي مِنْ حَمْلِهِ عَلَى هَذَا الْحَمْلِ لِأَجْلِ الْقَرِينَةِ الْمُتَأَخِّرَةِ ؟

(١) سورة النور : الآية ٦٣ .

(٢) المثل السائر ١/١١٣ .

(٣) سورة النور : الآية ٦٢ .

(٤) سورة الأنفال : الآية ٢٤ .

(٥) سورة نوح : الآية ٧ .

(٦) سورة النور : الآية ٦٣ .

قال المصنف في حد الحقيقة : « هي اللفظ الدالُّ على موضوعه الأصلي ، والمجاز ما أريدَ به غيرُ المعنى الموضوع له في أصل اللغة . وهو مأخوذٌ من جازَ من هذا الموضع إلى هذا الموضع إذا تخطاه إليه ، فالمجازُ إذن اسمٌ للمكان الذي يُجاز فيه ، كالمعاجِ والمزارِ وأشباههما . وحقيقتهُ هو الانتقالُ من مكان إلى مكان ، فجُعِلَ ذلك لتقلُّ الألفاظِ من محلٍّ إلى محلٍّ »^(١) .

أقولُ : أما حدُّ الحقيقة الذي ذكره فمَنقُوصٌ بلفظ الدابةِ إذا استُعْمِلَتْ في الدَّوْدَةِ والقَمَلَةِ ، فإنها قد دَلَّتْ على موضوعها الأصليِّ ، لأنها موضوعةٌ لما يَدَبُّ ، مع أنها بالنسبة إلى الوَضْعِ العُرْفِيِّ مجازٌ ، فإذن قد دخل المجازُ العُرْفِيُّ فيما جعله حدًّا لِمُطْلَقِ الحقيقة ، وبلقطة الصلاة إذا استُعْمِلَتْ في الدعاء ، فإنها قد دَلَّتْ على موضوعها الأصلي ، فيكون قد دخل المجازُ الشرعيُّ فيما جعله حدًّا لِمُطْلَقِ الحقيقة ، وهو غير جائزٍ .

والواجبُ أن يُقالَ : الحقيقةُ ما أُفِيدَ بها ما وُضِعَتْ له في أصل الاصطلاح الذي وَقَعَ التخاطبُ به ، فيدخلُ في ذلك الحقيقةُ اللغويةُ والعرفيةُ والشرعيةُ .

فأما ما ذكره في حدِّ المجاز فهو باطلٌ أيضاً في الحقيقتين العرفية والشرعية ، فإنهما يدلان على غير ما وُضِعَا له في الأصل ، وهما حقيقتان .

على أن قوله : « المجاز ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة » ليس بجيد ، لأنه لو عبّرَ بالسما عن الأرض لكان قد أرادَ باللفظ غيرَ المعنى الموضوع له في أصل اللغة ، وليس مجازاً ، والأجودُ أن يُبدلَ لفظ ما أريد به بلفظ ما أفيدَ به ، أو ما يُدلُّ ، وفيه مع ذلك الإشكالُ الذي ذكرناه أولاً .

وأصلحُ ما قيل في حدِّ المجاز أنه ما أفيدَ به معنى مصطلح عليه غيرُ ما اصطلاح عليه في أصل تلك المواضع التي وقع التخاطبُ بها ، لعلاقة بينه وبين المعنى الأول .

وهذا القيّدُ الأخيرُ يتمُّ تحديدهُ المجاز ، لأنه لولا تلك العلاقة لما كان مجازاً من الأول ، بل كان وضعاً جديداً .

ومن العجَبِ أن هذا الرجل قال : « المجاز اسم للمكان الذي يُجاز فيه » ثم قال عتيقهُ بلا فضل : « المجاز هو الانتقال من مكان إلى مكان ^(١) » فتارة يجعل الفعل ها هنا اسماً للمكان كالمقام لموضع الإقامة ، وتارة يجعله اسماً للمصدر كالمقال من قال يقول قولاً ومقالاً ، وهذه مناقضة ظاهرة .

فأما قوله : « فجعل ذلك لنقل الألفاظ من محل إلى محل » فإنه أراد من مُسمّى يعدل عن اللفظ الجيد إلى اللفظ الرديء ، فإنه يوهم أن المعنى شيء يحل فيه اللفظ ، ولسنا نضايقه في ذلك وأمثاله .

(١) المثل السائر ١/١٣١ .

قال المصنف : «والفرق بين الحقيقة والحجاز بتبادُر الفهم عند الإطلاق إلى الحقيقة دون الحجاز ، كالشمس لهذا الكوكب المخصوص دون الوجه المستحسن فإن قلت : فإننا نرى الأفهام تبادُر عند سماع كثير من الألفاظ العرفية إلى غير حقائقها الأصلية ، كالعائط الذي لا يفهم منه إلا الحاجة المخصوصة دون المطمئن من الأرض . قلت هذا شيء يذكّره الفقهاء ولا طائل له ، لأن المعبر بمبادرة أفهام الخاصة من الناس لا العامة ، كالحاددين والتجارين والخبّازين والحاكة والأساكفة ، ومعلوم أن الخواص من العلماء لا يفهمون من العائط إلا المطمئن من الأرض . قال : والعجب من الفقهاء كيف دوّنوا هذا وذهّبوا إليه» (١) .

أقول : الجواب الصحيح أن يقال إن تبادُر الأفهام إلى أن المراد بالعائط الحاجة المخصوصة ، وبالذابة [الفرس] ، وبالراوية المزاودة ، وبالملك الرسول الروحاني خاصة ، دليل على أن هذه الألفاظ حقائق في الوضع العرفي الجديد ، وذلك لا ينقض قولنا إن تبادُر الأفهام إلى المعنى دليل على أن اللفظ حقيقة فيه ، لأننا قد قلنا بموجبه ، وجعلنا هذه الألفاظ حقائق ، ولكنها عرفيات . فأما الجواب الذي أجاب به فليس بجيد ، لأنه إما أن ينفي الحقائق العرفية أو يثبتها ، فإن أثبتنا فقد بطل قوله إنه لا اعتبار بمواضعة أهل العرف ، وإن نفيها فهو باطل ، لأن الحقائق الأصلية اللغوية ما كانت حقائق لقرآن أنزله الله تعالى فيها ، بل لأن طائفة من الناس تواضعوا عليها ، فلاي حال كانت مواضعة العرب في الجاهلية على ألفاظ مخصوصة لمعان مخصوصة تقتضي جعلها حقائق في مسمياتها ، ولا تكون مواضعة طائفة أخرى

موجودين الآن على ألفاظٍ مخصوصة لمعانٍ مخصوصةٍ تقتضي جعلها حقائق في مُسمّياتها ؟

أليس وَضَعُ الأكرادِ والفرسِ والتركِ والرُّومِ لغاتهم وألفاظهم لمعانٍ قد اصطلحوا عليها بينهم يُوجبُ جعلَ تلك الألفاظِ حقائقَ فيما وَضِعَتْ له ؟ فليس الأمرُ في هذا الباب موقوفاً على مواضعِ العرب قبل الإسلام ، فقد ظهر أن الذي دَوَّنه الفقهاء هو الحقُّ ، وأن ما اعترضهم به ليس بحقّ .

ونحن نستنبط بعد هذا من نصِّ كلامه ما تخصُّصُهُ به ، وننتصر به للفقهاء عليه ، وذلك أنه قال ما هذه صورته : إن كان إطلاق اللفظ بين عامة الناس من إسكافٍ وحدادٍ ونجارٍ وخبازٍ ومَنْ جرى مجراهم ، فهو لاء لا اعتبارَ بهم ، ولا اعتدادَ بأقوالهم .

فيقالُ له ما تعني بالإسكافِ ؟ كل صانعٍ أم صانعِ النعال خاصة ؟ فإن قال صانع النعال خاصة ، قيل له فأنت من الخاصة لا من العامة ، وقد تبادر ذهنك إلى ما ليس بحقيقة أصلية ، لأن كلَّ صانعٍ إسكافٌ عند العرب ، وكتب اللغة كلها تشهد بذلك . وإن قال أردتُ كل صانع ، قيل له لا تغالطُ ، فإنك قلّلتَ من إسكافٍ وحدادٍ ونجارٍ وخباز ، فجعلتَ الإسكافَ صاحبَ صناعةٍ مفردةٍ كالنجارِ والحدادِ ، ولو أردتَ العمومَ قلّلتَ من حدادٍ ونجارٍ وخبازٍ وغيرِهم من الأساكفة ، ولم تقل ذلك .

فإذا كان نصُّ كلامك يشهدُ عليك أن ذهنك قد تبادر إلى الاصطلاح العُرفي وهو قَصْرُ لفظةِ الدابةِ على هذا الحيوانِ المخصوص ، فقد بطلَ قولك إنه لا يتبادر إلى أفهام الخاصة عند إطلاق كلِّ لفظٍ لإحقيقته لا غيرُ .

قال المصنف : « والفرق بين الحقيقة والمجاز أن الحقيقة جائزة على العموم في نظائرها ، كقولنا فلان عالم ، يصدق على كل ذي علم ، بخلاف : « واسأل القرية »^(١) لأنه لا يصح إلا في بعض الجملادات دون بعض ، إذ المراد به أهل القرية ، لأنهم ممن يصح السؤال عنهم ، ولا يجوز أن يُقال : واسأل الحجر والتراب »^(٢) .

أقول : أما دعوى وجود اطراد الحقيقة ففيه كلام ، فإننا قد رأيناها غير مطردة في مواردنا ، إما لأن العقل يمنع من ذلك ، كلفظة الدليل عند من يقول إنه حقيقة في فاعل الدلالة ، فإنه لما كثر استعماله في نفس الدلالة لا جرم لم يحسن استعماله في حق الله تعالى إلا مقيداً كقولهم : يا دليل المتحيرين ، وإما لأن الشرع يمنع من ذلك ، كتسميته تعالى بالفاضل والسخي ، فإن الشرع يمنع من ذلك ، مع حصول حقيقتيهما له تعالى ، وإما لأن اللغة تمنع من ذلك ، كامتناع استعمال الأبلق في غير الفرس ، ولا يصح أن يعتذر عنه بأن الأبلق موضوع للملوك بهذين اللونين ، بشرط أن يكون فرساً ، لأنه يلزم عليه أن يجوز في كل مجاز لا يطرد أن يكون سبب عدم اطراده لاشتراط كونه ذلك المسمى بعينه ، وحينئذ لا يمكن الاستدراك بعدم اطراده على كونه مجازاً .

وأما قوله « عالم » لَمَّا كان موضوعاً لذي العلم اطرده في كل علم ، « واسأل القرية » لم يطرد في كل الجملادات ، فإنه استدلال على أمر كلي بصورة جزئية .

(١) سورة يوسف : الآية ٨٢ .

(٢) المثل الماتر ١٣٥/١ .

ومن أين له أن كل حقيقة فلانها جارية في الاطراد مجرى قولنا
« عالم » لذي العلم ، وأن كل المجازات لا تطرد كقوله « واسأل القرية ؟ »
ولم لا يجوز أن يكون المجاوز وإن لم يجب اطراده فإن بعضه قد يطرد
لا على سبيل الوجوب ؟

ولا يمكن أن يدعى أنه قد استقرى الألفاظ كلها فلم يجد فيها
مجازاً مطرداً ، ولو كان ذلك قد وقع لكانت ألفاظ المجاز كلها قد علمت
وعلم أن ما عداها حقيقة قبل العلم بنفي اطرادها ، وذلك يقتضي أن
يكون الفرق بين الحقيقة والمجاز قد وقع قبل هذه الدلالة .

قال المصنف : « واعلم أن كل مجاز فله حقيقة » ، لأنه لا يصح أن
يطلق عليه اسم المجاز إلا لنقله عن حقيقة موضوع له ، وليس من
ضرورة كل حقيقة أن تكون مجازاً ، فإن من الأسماء ما لا مجاز له ، كأسماء
الأعلام الي وضعت للفرق بين الذوات للفرق بين الصفات » (١) .

أقول : هذا يدل على أنه يتوهم أن أسماء الأعلام حقائق في
الأشخاص المستمين بها ، وليس كما توهمه ، لأن الحقيقة ما أفيد به
ما وضع له ، ونعني بقولنا ما وضع له وضع أهل اللغة وأرباب الاصطلاح ،
فتكون اللفظة حقيقة تبعاً لكونها موضوعاً لشيء قبل استعمال المستعمل ،
حتى إذا استعملها المستعمل فيما وضعت له كانت حقيقة فيه ، وأسماء
الأعلام لم تقع على مسمياتها المعنوية بوضع من أهل اللغة ، ولامن الشرع ،
حتى يكون من اتبعهم فيها في أصل موضوعهم فقد استعملها على حقيقتها .

وهذا الكلام كما يَنْفِي أن تكون الحقيقةُ داخلَةً في أسماء الأعلام
يَنْفِي أن يكون المجاز أيضاً داخلًا فيها .

والصواب أن يقال : المجاز هو المُسْتَعْمَلُ في غير موضوعه الأصلي
لمشابهة بينهما . وهذا تصريح بأن من ضرورة تحقيقِ المجاز ثبوت الحقيقة ،
وليس يلزم من كَوْنِ اللفظِ موضوعاً لشيء أن يصير موضوعاً لشيء آخر
بينه وبين الأول مشابهةً ومناسبةً ، لجواز أنْ يُعَدَمَ ذلك عن بعض
المستعنيات .

وها هنا دقيقةٌ ، وهي أن دلالة اللفظ على المعنى في الموضوع الأول
قد خَلَّتْ عن كونها حقيقةً ومجازاً ، لأن الحقيقة استعمالُ اللفظِ في موضوعه
الأصلي ، فلا تكون الحقيقةُ حقيقةً إلا إذا كانت مسبوقَةً بالوضع الأول ،
والمجازُ هو المُسْتَعْمَلُ في غير موضوعه الأصلي ، فيكون هو أيضاً مسبوقاً
بالوضع الأول ، فثبت أن شرطَ كَوْنِ اللفظِ حقيقةً أو مجازاً حصولُ
الوضعِ الأول ، فالوضع الأول واجب ألا يكون حقيقةً ولا مجازاً .

وهذا الكلامُ على ظاهره يَقْدَحُ في قولنا : المجاز فرع الحقيقة ، ومتى
وُجِدَ الأصلُ فالمجازُ لا يكون مجازاً إلا والحقيقةُ موجودةٌ ، لأن المجاز
لا يَسْتَدْعِي إلا مُجَرَّدَ كَوْنِهِ موضوعاً قَبْلَ ذلك لمعنى آخر ، فهو
يتوقف على ذلك فقط لا على الحقيقة ، لأن الوضع الأول ليس بحقيقةٍ .

وجوابه أنا لا ندعي أن المجازَ على الحقيقة ، بل مُتَوَقَّفٌ على أنه
موضوع في الأصل لمعنى آخر ، متى استعمل اللفظ في ذلك الموضوع كان
حقيقةً .

قال المصنف : « فأما الفرق بين الفصاحة والبلاغة فقد أكثر الناس فيه ،

وختلاصة ما ذكروه أن الفصاحة هي الظهور ، يقال : أفصحَ يُفصحُ إذا ظهرَ ، ثم يقفون عند هذا ، ولا يكشفون عن السر فيه^(١) .

أقول : قد وقفت لأبي محمد بن الحشّاب على رسالة في الفرق بين الفصاحة والبلاغة أتى فيها بنوادر شريفة . وقد ذكر أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين كلاماً جيداً في هذا المعنى^(٢) . وقد ذكرنا نحن في كتاب « العبري الحسن » أقوالاً كثيرة في هذا الباب ، وما أظن أن أحداً ممن يتصدّى للكلام في هذا الفن إلا وقد قال قولاً بالغا في هذه المسألة .

(١) المثل السائر ١١٤/١ .

(٢) قال أبو هلال العسكري : البلاغة من قولهم : بلغت الغاية إذا انتهيت إليها ، وبلغتها غيري ، وبلغ الشيء منتهاه ، والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته . فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه ، وهي البلاغ أيضاً . ويقال للدنيا بلاغ لأنها تؤدي إلى الآخرة . والبلاغ أيضاً التبليغ في قول الله عز وجل : « هذا بلاغ للناس » أي تبليغ . ويقال : بلغ الرجل بلاغة إذا صار بليغاً ، كما يقال نبيل نبالة إذا صار نبيلاً . ويقال : أبلغت في الكلام إذا أتيت بالبلاغة فيه .

والبلاغة من صفة الكلام لامن صفة المتكلم ، وتسمية المتكلم بأنه بليغ توسع ، والحقيقة أن كلامه بليغ ، كما نقول : فلان رجل محكم والحقيقة أن أفعاله محكمة ، إلا أن كثرة الاستعمال جعلت تسمية المتكلم بأنه بليغ كالحقيقة ، كما أنها جعلت تسمية المزاودة راوية كالحقيقة ، وكان الراوية حامل المزاودة وهو البعير ونحوه ، ولذا سمي حامل الشعر راوية .

فأما الفصاحة فقد قال قوم : إنها من قولهم أفصح فلان عما في نفسه إذا أظهره ، وفصح الصبح إذا أضاء ، وأفصح اللبن إذا انجلت رغوته فظهر ، وأفصح الأعجمي إذا أبان بعد أن لم يكن يفصح ويبين .

وإذا كان الأمر على هذا فالفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلفت أصلاهما ، لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له .

وقال بعض علاننا : الفصاحة تمام آة البيان ، فلا يسمى الألفح والتمام فصيحين ، لنقصان آتهما عن إقامة الحروف ، وعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين ، لأن الفصاحة تمام آة البيان ، فهي مقصورة على اللفظ ، لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب ، فكأنها مقصورة على المعنى .

ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ والبلاغة تتناول المعنى أن البيهقي يسمي فصيحاً ولا يسمي بليغاً؛ إذ هو يقيم الحروف وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤديه . ويجوز مع هذا =

فما أَعْلَمَ كَيْفَ يدعي هذا الرجلُ على الناس أنهم يقتصرون في هذا البحث
بتينك اللفظتين لا غير .

— ٤٣ —

قال المصنف : « ولا يجوز أن تُفسَّر الفصاحة بهذا لوجهين : أحدهما
أن اللفظ قد يكون ظاهر المعنى عند زيد لا عند عمرو ، فيجب أن يكون
فصيحاَ غَيْرَ فصيح ، وهذا ' محال ' ، بل الفصيح يجب أن يكون فصيحاً
مُطْلَقاً .

والثاني أن اللفظ القبيح الذي يَنْبُو عنه السمعُ ولكنه ظاهرُ المعنى
يَجِبُ أن يكون فصيحاً ، وهذا ' محال ' ، لأن الفصاحة وَصْفُ حُسْنٍ ،
فلا يجوز أن يكون اللفظ قبيحاً » (١) .

أقول : إن أرباب علم البيان لم يقتصروا في حد الفصاحة على أنها ظهورُ
المعنى من اللفظ فقط ، بل قالوا في حَدِّها وحقيقتها ما يعرفه من تمارس
كُتُبِهِمْ ، ولو قالوا ذلك لم يكن ما أوردَده عليهم قادحاً في كلامهم .

أما الوجه الأول : فإنه ليس من شرط الفصيح أن يكون ظاهراً مكشوف
المعنى لكل سامع ، فإن الزنج والرُّوم لا يفهمان المراد بالقرآن ، ولا يقدحُ
ذلك في كونه فصيحاً ، والفصاحة ' أمرٌ نسبيٌّ ' لأنها صِفَةُ اللفظ ، واللغات
والألفاظ تختلف باختلاف الأمم قُرُونِها وبِلَادِها .

= أن يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك غير مستكره
فج ، ولا متكلف وخم ، ولا يمتنع من أحد الاسمين شيء لما فيه من إيضاح المعنى وتقوم الحروف
وإذا كان الكلام يجمع نموت الجودة ولم يكن فيه فعالة وفضل جزالة سي بليغاً ولم يسم فصيحاً .
(ملخص من الصناعتين ٧ - ١٠) .

(١) ذكر ابن الأثير ثلاثة اعتراضات ، تخص ابن أبي الحديد ثانيها وثالثها ، ولم يذكر
أولها وهو : أنه لم يكن اللفظ ظاهراً بليغاً لم يكن فصيحاً ، ثم إذا ظهر وتبين صار فصيحاً .
المثل السائر ١٤١/١ .

وأما الوجه الثاني: فلأن القبيح الظاهر المعنى فصيحٌ من حيث ظهورُ معناه وإن كان قبيحاً من وجهٍ آخر ، ونظيرُ ذلك الكلام الفصيح يتضمَّنُ شتمَ الأنبياءِ والثناءَ على إبليسَ والشياطين ، أو غير ذلك من الوجوه التي يقبيحُ لأجلها ، فإنه حسنٌ من وجهٍ وقبيحٌ من وجه ، وليس يلتزمُ من قبحِ الشيء من جهةٍ ألا يكون حسناً من جهةٍ أخرى ، كما لا يلزم من كَوْنِ سماعِ صَوْتِ العُودِ حراماً ألا يكون لذيذاً .

قال المصنف: «والفصاحةُ مختصةٌ بالألفاظِ دون المعاني ، لوجوه: منها أن الفصيح هو المألوف الاستعمال ، وإنما كان مألوف الاستعمال لحُسْنِهِ ، وحُسْنُهُ يُدْرِكُ بالسَّمْعِ ، لأنه أمرٌ عائدٌ إلى تركيبِ حُرُوفِهِ وَخِطِّهَا وَتَبَاعُدِ مَخَارِجِهَا ، والذي يُدْرِكُ بالسمع يكون صوتاً يأتلف من مخارج الحروف ، وكل ما ليس بمسموع لا يكون فصيحاً» (١) .

أقول: هذا الكلام يحتمل أمرين : أحدهما أن يجعلَ حدَّ الفصاحة هي الألفاظُ المألوفةُ الاستعمالِ ، وإنما كانت مألوفة الاستعمال لحففتها وسلاستها . والآخر ألا يجعلَ ذلك حدّاً للفصاحة ، بل مراده تعليل اختصاص اللفظ بوصف الفصاحة ، وكون المعاني لا يجوز أن تُوصَفَ بالفصاحة .

فإن أرادَ الأولَ لم نُضَافِيقْ على ذلك ، لأن لكل واحد أن يتكلم

(١) المثل السائر ١٤٢/١ وليست به هذه الجملة (وكل ما ليس بمسموع لا يكون فصيحاً) بل ملخص قوله : إن الكلام الفصيح هو الظاهر البين ، وأعني بالظاهر البين أن تكون ألفاظه مفهومة ، لأنها مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر ، وإنما كانت مألوفة الاستعمال لمكان حسنها ، لأن أرباب النظم والنثر غلبوا اللغة باعتبار ألفاظها ، فاعتادوا الحسن من الألفاظ فاستعملوه ، ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه ، فحسن الألفاظ سبب استعمالها دون غيرها ، واستعمالها دون غيرها سبب لظهورها وبيانها ، فالفصيح إذاً من الألفاظ هو الحسن .

بما شاء ، ويقول عَتَيْتُ به كذا وكذا . وإن أراد الثاني وهو الظاهر من كلامه قبل له : إن كان كثرة الاستعمال وسلاسة اللفظ تُوجِبُ أن يُسمَى اللفظُ فصيحاً فليس ذلك بمانعٍ من أن تُوجدَ دلالةٌ أخرى على تسمية المعنى فصيحاً ، فليس ذلك بمانعٍ ، لأن دلالتك على ما تدّعيه لا تُوجِبُ انتفاء الأدلة على إطلاق هذه اللفظة على المعنى ، فغاية ما في الباب أنك استدللت على أن اللفظ يُطلقُ عليه الوصفُ بالفصاحة ، فلم تقلت إن الوصفَ بالفصاحة لا يُطلقُ على المعاني ؟

- ٤٥ -

قال المصنف : « وأيضاً فإن لفظي المُرْنَةِ والدَّيْمَةِ كلفظة البُعاقِ ، فكلُّ واحدٍ من هذه الألفاظ يدلُّ على معنى واحد ، ولو كانت الفصاحة ترجع إلى المعاني لما اختلفت هذه الألفاظ ، ولا كان فيها ما يُستحسن استعماله ، وفيها ما يُستقبح ، لأنها في الدلالة على المعنى سواء . لكن لا ريب في حُسْنِ استعمال اللفظتين الأوليين ، وأما لفظة البُعاق فقيحة منكّرة »^(١) .

أقول : إن هذا الرجل يتوهم أن مَنْ قال : إن المعاني قد توصف بالفصاحة فقد أراد المعاني المفردة ، وهذا غلط ، فإن أحداً لم يقل ذلك . وإنما قالوا : إن الكلامَ المركَّبَ الدال على معنى قد يُسمَى فصيحاً أيضاً ، وقد يقولون لمعنيين أحدهما أكثرُ بياناً وأَوْضَحُ عند السامعين : هذا المعنى أفصح من هذا ، بل قد يقال له بليغٌ ، والفصاحة للألفاظ ، فوقع بينهم النزاع في ذلك ، لا في اللفظة المفردة الدالة على المسمى المفرد .

(١) المثل السائر ١/١٤٣ .

قال المصنف : « وأيضاً فإن الفصيحَ على وزن فَعِيلٍ بمعنى فاعل ، نحو كريم وشريف ولطيف ، والفاعل للإبانة عن المعنى هو اللفظ لا غير ، وكانت الفصاحة مختصةً به لا غير » ^(١) .

أقول: إن هذا الموضع من المواضع التي اشتبهت على هذا الرجل ، وذلك أن أفعالَ الطبائعِ نحو فَصِيحٍ وَظَرِيفٍ وَشَرِيفٍ وَكَرِيمٍ إنما تُعْطَى الاتِّصافَ بتلك الصِّفةِ فقط ، ولا تُعْطَى مَعْنَى الفاعِلِيَّةِ أصلاً ، ولا تَدُلُّ على المؤثر . ألا تَرَى أن قولنا كريم ولطيف لا يدل على أنه فَعَلَّ الكَرَمَ واللُّطْفَ ، وإنما يدل على أنه ذو لطف وكرم فقط مع قَطْعِ النظرِ عن الفاعلِ لهما مَنْ هُوَ ؟ .

فالفصيح معناه ذو الفصاحة ، لا فاعل الفصاحة ، كالجميل والصبيح معناه ذو الجمال والصباحة ، لا فاعلها ، وهذا الرجلُ تَوَهَّمَ أن فَصِيحاً فاعلُ الفصاحة ، ثم بَنَى الدليلَ على هذا وقال: إن فاعلَ الإبانةِ للمعنى والمَكَيَّفَ له هو اللفظ ، فكان الفصيحُ هو اللفظ ، وهذا من الغلطِ على ما تراه .

وعلى أنه لو كان مَّا تَوَهَّمَهُ صحيحاً لكان لخصمه أن يقول : المعنى الواضحُ هو الذي فَعَلَ القَهْمَ والإدراكَ في نَفْسِ السامعِ ، وأَوْصَحَهُ له فأنكشف له فحواه ومغزاه ، فهلا سَمَّيْتَ المعنى فصيحاً بهذا الاعتبار ؟ وإن النزاع في هذه المسألة لَفَقْطِيٌّ مُحْضٌ . والذي قاله المحققون : أنا وجدنا

الاصطلاح واللغة يشهدان بأن الفصاحة للألفاظ والبلاغة للمعاني ، فإنهم يقولون : هذا معنى دقيق ، وهذا معنى غامض ، ولهذا يقولون في الحيوان غير الناطق كالببغاء : هو فصيح ، لإقامته الحروف ولا يسمونه بليغاً ، إذ ليس له قصد إلى المعنى ، وإذا كان أهل اللغة والاستعمال قد اصطلاحوا على ذلك واففقوا عليه وجب اتباعهم ، لأن البحث لفظي .

قال المصنف : « واعلم أن البيان علم عقلي يدرك بالذوق والعقل حسنه من قبضه ، وليس كعلم النحو ، فإنه تتقيد العرف ، والذي تكلفه النحاة من التعلات واه لا يثبت على تحك النظر ، لأنهم إنما سمعوا من واضع اللغة رفع الفاعل ونصب المفعول من غير دليل أبداه لهم ، فاستخرجوا لذلك أدلة وعلا ، وإلا فمن أين علم هؤلاء أن الحكمة التي دعت الواضع إلى رفع الفاعل ونصب المفعول من غير دليل أبدا هي التي ذكروها » (١) .

أقول : إن كان هذا الرجل ممن ينفي القياس في الشرعيات كلمناه كلاماً أصولياً كما تكلم الشيعة والنظام (٢) وأهل الظاهر (٣)

(١) يتصرف من ١٤٧/١ هـ

(٢) النظام هو إبراهيم بن سيار بن هاشم البصري ، انفرد في الاعتزال بمذهب خاص ، وكان أستاذاً للجاحظ ، وكان متكلياً عالماً أديباً له نثر جيد وشعر رقيق ، وقد بنى مذهبه الكلامي على الشك والتجربة . توفي سنة ٢٢١ هـ .

(٣) أهل الظاهر هم الذين ينكرون الرأي والقياس ، أسس المذهب داود الظاهري الأصفهاني الأصل ، البخدي الدار ، وعاد مذهبه إنكار القياس ، والاعتدال على أن في الكتاب والسنة ما يفي بمعرفة الواجبات والمحرمات ، والجري على تقديم ظواهر الآيات والأحاديث على التعليل العقلي للأحكام .

مات ببغداد سنة ٢٧٠ هـ ونشر مذهبه بعده ابنه محمد المتوفى سنة ٢٧٩ هـ .

وقد كثر أتباع المذهب بالعراق وفارس والأندلس ، ثم انقرضوا بعد المائة الخامسة .

وَعَبَّرَهُمْ مِّنْ نَّفَقَى الْقِيَاسِ فِي الْفِقْهِ . وَإِنْ كَانَ يَعْتَرِفُ بِالْقِيَاسِ فِي الشَّرْعِيَّاتِ فَالْقِيَاسُ فِي الشَّرْعِيَّاتِ كَالْقِيَاسِ فِي النُّحُوتِ ، لِأَنَّا عَلِمْنَا أَنَّ الْحِكْمَةَ الَّتِي دَعَتْ الْوَاصِعَ إِلَى رَفْعِ الْفَاعِلِ وَنَصْبِ الْمَفْعُولِ هِيَ الْوَجْهُ الَّتِي يَدَّكُرُهَا الشُّعَاةُ ، لَكُونِهَا مُنَاسِبَةً ، وَالْحُكْمُ ثَابِتٌ عَلَى وَفْقِهَا ، نَحْوُ قَوْلِهِمُ: الْفَاعِلُ لِلْفِعْلِ الْوَاحِدِ لَا يَكُونُ إِلَّا وَاحِدًا ، وَالْمَفْعُولَاتُ قَدْ تَكَثَّرَتْ وَتَعَدَّدَتْ ، وَالْفِعْلُ وَاحِدٌ وَيَتَعَدَّى مَعَ ذَلِكَ إِلَى أَشْيَاءَ ، كَالْمَفْعُولَاتِ فِي الْمَعْنَى نَحْوِ الْحَالِ وَالظَّرْفِ وَالْمَصْدَرِ ، فَكَانَ الْفَاعِلُ أَخْفَفَ لِقِلَّتِهِ ، فَأَعْطِيَ الرِّفْعَ وَهُوَ أَثْقَلُ الْحَرَكَاتِ تَعْدِيلًا بَيْنَ الثَّقِيلِ وَالْخَفِيفِ . وَنَحْوُ قَوْلِهِمْ : لَمَّا كَانَ الْفِعْلُ وَالْفَاعِلُ جُمْلَةً مُقْبِدَةً كَالْمَبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ أُعْطِيَ الْفَاعِلُ إِعْرَابَ الْمَبْتَدَأِ وَهُوَ الرِّفْعُ ، لِلْمُشَابَهَةِ بَيْنَهُمَا مِنْ الْجِهَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوُجُوهِ الَّتِي قَدْ ذَكَرْنَاهَا فِي كِتَابِ (الْعَبْقَرِيِّ الْحَسَنِ) وَذَكَرَهَا غَيْرُنَا ، فَصَارَ ذَلِكَ كَتَعْدِيلِ سُقُوطِ قَضَاءِ الصَّلَاةِ عَنِ الْحَائِضِ بِالشُّقَّةِ ، فَإِنَّهُ مُنَاسِبٌ ، وَقَدْ ثَبَّتَ الْحُكْمُ عَلَى وَقْتِهِ فِي سُقُوطِ قَضَاءِ الرُّكْعَتَيْنِ الْمُتَقَطْعَتَيْنِ مِنْ صَلَاةِ الظُّهْرِ فِي السَّفَرِ ، فَهَذَا تَعْدِيلٌ مُتَّفَقٌ بَيْنَ الْقَائِسِينَ عَلَى صَحَّتِهِ . وَلَمْ يَكُنْ لِقَائِلُ أَنْ يَقُولَ : مَنْ أَبَيْنَا عَلِمْتُمْ أَنَّ الْحِكْمَةَ الَّتِي دَعَتْ إِلَى إِسْقَاطِ قَضَاءِ الصَّلَاةِ عَنِ الْحَائِضِ هِيَ الْمَشَقَّةُ ، لِأَنَّ الشَّارِعَ لَمْ يَدَّكُرْ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا حَكَّمَ بِسُقُوطِ الْقَضَاءِ فَقَطْ وَلَمْ يَذْكُرِ الْعِلَّةَ .

قَالَ الْمُصَنِّفُ : فَأَمَّا نَثَرُ الْمَنْظُومِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا ، ثُمَّ ذَكَرَ لَهُ شُرُوطًا ، وَضَرَبَ مِنْ كَلَامِهِ أَمْثَلَةً أَكْثَرَهَا جَيِّدًا ، وَفِيهَا مَا لَيْسَ بِجَيِّدٍ مِثْلَ قَوْلِهِ : « فَتَسِرُّنَا فِي غَمَامَةٍ مِنَ الْكُتَاتِبِ ، تَظْلِلُهَا غَمَامَةٌ مِنَ الطُّيُورِ الْأَشْأَابِ ، فَهَذِهِ يَضُمُّهَا بَحْرٌ مِنْ حَدِيدٍ ، وَهَذِهِ يَضُمُّهَا بَرٌّ مِنْ صَعِيدٍ » (١) .

(١) يَتَصَرَّفُ وَابْتِصَارَ ١٧٤/١ وَأَصْلَحْنَا النَّصَّ مِنَ الْمَثَلِ السَّائِرِ .

وذلك لأن الصعيد وجه الأرض، والطيور التي تظل الجيوش إنما يضمها
بحر من الجو والهواء لا من الأرض .

ومثل قوله في ذكر الصليب : « ولم يعلموا أن الله كَتَبَ عليه المَوَانِ
عَقِبَ تلك الكرامة ، وأنه ذو شُعَبٍ أَرْبَع ، والتريعُ تخنُّسٌ
في عِلْمِ النُّجَامة ^(١) » .

فإن لفظة النجامة لفظة رديئة مستغفلة ، على أنا لا نَعْرِفُ صحتها أو
جَوَازَها ، ولا سمعناها اسماً للتنجيم ولا مصدرأ .

ومثل قوله : « قد عَدَّ الخادم احتمالَ تثقله من جُمْلَةِ الأيادي التي
أثْقَلَتْهُ ، وأراد أن يَجْرِي معها بسوايقِ شُكْرِهِ فَأَعَجَلَتْهُ وما أَمْهَلَتْهُ
وهو الآن مُرْتَهَنٌ منها بَيْنَ قَدِيمٍ وَجَدِيدٍ ، وأصبح كَخِرَاشٍ إِذْ
تَكَاثَرَتِ الظُّبَاءُ عليه فلا يَدْرِي لِيَكْثُرَتْها ما يَصِيدُ ^(٢) » .

فإن تشبيه نفسه بخِرَاشٍ قبيحٌ جداً ، لأنه إن كان لا يعلم أن خِرَاشاً
في هذا البيت اسم كلب فهو معذور ، حيث لم يَعْرِفْ مُرَادَ الشاعر ، وإن
كان يَدْرِي فقد شَبَّه نفسه تشبيهاً قبيحاً . أليس هو الذي استقبح في هذا
الكتاب قول الرُّضَوِيِّ المَوْسَوِيِّ ^(٣) :

يَعَزُّ عَلِيٌّ أَنْ أَرَاكَ وَقَدْ خَلَعْتَ مِنْ جَانَبَيْكَ مَقَاعِدُ الْعَوَادِ ^(٤)
لأجل لفظة « مقاعد » ؟

(١) ١٧٧/١

(٢) ١٧٩/١

(٣) هو الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى ينتمي نسبه إلى الحسين
ابن علي ، ولد ببغداد سنة ٣٥٩ هـ ، وتوفي بها سنة ٤٠٦ هـ وكان من أكابر الشعراء والعلماء .

(٤) الرواية الصحيحة للشرط الأول كما رواه ابن الأثير ٢٩٧/١ :

• أعز علي بأن أراك وقد خلا •

وقول أبي الطيب المتنبي :

أَذاقَ الْغَوَانِي حُسْنَهُ مَا أَذَقْنِي وَعَفَّ فَجَازَاهُنَّ عَنِّي عَلَى الصَّرْمِ^(١)
لأجل لفظة « الصرم » .

وقول أبي تمام :

أَعْطَيْتَنِي دِيَةَ الْقَتِيلِ وَلَيْسَ لِي عَقْلٌ وَلَا حَقٌّ عَلَيْكَ قَدِيمٌ^(٢)
لأجل قوله « ليس لي عقل » .

ومثل قوله^(٣) في صفة فرس : وَخَلَفَهَا جَنِيبٌ مِنَ الْخَيْلِ يُقْبِلُ
بِجِدْعٍ وَيُدِيرُ بِصَخْرَةٍ ، وَيَنْظُرُ مِنْ عَيْنٍ جَحْظَةٍ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ
حَشْرَةٍ^(٤) فَإِنَّا مَامَسْمَعُنَا إِلَّا عَيْنًا جَاحِظَةً وَلَمْ نَسْمَعْ جَحْظَةً ، وَلَوْ قَالَ
مِنْ عَيْنٍ حَذَرَةٍ لَاسْتَغْنَى عَنْ جَحْظَةٍ الَّتِي لَمْ تَسْتَعْمَلِ .

وقد كان زاد في القرائن قرينة وأتى بلفظة امرئ القيس في قوله :

(١) صححنا البيت من ديوان المتنبي ، وهو من قصيدته في مدح الحسين بن إسحاق التتويحي
التي مطلعها :

مَلَامِي النَّوَى فِي ظَلْمِهَا غَايَةَ الظُّلْمِ لَعَلَّ بِهَا مِثْلُ الَّذِي بِي مِنَ السُّقْمِ
الديوان ٣٢٠/٢

وقد استقبح ابن الأثير بيت المتنبي وقال : وإن الصرم في اللغة القطع ، فغيرها العامة ،
وجعلتها دالة على الخلل المخصوص من الحيوان دون غيره فأبدلوا السين صاداً ، ومن أجل ذلك
استكروه استعمال هذه اللفظة وما جرى مجراها ، لكن المكروه منها ما يستعمل على صيغة الاسمية ،
كما جاءت في هذا البيت . وأما إذا استعملت على صيغة الفعل كقولنا : صرمة وتصرم فإنها لا تكون
كربة ، لأن استعمال العامة لا يدخل في ذلك .

(المثل السائر ٢٩٠/١) .

(٢) من قصيدته في مدح محمد بن الهيثم بن شبابة التي مطلعها :

أَسْقَى طُلُومَ أَجَشِّ هَزِيمٍ وَغَسَدَتْ عَلَيْهِمْ نَفْثَةٌ وَنَعِيمٌ

الديوان ٢٩٢/٣ .

(٣) يريد ابن الأثير .

(٤) من كتاب له ١٨٦/١

وَعَيْنٌ لَهَا حَذْرَةٌ بِدْرَةٌ شَقَّتْ مَا قَبِيهَا مِنْ أُخْرٍ^(١)

والعين الحذرة هي المكتنزة الصلبة .

ومثل قوله : إن إنساناً كلفه أن يرصع قوله « إن الملائكة لا تدخلُ بيئاً فيه صورة ولا تمثال » في فصل من الكتابة فقال « قد أصبح الخادم وليس بقلبه سوى الولاء والإيمان ، فهذا يظهر أثره في طاعة السر ، وهذا في طاعة الإعلان ، وما عداها فإن دخولَه إلى قلبه من الأشياء المحظورة ، والملائكة لا تدخلُ بيئاً فيه تمثال ولا صورة »^(٢) .

فإن ترصيع الخبر في هذا المقصد بعيد جداً ، لأن الولاء والإيمان ليسا بصورة ولا تمثال . ثم إن ما عداها أمر يعُمُّ ويتسع جداً إلى ما لا نهاية له ، وقد يكون مضاداً لها كالكفر والنفاق ، ولا يحسن أن يقال الكفر ونية الخروج على الإمام لا يدخلان في قلب ، لأن الملائكة لا تدخل بيئاً فيه صورة ولا تمثال ، ولا هذا مناسبٌ ذاك ، ولا قريبٌ منه . وقد سألت بعض الأصدقاء هل يمكن استعمالُ هذا الخبر في الكتابة وإخراجه في معرض آخر ، أطف من هذا . فقلت : قد يمكن ذلك بأن يكتب إلى صديق أو حبيب : قد تمثّلت صورتك في سواد العين وسويداء الجنان ، وملأت أقطارها ، فلم يبقَ غيرها فيها مكان ، فإذا صليت الظهر لم أعلم أركعتان هي أم ثمان ؟ وقد منعت صورتك القلبية تحلها من اعتقاد الهدى ، وفرغته لاعتقاد الضلال ، لأنهما من آثار الملك والشیطان ، والملائكة لا تدخل بيئاً فيه صورة ولا تمثال .

(١) صوبنا البيت من لسان العرب مادة أخر . قاله امرؤ القيس في وصف فرس حبر - أنى - عين حذرة : مكتنزة صلبة . بدرة : تدور بالنظر ، ويقال هي التامة كالبدرة . شقت من أخر : مفتوحة كأنها شقت من مؤخرها .

(٢) المثل السائر ١/٢٢٥ .

واعلم أن هذا الباب وهو حلّ النظم هو عين هذا الكتاب وخلاصته
ووجه جميعه ، وطراز حلّته ، وكأنه لم يُصنّفهُ إلا لأجله ، وليظهر
صناعته فيه .

على أن كتابته كلها إذا تأملتها العارف بهذا الفن وجدها من هذا الباب ،
لأنها إما مخلول منظوم ، أو ترصيع آية أو خبر أو مثل أو واقعة ، وهذه
إحدى طرائق الكتاب عندي ، وإليها أذهب ، ولها أستعمل .

وقد كنت شرعت في حلّ سيفيات أبي الطيب المتنبي^(١) لشهرتها ،
وغلبتها على ألسنة الناس ، وأن أجعل ذلك كتاباً مفرداً أتقرب به أيضاً
إلى الخزانة الشريفة - عمرها الله تعالى - فخرج بعضه ، وصدف على
إتمامه عوائق الوقت أو شواغله .

وأنا أورد هنا بعض ذلك ، ليكون معارضاً لما جاء به هذا الرجل ،
ولكيلا يكون كتابنا هذا مقصوراً على المناقضات النظرية والمواخذات
الجدلية في علم الكتابة فقط ، بل يكون حاكياً لذلك ، وجزءاً من الكتابة
نفسها .

فصل في التهئة بعيد :

« لازالت المواسم تغشاك وأغصانها وريقة » ، وحداثتها أنيقة ،
والأعياد تلقاك ، وأنت عيدها على الحقيقة ، ولا برحت تهتصر من
الشباب لدناً رطيباً ، وتنضو من الأعياد سملاً وتلبس قشياً ،
فهذا اليوم الشريف في الأيام مثلك في الأنام ، لكنه أوحد عام محصور ،

(١) سيفيات المتنبي : هي قصائده في مدح سيف الدولة بن حذان أمير حلب والموصل .

وأنت أوحـد الأعوام والـدهور ، ولا أحـيلُ ذلـكَ علـى تخـضـ الجـد الذي
أسـهـركَ ، وحـاسـدُك راقـدٌ ، وشانـتـك قاعـدٌ .

هـذا مـحـلـول قـولـه :

هـنـيئاً لك العـيـد الذي أنـت عـيـدُه وعـيـدٌ لـمـن سـمـى وضـحـى وعـيـدا
ولا زالت الأعياد لبـسـك بعـده تسـلم مـخـروفاً وتـعـطي مـجـدا
فـذا الـيـومُ في الـأيـام مـثـلك في الـورى كـما كـنتَ فـيـهـم أوـحـدا كان أوـحـدا
هو الجـد حـتى تـفـضـلَ العـيـنُ أختـها وحـتى يـكـون الـيـومُ للـيـوم سـيـدا^(١)

وقـد زـدت علـيـه بأن جـعلـت تـوحيـده بالاسـتـحـقـاق لا بالـجـد والإنـفاق ،
فـيـه زيـادـةٌ أـخـرى وهـي عـمـومُ تـوحيـده وخصـوصُ تـوحيـد العـيـد في أيـام
العام مـفـردـة .

فـصـل في لـقـاء عـقـد :

« فـلو كـشـف لك عـن قـلوـبـنا لرأيت الشـوق قـد فـعل فـيـها يـبـر حـائـه ، فـعـلـ
قـنـا الأـمـير في صـُـدور أـعـدائـه ، فإـنـه جـعـلـهـم هـلـكـى بـطـعـنـون مـخـلـوجـةٌ
وسـلـكـى ، فـالـفـضـاء الرـحـبُ لـديـهـم أـحـرَجُ مـن التـابـوت . ونـسـجُ داوـد
عـلـيـهـم أوـهـنُ مـن بـيـت العـنـكـبـوت . »

هـذا مـحـلـول قـولـه ^(٢) :

(١) مـن مـدحـه لـسـيف الـدولـة ، و تـهـنـئـته بالـعـيـد .

الـديـوان ١/ ١٨٩ .

(٢) مـن قـصـيـدة في مـدح سيف الـدولـة ، مـطـلـمـها :

لـعـيـنـك ما يـلقـ الفـؤاد وما لـقي ولـلـحـب ما لم يـبـسـق مـنـي وما بـقي

الـديـوان ١/ ٤٦١ .

أبـو الـهـيـجـاء : والـد سيف الـدولـة : الفـليـق : الـكـتـيـبة مـن الـلـيـش . نسـج داوـد : الـدروـع .

الـحـدـرنـق : العـنـكـبـوت .

نُودَ عَنْهُمْ وَالْبَيْتُ فَبِنَا كَأَنَّهُ قَتَا ابْنَ أَبِي الْهَيْجَاءِ فِي قَلْبِ فَيْلَقٍ
قَوَاضِ مَوَاضٍ نَسَجُ دَاوُدَ عِنْدَهَا إِذْ أَوْقَعَتْ فِيهِ كَنْسَجَ الْخَدَرِ نَتَقَ
وَفِيهِ أَيْضًا حَلَّ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

نَطَعْنَهُمْ سُلُوكِي وَمَخْلُوجَةٌ كَرَكَ لِأَمْسَيْنِ عَلَى نَابِلٍ^(١)

فصل في وصف منهزم :

« أَجْفَلَ إِجْفَالَ النَّعَامِ ، وَانْقَشَعَ انْقِشَاعَ الْغَامِ ، يَتَوَهُمُ كُلُّ حَفِيفٍ
يَسْمَعُهُ رَشَقَ نَابِلٍ ، وَبَرَى الْأَرْضَ فِي عَيْنِهِ كَيْفَةَ حَابِلٍ . وَقَدْ كَانَ
أَبَى أَلَا يَنْكُصُ لَهُ قَدَمٌ ، وَعُقْبَى يَمِينِ الْجَبَانِ حَنْثٌ وَكَدَمٌ ، وَإِذَا
تَزَلَزَلَتِ الْأَقْدَامُ لَمْ تَرُدَّ الْيَمِينُ فِي الْإِقْدَامِ ، وَالْحَرْبُ يُحَسِّنُ الْهَزَامَ ،
وَيُغَيِّرُ الْعِزَامَ ، وَيَجْعَلُ أَهْوَنَ شَيْءٍ مَا يَقُولُ اللَّوْثُ » .

هذا محلول قوله :

عُقْبَى الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَعَى نَدَمٌ مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمِ^(٢)

وقوله :

وَالْعِيَانُ الْجَلْكِيُّ مُخْدِرٌ لِلْظَّنِّ زَوَالًا وَلِلْمُرَادِ انْتِقَالًا^(٣)

(١) من قصيدته التي مطلعها :

يَا دَارَ مِثَّةٍ بِالْحَائِلِ فَالْهَبِ فَالْجَبِيتِ مِنْ عَاقِلِ

الديوان ١٥١ ولسان العرب مادة لَام .

سلكى : مستقيمة : مخلوجة : معوجة . كرك لأمين على نابيل : مر الشاعر بنابيل وصاحبه

يناوله الريش في سرعة فشي به .

(٢) مطلع قصيدته في مدح سيف الدولة حينما قيل في مجلسه إن البطريق أقسم عند ملك الروم

أنه سينتصر على سيف الدولة ، وسأله أن يتجده بالهاريين ، ففعل ، فانهزم .

(الديوان ٢٩٤/٢) .

(٣) صححنا البيت من الديوان . وهو من قصيدة في مدح سيف الدولة لما نهض لينقذ ثغر

الحدث من الروم ، ومطلعها :

فِي الْمَعَالِي فَلْيَمْلُكُوا مِنْ تَمَالَى هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَا

(الديوان ١٠٩/٢) .

وقول بعض شعراء الحماسة :

ملاّت عليه الأرضَ حتى كأنها من الضيق في عَيْنِهِ كَفَّةُ حَابِلٍ^(١)
وقول القائل :

إذا هبَّتْ النُكْبَاءُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَأَهْوَنُ شَيْءٍ مَا يَقُولُ الْعَوَاذِلُ

فصل في الصفح عن الجرائم :

« سَيْفُ الْإِحْسَانِ وَالْإِجْمَالِ أَقْتَلُ مِنْ سَيْفِ الْقَتْلِ وَالْإِسْتِخْصَانِ ،
وطالما غلَّ يداً مُطْلِقُهَا ، واستَرَقَ رَقَبَةً مُعْتَقُهَا ، إلا أن اللّثيم يُفسده
الإحسان ، ويصلحه الهوان ، كما يَنْتَفِرُ من الضمير ذُو الْأَنْفِ الْحَسِيِّ ،
ويَقِيرُهُ عنه فِرَارُ الطَّائِرِ الْوَحْشِيِّ » .

هذا محلول قوله :

وما قتل الأحرارَ كالعفو عنهم وَمَنْ لَكَ بِالْحَرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا ؟!

إذا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّثِيمَ تَمَرَّدَا^(٢)

وقال الرَّضِيُّ الْمَوْسَوِيُّ :

(١) القائل هو الطرماح بن حكيم الطائي وهو من فحول الشعراء الإسلاميين وفصحائهم، وكان صديقاً للكثير ، والبيت من أبيات له بديوان الحماسة .

الكفة : يجوز أن يريد بها الحفرة التي ينصب فيها الخابل الحباله ، أو يريد بها ناموس الصياد ، أو هي الحباله نفسها ، لأنها تحبل كالطوق ، وهذا أقرب لأن الخليل فسر الكفة عل ذلك ، وجازت إضافتها إلى الخابل كما تضاف الحباله إليه .

الخابل : ناصب الحباله (شرح المزدروقي ٢٢٨/١) .

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة وتهنئته بالعهد ، مطلعها :

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

(الديوان ١٩١/١) .

(الفلك الدائر — م٧)

ما مقامي على الهوان وعندى مِقُولٌ صارمٌ وأنفٌ حَمِيٌّ
ولِباءٌ مَخْلَقٌ بى عن الضيم كما رَاغ طائرٌ وحشيٌّ^(١)
وأدخلت أيضاً فيه لفظة لبعض الخوارج قالها لقطري بن الفجاءة^(٢) ،
والقصة مشهورة .

فصل في ذكر المراسلة :

« وتوالت منهم رسائل جعلوها عليهم أذراعاً ، وقصدوا بها تَرْجِيَةً
للوقت ودفاعاً ، فظاهرها الإعظامُ لنا والإجلالُ ، وباطنها الإرجاء لهم
والإمتهال » .

هذا محلول قوله :

دروعٌ لِمَمْلَكِ الرومِ هَذِي الرِسايلُ يَرُدُّ بها عن نَفْسِهِ وَيُشَاغِلُ
هي الزَرْدُ الضافي عليه ولفظها عليك ثناء سايع وفضائل^(٣)

فصل :

« باب المعمور كعبةً آخِيًا ، ومغناطيس الشَّفا ، فالملوك تقبِّلُ بساط
ديوانه ، وتَقْصُرُ عن تقبيل كمنه وبَنانَه » .

هذا محلول قوله :

(١) ديوان الشريف الرضي ٥٤٦ وقد سبق التعريف به .
(٢) زعيم من زعماء الخوارج شاعر خطيب .
(٣) من قصيدته في مدح سيف الدولة حينما جاء إليه رسول ملك الروم (الديوان ٩٠/٢)
ورواية الديوان (يرد) بدلاً من (يذب) التي في الأصل .

تقبل أفواه المملوك بساطته ويكبر عنها كمنه وبراجمه^(١)

فصل :

« إذا كان الهوى من القلب في الشغاف والصميم ، واللوم يحوم حول ذلك الحمى والحريم ، وكلما شاهد الحرّ فتي ثار ، وكلما عابن النار استطار ، لا جرم أنه يستحيل جوهره هباء ، ويندّ هب زبده جفاء ، ويثبت في محله ذلك الهوى ، ويلقي عصاه ، ويستقر به النوى » .

هذا محلول قوله :

عذل العواذل حول قلب التائه وهوى الأحيّة منه في سواده
يشكو الملام إلى اللوائم حرّه ويصد حين يلمن عن برّحائه^(٢)

وقول الأوّل :

فألقّت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر

فصل في ذكر معقل :

« حمّاها فأجلّى ، وبنّاها فأعلى ، وزيّرا المران تضطرم ، وأمواج الأرماع تلتطم ، وشبّا الظبّا يصطدم ، ولظى الوغى تحتدم ، فقترت بعد انزعاجها ، وسلمت بعد ارتجاجها ، وشفيت من ألها ، وبرئت من لَمَمِها ، وأصبحت متقلّدة بغائم من أشلاء الفوارس ، تدفع عنها عَيْنَ العائن ونَفْسَ النّافس ، وليست كقلائد عَرَاف اليمامة وعَرَاف نجد ، ولكنها قلادة طرّفاها الشرف وأسطنها المجّد » .

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

وفاؤكما كالربيع أشباه طاسه بأن تمدا والدمع أشفاء ساجبه
البراجم : مفاصل الأصابع ، مفردا برجمة .

(ديوان المتنبي ٢/٢٣٩) .

(٢) الديوان ١/١

وقد حللت في هذا قوله في وصف قلعة الحدث :

بناها فأعلَى والقَتَا يقرَعُ القَنَسَا وَمَوْجُ المَنَايا حَوَّهَا مُتَلَاطِمُ
وكان بها مثل الجنونِ فأصبَحَتْ ومن جُثَّتِ القتلى عليها تماثِمُ^(١)
وأشرت فيه إلى قوله صلى الله عليه وسلم للحسن والحسين عليهما السلام :
« أعيذكما من عَيْنِ العَائِنِ ، ونَفْسِ النَّافِسِ »^(٢).

وإلى قول عروة بن حزام :

ضمنت لعراف اليمامة حُكْمَهُ وعَرَّاف نجد إن هما شفياني^(٣)

وقد نثر هذا المصنف هذين البيتين ، فقال : « بنائها والأسنةُ في بنائها
متخاصمةٌ » ، وأمواج المنايا فوق أيدي البانين متلاطمة ، فإِ حَلَّتِ الحرب
عنها حتى زلزلت أقطارها بركُضِ الجِيَادِ ، وأصببت بمثل الجنون ،
فعلُقَّتْ عليها تماثِمُ من الرؤوس والأجساد ، ولا شك أن الحرب تُعَرِّدُ
عَمَنُ عَرَّ جَانِبِهِ ، وتقول : أَلَا هَكَذَا فليَكْسِبِ المَجْدَ كَاسِبِهِ »^(٤)

ونزرها على أسلوب آخر فقال : « بنائها ودُونَ ذلك البناء شَوْكُ

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما بنى ثغر الحدث ، ومطلعها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
(الديوان ٢٦٩/٢) .

(٢) النفس : من معانيها العين والحسد ، يقال : نفسه بنفسه إذا أصابه بعين (القاموس
المحيط مادة نفس) .

(٣) عروة بن حزام بن مهاصر شاعر غزل عذرى قصر حبه على عفراء بنت عمه ، وحالت
عوائق دون زواجه بها ، فمرض حتى قضى نحبه سنة ٢٨ أو ٣٠ .
ورواية البيت (جعلت) بدلاً من (ضمنت) .

الأغاني ١٥٣/٢٠ وقوات الوفيات لابن شاكر ٣٥/٢ وتزيين الأسواق لداود الأنطاكي ٧٥ .
(٤) المثل السائر ١٦٨/١

الأسل ، وطوفان المنايا الذي لا يقاوي منه إلى جليل سل ، ولم يكن بناؤها إلا بعد أن همدت رءوس^١ عن أعناق ، وكأنما أصيبت بجنون فعُلِّقَت القتل عليها مكان التهام ، أو شينت بعطل^٢ فعُلِّقَت مكان الأطواق^(١) .

ومن^٣ عنده أدنى ذوق^٤ في فن الكتابة يعرف الفرق بين كلامنا وهذا الكلام .

وقد نثر هذا الكاتب البيت الثاني خاصة فجاء أصلح مما قاله في نثر البيتين وهو : « سرى إلى حصن كذا مستعيداً منه سبية^٥ نزعها العدو اختلاصاً ، وأخذها مخادعة^٦ لا اقتراساً ، فأنزلها حتى استقأداها ، ولا نزلها حتى استعادها ، وكأنما كان بها جنون فبعث لها من عزائم عزائم ، وعلق عليها من رءوس القتل تمام^(٢) » .

وهذا وإن كان حسناً لكن الزيادات العجيبة والتسميطات والأسجاع التي أتينا بها نحن تزرى على ما أتى به هذا الكاتب ، وتجاوزته أضعافاً مضاعفة .

فصل :

« أنا أستعين بك عليك ، فالخصومة فيك ومنك وإليك ، وأستريح عدل قضائك الذي عمّ الخلق وعداني ، وشمل الناس وتخطاني . وأعيد^٧ مرآة فيكرك وهو الجوهرة الشريف ، والشغاف اللطيف ، ألا يظهر فيها تلييس الحاسد ، وبهتان الكاشع المعانيد ، وأخلاق التي تظلم^٨ إذا قيست في اللطافة بالسلافة ، وفي الصفاء بالصهباء ، أن تحمل قنذى الغيش الصراح ، وهي ألطف من أن تمزج بالماء القراح^٩ » .

(١) المثل السائر ١٦٨/١ .

(٢) المثل السائر ١٦٨/١ ومنه أصاحتنا النص .

هذا محلول قوله :

يا أعدل الناس إلا في معاملتي
فيك الخِصام وأنت الخِصمُ والحكم^(١)

وقول غيره :

أخلاقك الغرُ الصفايا مالها
واللبسُ في مكنون رأيك ماله
حَمَلَتْ قَدَى الواشين وهي سُلَافُ؟
يَخْفَى وأنت الجوهر الشَّفَافُ ؟

فصل في صفة جيش :

قد تَسَرَّبَلَ قميصاً من الزرَدِ المحكَمِ إلا أنه 'مَحْمَلٌ' بالرَّماح ،
وتردَّى بُرداً من النقع المظلم إلا أنه مُعَلَّمٌ بِوَمِضِ الصَّفاح ، تَسَحَّبُ
جِبادُهُ الحديد فتخالها تمشي بغير قوائم ، وتستغني بعده عن الخالِب بعد أن
خُلِقَتْ رِماحه والصوارم ، ولا يعرف في بريقه البرامك فالثيابُ مِثْلُهَا
والعائم ، وبطن حديد ماء ، وهو يَخْدَع خَدْعَ السراب ، تُحَسَّبُ
خِيَالَتُهُ ساكنةً وهي تمرّ مرَّ السحاب .

هذا محلول قوله :

ومَلْمُومَةٌ زَرْدٌ ثوبها ولكنه بالقنا 'مَحْمَلٌ'^(٢)

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

واحر قلباه من قلبه شيم ومن بجسي وحالي عنده سقم

(الديوان ٢٥٨/٢) .

(١) من مدحه لسيف الدولة مطلعها :

أيقدح في الحمية العذل وتشمل من دهرها يشمل

(الديوان ٦٢/٢) .

وقوله :

أتوك يجرون الحديد كأنما سَرَوَا بجياد ما هن قوائمُ
إذا بَرَقُوا لم تُعرفِ البيضُ منهم ثيابُهُمُ من مثلها والعائمُ

وقوله :

وما ضَرَّهَا خَلْقٌ بغيرِ غَالِبٍ وقد خُلِقَتْ أسِافُهُ والقوائمُ^(١)

فصل :

« العادةُ طبيعةٌ غالبيةٌ ، وسَجِيَّةٌ إلى فعل المعتاد جاذبة . وعادتك
طَعْنُ الأحقاد ، وضرب الأعناق ، وطِيَالُ ونبالِ يهويان ذاك ، وأنت
تُبْلَغُ النفوسَ هَوَاها ، والقلوبَ مَنَاهَا ، فأَجْرُمَتِهما على أعْرَاقك ،
ومعهود عوائدك وأخلاقك ، فإن الملك لا تَثْبُتُ دعائمه ، حتى تُخَفِّصَ
بالدمِ صَوَارِمُهُ » .

هذا محلول وقوله :

لكل امرئٍ من دهره ما تَعَوَّدَا

وعاداتُ سَيِّفِ الدولةِ الطعنُ في العدا^(٢)

وقوله أيضاً :

لا يَسْلَمُ الشرف الرفيع من الأذى حتى يُرَاقَ على جوانبه الدمُ^(٣)

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
(الديوان ٢٧٢/٢) .

(٢) مطلع قصيدته في مدح سيف الدولة .

(الديوان ١٨٥/١) .

(٣) من قصيدته التي مطلعها :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرماً نظرت وغلّت أنى أسلم
الديوان ٣٨٣/٢

وقول ابن هند :

سيوفك تهوى أن تبيح لها العدا فلا تحرمها إن عادتك النداء

فصل في نثر قوله :

لا تعذُل المشتاقَ في أشواقه حتى يكون حشاك في أحشائه^(١)
نثره هذا المصنف فقال : « لا تعذُل الحب فيما يهواه ، حتى تطوي
القلبَ على ما طواه »^(٢) .

ونثره أيضاً على وجه آخر فقال : « إذا اختلفت العينان في النظر ،
فالعذُلُ ضربٌ من الهذر »^(٣) :

وقد نثرناه نحن على وجوه منها : « لا تعذُل الحب في حبه ، حتى
ينطق لسانك عن قلبه » ، ومنها : « المتنبول يعذُل المتنبول ، والفارغُ
مُغرَى بالمشغول » .

ومنها : « لو ذقت ما يُلوق العاشق لترك عذله وعرفت عذره ،
ومن يصنع يده في الماء يجده برده ويعرف حره » ومنها : « إذا لم
يتوارد القلبان على مؤرد واحد ، فالعاذل يصرب في حديد بارد » .

(١) من قصيدته التي مطلعها :

القلب أعلم يا عذول بدائه وأحق منك بحفنه وبائه
الديوان ٣/١

(٢) المثل السائر ١/١٦٦

(٣) المثل السائر ١/١٦٦

ومنها: «لوانحدت الغرائز والأخلاق ، لعذّرت المشتاق في الأشواق ،
ولكن النفس الواحدة لا تُدبّر تدبيرين ، كما لا يكون الاثنان واحداً
ولا الواحد اثنين » .

ومنها : « لو كنت تود بقلبي ، وتراني بطرفي لعذّرتني فيما أبدي ،
ورحمتني مما أخفي » وفي هذا إشارة إلى قوله في هذه القصيدة :
ما الخلل إلا من أودُّ بقلبه وأرى بطرف لا يرى بسوائه^(١)

فصل في صفة السيوف :

« فَتَهْدُنَا إِلَيْهِمْ وَفِي أَيْدِيهَا النَّارَ الْمَوْقَدَةَ فِي الرَّعْوسِ ، المعبودة قبل
ملة الخجوس ، التي لا يفسدها الماء ، ولا يطفئها الهواء ، ولا تحرق الأغصان ،
ولا خمدت ليلة الميلاد . ترمي بالدم بالشرر ، وتوقد بالناس لا بالحجر ،
تحكم تارة بالتعظيم وتارة بالتصغير ، وتجمع قوماً جمّع السلامة ، وقوماً
جمع التكسير » .

هذا محلول قوله :

وفي أكفهم النار التي عبيدت قبل الخجوس إلى ذا اليوم تضطرم
هنديّة إن تصغر معشراً صغروا بحدّها أو تعظم معشراً عظموا^(٢)

وقد زدت عليه زيادات كثيرة ، ورمزت إلى الخبر الوارد في أن نار
فارس خمدت ليلة ميلاد نبينا صلى الله عليه وسلم ، وخرجت إلى قوله تعالى :

(١) الديوان ٤/١

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك في إقدامك القسم

الديوان ٣٠٠/٢

« إنها تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ »^(١) وقوله سبحانه « وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ »^(٢) ثم خرجت إلى نكتة نحوية، وهي جمع السلامة وجمع التكسير.

فصل :

السيف بالضارب لا بمضاء المتضارب ، والحسام في يد الجبان كهَام ، والكهَام في يد الشجاع حُسام ، ولذلك قال عمرو لعمر : لا لَوْمَ عَلِيٍّ ولا حَيْفَ ، فإني لم أنحلِّك الساعد ، وإنما نحلَّتكَ السيف .

هذا محلول قوله :

إن السيوف مع الذين قلوبُهم كقلوبهن إذا التقى الجمعان
تَلَقَّى الحسام على جراءة حَدَّةٍ مِثْلَ الجبان بكف كل جَبَانٍ^(٣)

فصل في العتاب :

« العتاب نسيم الحياة ، والعتبُ سَموم الحياة ، فأنا أعاملُك بالأول ، لأنه من شيم الأجاب ، والود باق ما بقي العتاب ، وأجِلُ مجدك الرفيع المباني عن المعاملة بالثاني . »

نظرت في هذا إلى قوله :

هذا عتابك إلا أنه مِقَّةٌ قد ضَمِنَ الدُّرَّ إلا أنه كَلِمٌ^(٤)

(١) سورة المرسلات : الآية ٣٢

(٢) سورة التحريم : الآية ٦

(٣) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

الديوان ٤٣٢/٢

(٤) من قصيدته في عتاب سيف الدولة ، مطلعها :

واحر قلباه من قلبه شيم ومن يحسى وحالي عنده مقم

الديوان ٢٦٦/٢

فصل في ذكر السبايا :

« فلم يعتصم منا إلا ربات الفِتاح والوشاح^(١) ، ومن شيمها جرّ الذبول
لاجرّ الرماح ، فإِنَّهن طعن فيه بالعدو بالمرآن ، وكان هن أوجه شفيح
إلينا ، وهو الشفيح العُريّان ، فنحن بين لاهٍ ولاعب ، وأهلهن عليهن بين
باكٍ ونادب ، وهذه سجية الدنيا تعمّر البيت بخراب البيت ، وتُميت
الحيّ بحياة الميت » .

هذا محلول قوله :

فلم يَبْقَ إلّا مَنْ حَمَاهَا مِنَ الظُّبَا لَمَيَّ شَفَتَيْهَا وَالثُّدَيَّ النَّوَاهِدُ
تُبَكِّيْ عليهنَّ البطاريقُ في الدُّجَى وهنَ لَدِينَا مُلْقَيَاتُ كَوَاسِدُ
بَذَا قَضَتِ الْأَيَّامَ مَا بَيْنَ أَهْلِهَـَا مَصَابِ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ^(٢)
وقد رمزت فيه إلى قول القائل :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْمُخَصَّنَاتِ جَرُّ الذُّبُولِ^(٣)
وقول آخر :

ليس الشفيح الذي يأتيك مؤتزرا مثل الشفيح الذي يأتيك عريانا

(١) الفِتاح : جمع فتحة وهي الخاتم أو الخللخال .

الوشاح : آدم عريض مرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحتها .

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

عواذل ذات الحال في حواصد وإن ضجيع الخود مني لماجد

الديوان ١/١٨٣

(٣) قائله عمر بن أبي ربيعة - الأغاني ٨/١٣٣

فصل في نثر قوله :

إن القَتِيلَ مُضَرَّجًا بدموعه مِثْلُ القَتِيلِ مُضَرَّجًا بدمائه^(١)
نثره المصنّف فقال « القَتِيلُ بسيف العُيُون ، كالقَتِيلِ بسيف الُمَنُون ،
غير أن ذاك لا يُجَرِّدُ من غمده ، ولا يُقَادُ صاحبه بعمّده » .

ونثره على وجه آخر فقال : « دَمَعُ الحب ودم القَتِيل ، متفقان في
التشبيه والتمثيل ، ولا تَجِدُ بينهما بَوْنًا ، سوى أنهما يختلفان لونًا »^(٢) .

وقد نثرناه نحن على وجوه منها : « القَتِيلُ المَتَشَحَّطُ في نَجِيعه ، كالعاشق
المنخرط في دموعه ، وكلا المائنين دمٌ » ، إلا أن هذا سأل على أصل الخِلقة ،
وهذا صعد من حرقة الفُرقة » .

ومنها : « القَتِيلُ الذي قطعت شرايينُ نَجِيعه ، أرواحُ من القَتِيلِ الذي
قطعت شرايينُ دموعه ، فذاك قد فارق الدنيا فأَمِنَ شَرَّها وخيرها ، وهذا
كلما نضجت جلوده بُدِّلَ جلوداً غيرها » .

ومنها : « الدمع دمٌ أَحَالَتْ لونه نارُ الهوى فابيضَّ ، وقطعتْ سِلْكُهُ
يَدُ النَوَى فتبدَّدَ وارفَضَّ ، ولا فَرَّقَ بينهما عند البَصَرِ والبصيرة ،
إلا أن هذا يَسِيلُ من عَضْوٍ واحد ، وذاك من أعضاء كثيرة » .

ومنها : « مصارع العشاق كمصارع الشجعان ، يتماثلان في المعنى ، وإن

(١) ديوان المتنبي ١/هـ وقبله قوله :

لا تعذل المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك في أحشائه
فجعل جريان الدموع كجريان الدماء لأن العاشق مثل القَتِيل .

(٢) المثل السائر ١/١٦٦

اختلفا في العيان ، وكلا القتيلين شهيداً ، فهذا نَزِيفٌ من العَيْنِ وذاك من الوَريدِ » .

فصل :

فله آراءك التي نَكَسَّتِ القومَ عن صَهواتِ الشَّواهِقِ لامن صَهواتِ السَّوابِقِ ، وَطَعَنْتَ فُرُسانَهَا بِرِمَاحِ الكَيْدِ وَالْخَطِّ لَا بِرِمَاحِ سَمِّهِرٍ وَالْخَطِّ^(١) ، فَكأنما كانت جبالها تشكو عَطْلَ الأعناقِ ، فَتَنَظَّمَتْ جِيَادُكَ لَهَا مَكَانَ القَلَانْدِرِ ، وَأَدْرَتْهَا مَكَانَ الْأَطَواقِ ، وَخَصَبَتْ ذَلِكَ الصَّعِيدَ بِخَضَابٍ مِنَ الدَّمَاءِ لَامِنِ الكَتَمِ^(٢) وَالْخَنَاءِ ، وَجَعَلَتْ حِمَامَهُ سُجُوداً فِي غَيْرِ مَحْرَابٍ ، وَهُجُوداً لَا يَرَوْنَ حُكْماً إِلَّا حُكْمَ الْعَذَابِ ، وَكَمْ هَدَّيْتُمْ لَهُمْ مِنْ حِصْنٍ بَعْدَ حِصْنٍ ، فِي مَشْهَدٍ بَعْدَ مَشْهَدٍ ، وَأَعَدْتُمْهَا أَطْلَالاً ، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ لِحَوْلَةٍ بِبُرْقَةٍ تَهْمَدُ ، وَجَعَلْتُمْ عِمَارَةَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ كَرَوَاجِعِ الْوُشُومِ فِي نَوَاشِرِ الْمَعَاصِمِ ، وَأَذَقْتَ الرَّدَى أَهْلَهَا وَالْخَنَادِلَ ، وَسُقَّتْ مَا فَوْقَ الْمَعَالِقِ حَتَّى كَدَّتْ تَسُوقُ الْمَعَالِقِ » .

هذا محلول قوله :

تَنَكَّسَهُمُ وَالسَّابِقَاتُ جِبَالَهُمُ وَتَطْعَنَ فِيهِمُ وَالرِّمَاحُ الْمَكَايِدُ
وَتَضْحَى الْحِصُونُ الْمَشْمُخَرَاتُ فِي الذَّرَى وَخَيْلُكَ فِي أَعْنَاقِهِنَّ قَلَائِدُ
مُخَضَّبَةٌ وَالْقَوْمُ صَرَعى كَأَنَّهَا وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا سَاجِدِينَ مَسَاجِدُ

(١) سهر : رجل كان يقوم الرماح فنسبت إليه . الخط : مرفأً بالبحرين ، كانت ترد إليه رماح من الهند .

(٢) الكتم : بالتحريك ثبت يخلط بالوشم يختضب به .

وَأَلْحَقْنَ بِالصَّفْصَافِ سَابُورَ فَانْهَوَى وَذَاقَ الرَّدَى أَهْلَاهَا وَالْجَلَامِدُ^(١)
 وَأَضْفَنَّا إِلَيْهِ مِنْ مَوَاضِعَ أُخَرَ مَا كَمُلَ بِهِ الْمَعْنَى ، وَهُوَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
 وَأَرْضُكَ أَرْضُكَ إِنْ تَأْتَنَّا تَنَمُ نَوْمَةً لَيْسَ فِيهَا حُلْمٌ
 وَزَدْنَا عَلَيْهِ أَنَّ نَفُوسَهُمْ تَعَذِّبُ بَعْدَ الْمَوْتِ فَيَتَأَلَّمُونَ ، كَمَا يَتَأَلَّمُ النَّائِمُ
 بِالْأَحْلَامِ الْمَرْعُجَةِ ، وَقَوْلُ طَرْفَةِ بْنِ الْعَبْدِ :

* لِحَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِبُرْقَةٍ تَهْمَدِ^(٢) *

وقول زهير :

دِيَارُهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا رَوَاجِعَ وَشَمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمٍ^(٣)
 وقول البحتري :

وَقَدْ سَقَّتْ مَا فَوْقَ الْمَاعِقِلِ مِنْهُمْ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَسُوقَ الْمَاعِقِلَا
 وَزَدْنَا عَلَى لَفْظَةِ أَبِي الطَّيِّبِ وَهِيَ (مَخْضَبَةٌ) قَوْلَ عَلِيٍّ وَقَدْ قَبِضَ لِحْيَتَهُ :
 « أَمَا وَاللَّهِ لَتَخْضِبَنَّ هَذِهِ بِخِضَابِ دَمٍ لَا خِضَابِ عِطْرِ وَعَنْبَرٍ » فَخَرَجَ
 مِنْ مَجْمُوعِ هَذَا مَا وَقَفَتْ عَلَيْهِ .

(١) الديوان ١٨٢/١ وفي الديوان الثالث مقدم على الأبيات .
 يقول إنك تزلّم من جبالهم منكوسين أو من خيولهم التي كأنها الجبال . المشخرات :
 المرتفعات . الصفصاف وسابور : حصنان منيعان للروم .

(٢) من مطلع معلقته :

لِحَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِبُرْقَةٍ تَهْمَدُ تَلُوحُ كِبَاقِي الْوُثْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

(٣) من معلقته التي مطلعها :

أَمِنْ أَوْقِدْمَنَةَ لَمْ تَكَلِّمْ بِحُومَانَةَ الدَّرَاجِ فَلَمَثَلْ

فصل :

« عُدْرُ الخِيَمَةِ واضح في السقوط ، لأنها علتْ على مولانا فتأدَّتْ له بالهبوط ، وعَلِمَتْ عَجَزَهَا عن أن تَشْمَلَ من يَشْمَلُ الزمانَ ، وأن تَعْلُو مَنْ يعلو على بهرام^(١) وكيوان^(٢) ، فأرجاؤها في السَّعة بِحَيْثُ يَرْكَضُ في كلِّ قُطْرٍ منها جَحْفَلُ ، ولكنها تَضِيقُ عن العالمِ المجموع في الواحد الأَجْمَل ، وتَقْصُرُ عنه وتَطُولُ على القَتَا الذُّبْل ، وأظنها لما أشرَقَتْ بأنوارِهِ ، وتاهت لَمَّا عُدَّتْ من جُمْلَةِ ديارِهِ ، لم تَمْلِكْ نَفْسَهَا فَحَرَّتْ وَضَعُفَتْ ، ورُبَّ نَفْسٍ أَفْرَطَ عليها الفَرَحُ فَزَهَقَتْ . ولو رَزَقَ النَّاسُ ما رَزَقَتْ من الشَّرَفِ الباذِخِ البُنيانِ ، لخانتهم الأَرْجُلُ وَخَرُّوا سُجُوداً لِلجِبَاهِ والأَذْقَانِ ، وما سقطت عَبَثاً وإنما أَشارَتْ بالرحيل ، كما أن القَصْواء^(٣) ما خَلَّتْ^(٤) وإنما حَبَسَها حابِسُ الفِيلِ » .

هذا محلول قوله :

أَيْقَدَحُ في الخِيَمَةِ العُدْلُ وتَشْمَلُ مَنْ دَهَرَهَا يَشْمَلُ ؟
وتعلو الذي زَحَلُ تحته مُحَالٌ لعمرِكَ ما تُسْأَلُ ؟
تضيق بشخصك أرجاؤها ويركض في الواحد الجَحْفَلُ
وتقصّر ما كنتَ في جَوْفِهَا وتُرْكَزُ فيها القَتَا الذُّبْلُ
رأت لون نوركَ في لونها كلون الغزالة لا يُغَسَّلُ

(١) بهرام : ملك فارسي حكم الفرس قبل الإسلام . وهم أربعة بهذا الاسم ، ولعله يقصد بهرام جورين يزدجرد ، وهو الذي ربى تربية عربية في الحيرة في عهد النعمان بن المنذر ثم تول ملك فارس بعد أبيه وضبط أمورها وحمى حدودها (تاريخ الطبري ٧٤/٢) .

(٢) كيوان : نجم في السماء هو الذي يسمى زحل .

(٣) القصواء : اسم ناقة الرسول صل الله عليه وسلم .

(٤) خلأت : حرنت أو بركت فلم تبرح .

وَأَنْ لَهَا شَرْفًا بِاذْخَا وَأَنْ الْخِيَامَ بِهَا تَحْتَجِلُ
فَلَا تَتَكْرَنَ لَهَا صَرْعَةً فَمَنْ فَرَحَ النَّفْسَ مَا يَقْتُلُ
وَلَوْ بُلِّغَ النَّاسُ مَا بُلِّغَتْ لَخَانَتُهُمْ حَوْلَكَ الْأَرْجُلُ
وَلَمَّا أَمَرْتَ بِتَطْنِيهِهَا أَشِيعَ بِأَنَّكَ لَا تَرَحِلُ
فَمَا اعْتَمَدَ اللَّهُ تَقْوِيضَهَا وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ ^(١)

وزدت على ذلك الخبر المشهور وهو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ركب ناقته القصواء في عام الحديبية متوجهاً إلى مكة ، فلم تَنْبَعِثْ تحته ، فزجرها مراراً وزجرها أصحابه فلم تنبعث ، فقالوا خَلَّاتُ القصواء ، فقال النبي ما خَلَّاتُ ، وإنما حبسها حابسُ القيل . وجَرَى مِنْ تَوْقُفِهِ عَنْ مَكَّةَ وَصُلِحَ قَرِيشاً في تلك السنة ما هو مشهور .

فصل :

« هَنِيئاً لَأَهْلٍ كَذَا جَمِيلٍ رَأَيْكَ وَحُسْنُ بَلَائِكَ ، وَعَمِيمُ آلَانِكَ ،
فَقَدْ كَانَ الدَّهْرُ جَارَ عَلَيْهِمْ وَاعْتَدَى فَتَقَفَّتْهُ فَاغْتَدَلْ ، وَاعْتَرَقَ
الْعَظْمُ مِنْهُمْ وَانْتَقَى ، فَزَجَرْتَهُ فَانْتَقَلَ ، فَأَمْرُكَ مُمْتَنِّلٌ فِي خَطْبِهِ ،
وَحَوْفُكَ مَائِلٌ فِي قَلْبِيهِ ، فَإِنْ شَكَ فُلِيحُدِّثْ بِهِمْ ضَرْباً مِنَ الْحَادِثَاتِ ،
لَتُرْقِلَ لَهُ الْقَنَا بِاللَّهَازِمِ الرَّاعِفَاتِ ، فَيَوْمَاكَ يَوْمٌ يُحْمَدُ نَارَ الْحَرْبِ
وَالْحَرْبِ ، وَيَوْمٌ يُبْرَدُ أَوَارَ الْجَدْبِ وَالسَّغَبِ » .

(١) من قصيدة المتنبي يمدح بها سيف الدولة ويذكر الحمية التي أوقفها الريح ، وكان سيف الدولة قد ضرب خيمة كبيرة بميافارقين وأشاع الناس أن مقامه يتصل بها ، فهبت ريح شديدة أوقعت الحمية ، فتكلم الناس في ذلك (الديوان ٥٩/٢) وقد صححنا الأبيات من الديوان .

البحف : الجيش العظيم . القنا الذبل : الرماح اللينة . الغزاة : الشمس . لا ينسل : لا يزول : التطيب : مد الأطياب .

هذا محلول قوله ^(١) .

هنيئاً لأهل الثغر رأيك فيهمُ وأنتك حيزبُ الله صرت لهم حيزباً
وأنتك رُعتَ الدهرَ فيها وريبه فإن شك فليُحدِثْ بساحتها خطباً
فيوماً بخيلٍ تطردُ الرومَ عنهم ويوماً بجُودٍ تطردُ الفقرَ والجذبا

وقول أبي حية النُمَيْري :

أما إنه لو كان غميرك أرقلتُ إليه القنا بالراعاتِ الهازمِ ^(٢)

فصل :

« كريم ما شَتَمَ ولا شُتِمَ ، ولا ظَلَمَ ولا ظُلِمَ ، فالملوك تَشْتُمُ
بالفِعْل لا بالقَوْل ، كالأسود لا تَقْرِس بالَحِيل بل بالَحَوْل ، وما أفرَجَت
الأعداء عن البلاد حباً له بل حذراً من شدة نكاليه ، ولا عزبت عنه
بُقياً عليه ، ولكنْ خوفاً من ضرر نباله » .

هذا محلول قوله :

ولم تفرقْ عنه الأسنة رحمةً ولم تترك الشامَ الأعادي له حباً
ولكنْ نفاها عنه غيرَ كريمة كريمُ الثنا ما سبَّ قطُّ ولا سباً ^(٣)

وقد أضيف إليه قول الأول :

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما بنى مرعش ، ومطلعها :

فدينك من ريع وإن زدتنا كربا فإنك كنت الشرق للشمس والغربا

الديوان ٤٤/١

(٢) أرقلت : أسرعت . الهازم : جمع لهزيمة ، وهي الناقه تحت الأذنين ، والمراد

هنا الأعناق .

(٣) الديوان ٤٨/١ من قصيدته في بناء مرعش .

وتجهل أيدينا ويحكم رأينا ونشتُم بالأفعال لا بالتكلم
وقول الآخر :

فما بُقينا علي تركتاني ولكن خفتما ضرر النبـال

فصل في حل قوله :

تُبَارِي نجومَ القَذَفِ في كل ليلة نجومٌ له منهن وَرَدٌ وأدْهَمُ^(١)
قد حله المصنف فقال : « تركب ظهر الليل تباري مسير شُهبه ،
وتستقرب بُعدَ المدى في نَيْلٍ مطلبه ، غير أن ذاك يَقْرِي أديم الغياهب ،
وهذا يَقْرِي أديم السَّبَاسِبِ^(٢) » .

وقد ثرناه نحن على وجوه منها : « فازلنا نقطع الأدْهَمَ الواقف
بالدْهَمِ السائرات ، ونُساري الشُّهْبَ الثَّيَّرات بالشُّهْبَ الطائرات ،
إلا أن تلك نُجُومُ القَذَفِ والرُّجُومِ ، وهذه نجوم الغارة والمُجُومِ » .

ومنها :

« فازلت أباري أدْهَمَ الليل بُدْهَمِ الخيل ، وأجاري شُهْبَهُ
بالشُّهْبِ التي تسبق جَرِي السَّيْلِ ، حتى وَرَدَتْ مدينةَ كذا قُبَيْلٍ »

(١) من تصديده في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

إذا كان مدح فالنسب المقدم أكل فصيح قال شعرا مقيم

الديوان ٢٥١/٢

ورد : ما بين الكيت والأشقر من الخيل .

أدْهَمَ : أسود . نجوم القذف : هي التي تقذف بها الشياطين .

(٢) المثل السائر ١٨٥/١ .

السباب : جمع سبب وهو المفازة .

الصباح ، والثَّريَّا^(١) معترضةٌ تعرَّضَ أثناء الوِشاح ، ومنها أدْهَمُ^(٢) مَقْدُودُ^(٣) من الغِيَاهِبِ^(٤) ، مَلْطُومُ الوجهِ بعض الكواكب ، يَفُوتُ الرياحَ إذا جَرَى ، وَيَسْبِقُ النجومَ إذا انْكَدَرَتْ^(٥) ، إلا أن تلكَ تَقْدِفُ من أنْصَتَ لَيْسَمَعَ واستَرْقَ .

فسطاط مصور :

« فرأيتُ إلى خيمته من الحرير مُصَوَّرَةٌ بأنواعِ التناوير ، تكادُ آسادُها تَرَارُ وتَصُولُ ، وفُرسانُها تَنْطِقُ وتَقُولُ ، وأُفْرَاسُها تَرَكُضُ وتَجُولُ . لم تُغْنِ الحمايمُ على حداثِ جنانِها ، ولا حَاكَتْ أيدي السَّحَابِ رِياضَ جُدُرَانِها ، ولا عَطَّتْ^(٦) إلى فروع الأراك أعناقَ غِزْلَانِها ، ولا خَصَصَتْ رَعِيَّتُها للوكها ، ولا نَظَمَتْ عِقْدَ عِذارها في سلوكها ، إذا صافَحَتْ الرياحُ جِلْبَابَها ، ونازَعَتْها أَهْدَابُها ، مالتْ مَيْلَ الغَزَلِ ، ورقَصَتْ رَقْصَ الشَّارِبِ الثَّمِيلِ^(٧) ، قد تَأَلَّفَتْ الأضدادَ فيها تَأَلَّفَ الأضرابُ والأشكالُ ، فالكلبُ ضَيْفُ الأرنَبِ والفَهْدُ ونَزِيلُ الغُزالِ . »

هذا محلول قوله :

وأَحْسَنُ من ماء الشَّيْبَةِ كله حَيًّا بارقَ في فَاذَةٍ أنا شائِمُهُ
عليها رِياضٌ لم تَحْكُكْها سحابةٌ وأَغْصَانُ دَوْحٍ لم تُغْنِ حَمَائِمُهُ

(١) مجموعة نجوم صغار متقاربة .

(٢) أدهم : أسود .

(٣) مقدود : مقطوع والمراد مخلوق .

(٤) الغياهب : جمع غيب وهو الظلام والشديد الظلمة .

(٥) انكدرت : تناثرت وسارت .

(٦) عطت : مدت أعناقها وروموسها متطاولة إلى الشجر لتتناول منه .

(٧) الثميل : الثشوان الذي أثر فيه الشراب .

وفوق حواشي كل ثوبٍ مُوجَّهٍ من الدُّرِّ سِمِطٌ لم يُثَقِّبْهُ ناظِمُهُ
ترى حيوانَ البرِّ مُصْطَلِحاً بها يحاربُ ضِدَّةً ضِدَّةً ويسالِمه
إذا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ ما جَ كَأَنَّهُ تجول مذاكيه وتدأى ضراغمه^(١)

فصل :

« قِصَارُ رُمُحِكَ أَطْوَلُ مِنْ ظِلَالِهَا ، وَطَوَّلُ رِمَاحِ أَعْدَاكَ أَقْصَرُ مِنْ رِجَاجِهَا^(٢) وَنِصَالِهَا^(٣) . وَكَمْ مِنْ رِمَحٍ قَصُرَ فَأُطْلِئَتْهُ بِحُطَّاكٍ ، وَكَمْ مِنْ بَلَدٍ بَعْدَ فَقَرَبَتِهِ بِسُرَاكٍ ، وَقَطَرُكَ فِي النَّدَى وَالرَّدَى سُيُولٌ وَبِحَارٌ ، وَعَزَمَكَ فِي الْخُصُومِ وَالْعِدَا نُصُولٌ وَشِفَارٌ ، وَأَنَا مِلُّكَ رَاجِحَةٌ وَلَكِنْ خُلِقْتَ سُيُوفُكَ مِنْ عَجَلٍ ، فَكَلِمَا تَهَيَّئْتُهَا عَنْ وَلُوغِ الدِّمَاءِ قَالَتْ سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدَلَ^(٤) . وَقَدْ يَنْسَبُ الْجَاهِلُ حِلْمَكَ

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة عند نزوله أنطاكية بعد ظفره بحصن برزويه وكان جالساً تحت خيمة من الدباج عليها صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان مطلقها :
رفأز كما كالربع أشجاء طاسمه بأن تسعدا والدمع أشقاء ساجمه
الديوان ٢٣٨/٢ .

ماء الشبيبة : فصارها وحشها . حيا : مطر . بارق : سحب ذو برق . فائزة : قبة أو خيمة أو مظلة بعمودين نصبت لسيف الدولة وكانت من حرير . شائمه : ناظر إليه يرجو المطر . دوح : جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة . لم تغن حائمه : يصف الخيمة بأنها مصورة بصور رياض وأشجار ولكن الحائمه لا تتغنى على أغصانها لأنها صور غير ذات روح . ثوب موجّه : ذو وجهين . سمط من الدر : أراد به الدوائر البيض على حاشية الأثواب التي اتخذت منها الخيمة . يحارب ضد ضده ويسالِمه : نرى الوحوش مصطلحة بالخيمة مع أن من طبعها التفارس وقد نقشت على الدباج في صور المتحابة ، لكنها لا تتحارب لأنها جهاد لروح فيه . المذاكي : المسنة من الخيل : تدأى : تختل وتخدع . الضراغم : الأسود .

(٢) الأرجاج : جمع زج وهو الحديدية التي في أسفل الرمح .

(٣) النصال : جمع نصل وهو حديدة الرمح والسهم والسيف .

(٤) مثل قديم قاله ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، كان الحارث بن كعب قد قتل ابناً لضبة ، ثم لقيه ضبة في الحج فقتله . فقيل له : يا ضبة أي الشهر الحرام ؟ فقال سبق السيف العذل .

(يجمع الأمثال الميداني ١٣٣/١ ، ٢٢١) .

أحياناً إلى تدبيرٍ أو خِداعٍ ، ولا يَعْلَمُ أن اللَّيْثَ لا يَأْكُلُ الجِيفَةَ ،
ولا يَفْتَرِسُ الضَّبَاعَ » .

هذا محلول قوله :

طُولُ قَنَا تَطَاعُنُهَا قِصَارُ وَقَطْرِكَ فِي نِدَى وَوَعَى بَحَارُ
وَفِيكَ إِذَا جَنَى الْجَانِي أَنَاةً تُظَنُّ كَرَامَةً وَهِيَ احْتِقَارُ^(١)
وقول السموأل :

إِذَا قَصَرْتُ أَسِيفَانَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَتَطُولُ^(٢)

(١) من تصديته في مدح سيف الدولة لما وقع ببعض العرب الذين تمردوا عليه . الديوان ٣١٦/١ ومصححنا الأبيات من الديوان .

(٢) لم نجد هذا البيت في أبيات السموأل التي بديوان الحماسة وأولها :
إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
(شرح المرزوقي ١١٠/١) .

ولا في البهتان والتين ضمن بعض الأبيات السابقة ١٨٥/٣ .

وفي المفضليات ٧/٢ بيت للأخض بن شهاب بن شريق التغلي هو :

وإن قصرت أسيفانا كان وصلها خطانا إلى القوم الذين نضارب

وقال ثعلب : هذا البيت تتنازعه الأنصار وقريش وتغلب ، فقد زعم علماء الحجاز أنه
لضرار بن الخطاب الفهري أحد بني محارب من قریش . وقال الأنباري في ترجمة الأخض هو
أول العرب وصل قصر السيوف بالخطا ، وذكر البيت ، ثم قال : ومنه استرق كعب بن مالك
الأنصاري قوله :

نصل السيوف إذا قصرن يخطونا قدما ونلحقها إذا لم تلحق

على أن قيس بن الخطيم أخذه بلغظه تقريباً فقال :

إذا قصرت أسيفانا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب

وأما البيت الذي نسب الأنباري لكعب بن مالك فقد نسب ابن خزيمة في الشعر والشعراء لربيعة
ابن مقروم ، وذكر أنه من قول قيس بن الخطيم إذ أن قيساً أخذه منه .

خزانة الأدب ١٦٤/٣ والمفضليات ٧/٢

فصل :

« الآراء الصائبة ، والشجاعة الثاقبة ، تستعبد الصوارم ، وتستخدم المخازم^(١) ، فالتدبير أميرٌ والشجاعة جنُدهُ ، والرأي حُسامُ والصَّرامة غِمنده .

ولولم يُلحظْ هذا المعنى ويُعتَبَر ، لكانت السباع أفضلَ من البَشَر ، وطالما نُكسَّتْ الأعلامُ بالأفلام ، ومُلِكَتِ الأصْفَاعُ بالرَّقَاع ، ونَفَدَتِ المكائِدُ قبل نفوذ الحدائد . فإذا اجتمع لنفسٍ سعيدة هذان الأمران نالت أفضَى الإمكان ، وبلغت من العَلَيَاءِ كل مكان . »

هذا محلول قوله :

الرأي قَبْلَ شجاعة الشجعان هو أولٌ وهي المحل الثاني
فإذا هما اجتمعَا لنفسٍ حرة بلغتُ من العَلَيَاءِ كل مكان
ولربما طَعَنَ الفتي أقرانهُ بالرأي قبلَ تطاعُنِ الأقران
لولا العقولُ لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرفٍ من الإنسان^(٢)

فصل :

« عزائمك لا تُفْلُ ، وآراؤك لا تُفْضِلُ ، ومدائحك لا تُمَلُّ ،
وأحكامك لا تُمِيلُ ، وسيفك شريك المنايا في قبض النفوس ، فهذه
لاختطاف الأرواح ، وهذا لاقتطاف الرؤوس . وكل دم لم تُحْصِيهِ^(٣)

(١) المخازم : جمع مخدّم على وزن منبر وهو السيف القاطع . وكانت الكلمة بالأصل (المخازم) .

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة .

الديوان ٢/٢٥٠ .

(٣) لم تحصيه عليك : لم تسفكه وتبسطه سيوفك .

ظُبابُك أصبحَ مَطْلُولًا ، وكلَّ مَمَاتٍ لم تشارك فيه عُدَّةَ خِيَانَةٍ وغلُولًا .

هذا محلول قوله :

شريك المنايا والنفوس غنيمَةً فكلُّ مَمَاتٍ لم يُمِثِّه غُلُولٌ ^(١)

فصل في حل قوله :

وما الحُسْنُ في وجه الفتى شرفاً له

إذا لم يَكُنْ في فِعْله والخِسلَاتِ ^(٢)

قد نثرناه على وجوه منها : « شرف الفتى بأفعاله ، لا بحسنه وجماله ، كالسيف يقطع بجوهره ، لا بـُحْسَنِ منظره » .

ومنها : « لو كان شَرَفُ الإنسانِ بصورته وخلقِهِ لا بمعناه وخلقِهِ ، لما قبل ما الإنسانُ إلا القلبُ واللسانُ » .

ومنها : « لا فخر في الصُّورة المليحة ، وأفعالها قبيحةٌ » ، كالشجرة السامية الخضراء الناضرة ، وفي أكلها الفاقة ^(٣) .

ومنها : « لو كان الفخر بما بدا في الصورة وظَهَرَ ، لا بما بَطَنَ من المعنى واستتر ، لكانت صُورة النَّمَارِقِ ^(٤) ، أشرفَ من الحيوان النَّاطِقِ » .

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

ليالي بعد الظاعنين شكول طوال وليل العاشقين طويل
الديوان ٨٨/٢ .

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عواليها ومجرى السوابق
الديوان ٤٦٩/١ .

(٣) الفاقة : الداهية .

(٤) النمارق : جمع نمرق ونمرقة وهي الوسادة أو الطنفسة .

فصل في هيئة عسكر :

« للأمير أيداه الله جيشان: النشور في الجحش، والحياد في الدو^(١) ، فكان الفضاء ثوب مطير^(٢) بالجوارج والعقبان ، وكان العز فرس محجل بالسوابق والفرسان ، فعسكر الطير ضيف يستطعم عسكر السيف ، فإذا رمى بهما جيشاً نفاه ، فأباد هذا أرواحه ، وأباد هذا أشباحه » .

هذا محلول قوله :

له عسكرًا خيل وطير إذا رمى بها عسكرًا لم يبق إلا جماجمه
سحاب من العقبان يزحف تحتها سحاب إذا استسقت سقتها صوارمه^(٣)
وقد حله هذا المصنف فقال :

« فسرنا في غمامة من الكتائب ، تظللها غمامة من الطيور
الأشائب^(٤) ، فهذه يضمها بحر من حديد ، وهذه يضمها بحر من صعيد^(٥) .

فصل :

« حسام لولا ترقرق الماء في جوانبه ، لتلصقت النار الموقدة

(١) الدو : الدرية وهي الفلاة .

(٢) ثوب مطير : منقوشة فيه صور الطيور .

(٣) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

وفأوكا كالربع أشباه طاسه بأن تسعدا والدع أشفاه ساجه

الديوان ٢/٢٤٠ ومن الديوان صمعا الأبيات .

(٤) الأشائب ، الأخطاط جمع أشابة بضم الهزرة .

(٥) المثل السائر ١/١٧٤ .

من مضاربه، فقد أضرَّبه حُبُّ الجاهِم والأعناق حتى عاد نِضوُ كالهِلال ،
وودَّتْ سباع الطير والوحش أنها تَقْدِيه بالخالب والأنياب إذا فُدي
غَيْرُهُ بالأنفُس والأموال ، فأحسَّنْ مَا خُضِبَ بالدم المُمَار ،
لا بالعَسْجَد والنُّصار ، والحسَاء حَسَنَاء وهي في الأسماء والأطمار .
وإذا كان الحلِّي لإتمام النَّقْصِ يعمل ، فقَشَفُ الأفضَل أنْبَلُ ، وعَطَلُ
الأَكْمَل أجْمَل .

هذا محلول قوله :

أَحْسَنُ مَا يُخْضَبُ الحَديدُ به وخاضِيَّتهِ النَّجِيعُ والغَضَبُ
فلا تَشِينُهُ بالنُّصار فما يجتمع الماء فيه والذهب ^(١)

فصل في ذكر الدنيا :

« هي الهِرَّةُ تأكل أولادها ، والموتورةُ تظهر أحقادها ، أخونُ
من البَغَايا ^(٢) ، وأخدَعُ من الخنايا ^(٣) . تصيدُ الصقر بالخرَب ^(٤) ،
وتكسِر النَّبْع ^(٥) بالغرَب ^(٦) ، تَغْدِرُ بأضيافها ، وتقتل أزواجها
ليلة زفافها ، أفنت العَشَائِر والقبائل ، ولم يحصلوا من حبها على طائل .

هذا محلول قوله :

(١) عرض على سيف الدولة سيوف مذهبه ، وفيها سيف غير مذهب ، فأمر بتذميه ،
فقال المتنبي هذين البيتين . :
الديوان ٥٢/١ .

(٢) البغايا : الطلائع تكون قبل ورود الجيش .

(٣) الخنايا : جمع حنية وهي القوس .

(٤) الحرب : محرقة ذكر الحبارى .

(٥) النَّبْع : شجر صلب تتخذ منه القسي والسهام .

(٦) الغرب : نبت ضعيف ينبت على الأنهار .

فلا تَنَلِّكَ اللَّيْلُ إِنْ أَيْدِيهَا
إِذَا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بِالْعَرَبِ
وَلَا يُعِينُ عَمَلُوا أَنْتَ قَاهِرُهُ
فَلَمَنْ يَصِدُنْ الصَّقْرَ بِالْخَرَبِ^(١)

وقوله :

فَظِي الدَّارُ أَخُونُ مِنْ مُؤَمِّسٍ وَأَخَذَعَ مِنْ كِفَّةِ الْحَابِلِ
تَفَانِي الرِّجَالُ عَلَى جَبِّهَا وَمَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلِ^(٢)

فصل :

« فلما أبوا إلا شقاقاً وجباحاً ، واستترلوا حيناً عليهم مكتوباً ولهم
مباحاً ، نهّد الأمير أيده الله إليهم في كتيبة حسناء ، تهرز حوله جانيبها ،
كما تَنَفُّضُ الْعُقَابُ جَنَاحَيْهَا ، فهو رَبَّيْبُهَا فِي السَّيْرِ ، وحارسها في
النزول ، وطليعها في التَّنْفِيرِ ، وسائقها في القُفُولِ » .

هذا محلول قوله :

يَهْزُ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبَيْهِ كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحَيْهَا الْعُقَابُ^(٣)

(١) من قصيدته في رثاء أخت سيف الدولة . وقد صححنا البيتين من الديوان .

الديوان ٦٨/١ .

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

إِلَامٌ طَاعِيَةٌ الْعَادِلُ وَلَا رَأْيَ فِي الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ
الديوان ٣٨/٢ .

المؤسس : المومسة : الفاجرة . الكفة : الشرك . الحابل : الصائد بالشرك .

(٣) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما أوقع ببني كلاب ، ومطلعها :

بَغِيرِكَ رَاعِيًا عَثَ الذَّنَابُ وَغَيْرِكَ صَارِمًا ثَلُمَ الضَّرَابُ

الديوان ٥٥/١ .

العقاب : طائر من الجوارح يطلق على الذكر والأنثى قوي الخالب له منقار أعقف .

وقول البحري :

طليعتُهُمْ إِنْ وَجَّهَ الْجَيْشَ غَازِيَا
وساقتهم إِنْ وَجَّهَ الْجَيْشَ قَافِلَا^(١)

فصل في صفة الخيل :

« جيش قد حُمِلَتْ فِيهِ الرِّجَالُ عَلَى السَّلَاحِ^(٢) ، بِلِ الْأَفَاعِي عَلَى
العقارب ، وغلب فِيهِ فائِثُهُمُ الْأَبْرَدُ^(٣) عَلَى الْغِيْزَلَانِ ، بِلِ الْأَجَادِلِ^(٤)
عَلَى الْعَقِبَانِ ، خَوَارِقُ الْأَرْضِ فَلَا تَحْمِلُ إِلَّا الْأَبْطَالَ وَالْحَدِيدَ ، وَمَتَبَدَّلَاتِ
الْأَحْوَالِ فَكَمْ لَهَا مِنْ بَرْ مَعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ .

مِنْ كُلِّ جَيْشٍ^(٥) الْعَيْنَانِ ، مَضْمُونِ السَّبْقِ يَوْمَ الرَّهَانِ ،
إِنْ قَرَعَ الطَّوْدَ فَصَقْرٌ جَارِحٌ . أَوْ رَكِبَ الْبَحْرَ فَنُونٌ^(٦) سَابِحٌ ، لَهَا
مِنْ التَّقَعُّ بَرَاقِعُ وَجِلَالٍ^(٧) ، وَمِنْ الْكَوَاكِبِ عُزْرٌ ، وَمِنْ الْأَهْلَةِ
فَعَالٌ . قَدْ خَالَفَتْهَا صُدُورُهَا ، وَعَاقَدَتْهَا لِبَائُهَا وَنُحُورُهَا أَنْ تَجُولَ
مَعَ فَارِسِهَا حَيْثُ جَالٌ ، وَأَنْ تَخُوضَ دُونَهُ الْمَكَارَهَ وَالْأَهْوَالَ ، وَأَنْ
تَجْرِيَ فِي الْمَضِيقِ وَلَوْ أَمَّ السَّرَاطُ ، وَأَنْ تَلْجِ الْمَآزِقَ^(٨) ، وَإِنْ كَانَ أَضْبَقَ
مِنْ سَمِّ الْحَيَاطِ .

(١) مِنْ فَعِيدَتِهِ فِي مِلْحِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الَّتِي مَطَّلَعَهَا :
أَرَى بَيْنَ مِلْثَفِ الْأَرَاكِ مَنَازِلَا مَوَائِلَ لَوْ كَانَتْ سَهَاها مَوَائِلَا
الذِيوَانِ ٢٠٤/٢ وَمَتَهُ أَصْلَحْنَا الْبَيْتَ .

(٢) السَّلَاحُ : جَمْعُ سَلْهَبٍ وَسُلْهَبَةٍ وَهُوَ الْفَرَسُ الطَّوِيلُ الْعَظِيمُ .

(٣) الْأَبْرَدُ : الْفَرَسُ .

(٤) الْأَجَادِلُ : جَمْعُ أَجْدَلٍ وَهُوَ الصَّقْرُ .

(٥) كَانَتْ بِالْأَصْلِ (جُنَاسٌ) .

(٦) النُّونُ : الْخَوْثُ .

(٧) الْجَلَالُ : جَمْعُ جَلٍ بِضَمِّ الْجِيمِ وَفَتْحِهَا مَا تَلْبِسُهُ الدَّابَّةُ لِتَصَانَ بِهِ .

(٨) كَانَتْ بِالْأَصْلِ (الْمَارِقُ) .

هذا محلول قوله :

فأنتهم خوارقُ الأرض ما تَحْمِلُ حِلَّ إلا الحديدَ والأبطالَ
خافيات الألوان قد نسج النعَمَ عليها براقعاً وجِلَلاً
حالتُهمُ صُدورها والعوالي لتَحْوِضَنَّ دونَه الأهوالَ
ولتَحْمِضَنَّ حيث لا يجد الرَمَّ حُ مَدَاراً ولا الحصانَ مَجَالاً^(١)

الترصيع بالآيات القرآنية وغيرها :

أما الترصيع بالآيات القرآنية والحكم النبوية والأمثال في الكتابة فقد ذكر هذا المصنف من إنشائه فصولاً تتضمن ذلك .

ولما كنا قد ذكرنا في حل المنظوم ما عارضنا به ما ذكره وجَبَّ أن نذكر من كلامنا في ترصيع الآيات والأمثال فصولاً تعارض ما ذكره أيضاً .

فمن ذلك قولي في توقيع إلى أحد النظار ببعض الصدقات الشريفة المتقبلة :
« وليحرسُ فلان عليه هذا المشرب النмир عن رَتَقِ التَكْدِيرِ^(٢) ، ولا يشوهُ
وجه هذه المَبْرَةِ المتقبلةِ بالمَطْلِ والتأخير ، وليَحْدِفْ عنه أسبابَ الإرجاء
والمدافعات ، ومطاعن الاعتراض والتأويلات ، فهذه صدقة يصدق بها
مالكُ الرُّقَى ، وإمام الحقِّ ، وسيد الخلق ، جعل الله تعالى صدقاتِهِ المبرورةِ
التي لا تدركها الأوهام ، ولا تحصرُها الأفهام ، ولو أن ما في الأرض

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما نهض إلى ثغر الحدث لينقذه من الروم .

الديوان ١٠٥/٢ ومنه أصلنا الأبيات .

أنهم : أي الجياد .

(٢) كان الأصل (زيق التكرير) .

من شجرة أفلام^(١) ، جنوداً مجندة حول لوائه المنصور ، وكافلة لدولته الشريفة بالخلود إلى يوم النفخ في الصُّور ، ومُعَقَّبَاتٌ من بين يديه ومن خلفه من أمر الله^(٢) تحفظه أحقاباً ، وباقياتٌ صالحات هي عند الله أحسنُ عملاً وخَيْرٌ ثواباً^(٣) .

وهذا الفصل قد رصع بثلاث آيات من الكتاب العزيز واقعةٍ واقعها . ومن ذلك قولي من جملة من كتاب أصف فيه حرباً : « حتى إذا زُلْزِلَتِ الأرض عليهم زلزالها ، وأُخْرِجَتْ أَثْقَالُهَا^(٤) ، وعُرِكَتْهم الحرب عرْكُ الرِّحَا ثِفَالُهَا^(٥) ، وَعَصَبَتْهُمْ الْهَيْبَةُ عَصَبَ السَّلَمِ^(٦) ، وَغَمَزَتْهم غَمَزَ التَّيْنِ ، وَهَرَّتْهم الرَّوْعُ هَرَّتَ الْجَنُوبُ ضُحَى عِيدَانِ يَبْرِينَ^(٧) ، لم يكن إلا كَحَسَنَةِ طَائِرٍ ، أو خُطُوَةِ سَائِرٍ ، حتى خالطت السيوفُ أجسامهم » .

فأول هذا الكلام من الكتاب العزيز . وقولي وعُرِكَتْهم من قول زهير :
فتعرككم عرْكَ الرِّحَا بثِفَالِهَا^(٨)

(١) سورة لقمان: الآية ٢٧ (ولو أن مافي الأرض من شجرة أفلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) .

(٢) سورة الرعد: الآية ١١ (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) .

(٣) سورة الكهف : الآية ٤٦ (المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً) .

(٤) سورة الزلزلة: الآيتان ١ ، ٢ (إذا زلزلت الأرض زلزالها وأُخْرِجَتْ الأرض أَثْقَالُهَا) .

(٥) الثفال : ما يوضع بين الرِّحَا والأرض .

(٦) السلم : شجر .

(٧) يبرين : رمل شرقي حجر الجملة .

(٨) تكله البيت :

• وتضر إذا ضربتموها فتضرم •

من معلقته .

وقولي وعصبتهم من قول الحجَّاج لأهل العراق : والله لأعصيتكم
عَصَبَ السَّلم ، ولأخُونُكُمْ لَحْوَ العَصَا ، ولأغْمِزَتَكُمْ تَغَازَ الثَّينِ .

وقولي « وهزم » من قول الشاعر :
يَهْزُزُنَ للمشي أعطافاً مُنْعَمَةً هَزَّ الجنوبُ ضُحًى عِيدَانِ يَبْرِينَا
وأحسَّنُ ما نقل المنظوم أو غيره إلى الكتابة إذا كان هكذا ، لأن الشاعر
ذكر هذا التشبيه في الغزل فقلبته أنا إلى وصف .

وقولي « حسوة » طائر من قول الباخَرْزِي شاعر العجم ^(١) :
ولو غبت عن هذين حَسَوَةَ طَائِرٍ لزالَ نظامٌ أو لفضَّ خِتامُ
ومن ذلك في توقيع لبعض العلول ، وقد رَبَّهْتُ مشرفاً ببعض الأعمال
أحذره من الخيانة ، وأنه إن واقع ذلك أَخَذَ طَيْلسَانُهُ ، وأسْقِطَ
عدالته ، وهو كناية لطيفة تنزع إلى القرآن الكريم ، سكونا إلى أمانته ونزاهته ،
ووثوقاً بحريته واستنابته وكفايته ، إلى تَقَمَّصُهُ بجِلْبَابِ الدِّيَانَةِ ، وتحليه
بجلالها ، وإخلاقاً إلى ما هو موسوم به من العدالة التي يقترن لفظها إن شاء الله
بمعناها ، ثم أتممت هذا الكلام بما يناسبه إلى أن قلت : « وأهْمُ ما نَقَرَضُهُ
عليه ، والدنيا أُلْقَتْ به إليه ، لزوم الأمانة والعفاف ، وصيانة العرضِ

(١) هو أبو الحسن علي بن الحسن الباخَرْزِي الشاعر المشهور .
قال عنه ابن خلكان : إنه كان أوحده عصره في فضله وذهنه ، والسابق إلى حيازة القصب في نظمهِ
ونثرهِ .

اشتغل أول أمره بالفقه على مذهب الشافعي ، ثم مال إلى الكتابة ، وبرع في الشعر ، وصنف
كتاب (دمية القصر وعصرة أهل العصر) وهو مطبوع .

ويعد ذيلاً لكتاب يتيمة الدهر للشمالي .
وقد وضع البيهقي كتاباً كالذيل للدمية سماه (وشاح الدمية) قتل الباخَرْزِي في مجلس أنس سنة
٤٦٧ ببلدة باخرز ، وهي ناحية من نواحي نيسابور بها قرى ومزارع .
(وفيات الأعيان ٣٦٠/١ وشذرات الذهب ٣٢٧/٣) .

وحفظِ الأطراف ، فليحذر أن تُدْلِيهِ الأَطَاعُ بغرورها ، وجهلها ، وتلهيه بحلاوة شَهِدْها عن إير نخلها ، وليكن من إغواء الشيطان بإطعامه الشَّجَرَةَ على أتمِّ حذر ، وأشدِّ قَرَقٍ ، فإنه إن استنزَلَهُ نزع عنه لباس الرِّضا ، ثم لا يتمكن من خَصْفِ الورق ، فليَحْرُسْ قاعدةَ العَدَالَةِ التي هي مَرَسُومٌ بشعارها ، ومندوبٌ إلى اقتفاء آثارها ، والاهتداء بمنارها .

فهذه الكناية من قوله تعالى : « يا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتَهُمَا ^(١) » . وقولي في أول التوقيع « التي يقرن لفظها إن شاء الله بمعناها » لا يخفى ما فيه من الحلاوة في هذا الموضع .

ومن ذلك قولي في جملة وصايا يتضمنها توقيع لبعض النظائر : « أيد الله نائب الأعمال الواسطية وحراسة الارتفاعات بالسطوة التي تُزْهِقُ النفوس ، وتُغَضِّضُ لها الأبصار وتُنَكِّسُ الرؤوس ، وتحفظ بها الأموالُ المتمزقة في أقصى الديار ، المشردة تحت الكواكب كنبدة الكواكب ، فهو شجاعها المِقْدَامُ ، وصارمها الصمصام ، وقد نَبَّهْنَا عمروٌ إن كنا لَا ننامُ ، فليستأصل شأفة ^(٢) المفسدين ، وليغلُظْ عليهم ، وإما تخافنَّ من قوم خيانةٍ فانبِذْ إليهم . فالسياسة شمسٌ جامع لا يُصْحِبُ ^(٣) إلا بالسيف والنَّطْع ، وعروس فاركُ لا تُقَطِّفُ حتى يُحَلِّقَ دماؤها بالنَّجِيع » .

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٧ .

(٢) شأفة : أصل .

(٣) يصحب : ينقاد .

وقد رصّعت هذا الفصل ببعض قوله تعالى :

« ولما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين »^(١) وحللت فيه قول الشاعر :

إن المعالي عروس غير واصلة مالم يُخلّق رداؤها ينضج دم
ومن ذلك قولي في هذا التوقيع في الرصاة بتخير العمال: وعمّالُه ونوّابُه
بالأعمال فهم جدّوة من فاره ، وأثر من آثاره ، وشعاع من شمسهِ ،
ودوّحة من غرّسهِ ، وفضيلتهم نتيجة فضله ، واختيار المرء بضعة من
عقله . فليحسن في ارتيادهم ، واختيارهم ، وليُجَمِّلْ في اصطفايحهم
واصطفائهم ، وليتخير أرباب الأغراض الزكية ، والأفعال المرضية ،
والتجربة ، والمسألة ، والشباب ، والحيلة ، فإن كَبَا منهم سابق - والحواد
قد يَكْبُو - وتَبَا منهم صارم - والحسام قد يَنْبُو - عابله بالتقويم
والإرشاد ، فإن أصرّ فبالْتَّخويف والإبعاد ، وإن فاء فبالْإِقْصَاء والإبعاد ،
وإن أنيس من أحدا ما يقدح في الأمانة ، ويشهد بوقوع الخيانة عاقبه معاقبة
المجرمين ، وجعله نكالا لما بين يديه وما خلفه وموعظة للمتقين^(٢) .

آخر هذا الفصل من القرآن العزيز . وقد تضمن أيضاً أمثالا غير خافية .

ومن ذلك قولي في هذا التوقيع : « وليواصل بالحمول الدارة في
أوقاتها مواصلة تُوجب له الزيادة ، وتُسْتَدِرُّ له أخلاف السعادة ،
وتجعلهُ من وَضَحَتْ براهينه ، وثَقُلَتْ موازينه ، وأثار صَبَاحُهُ ، وفازت
قِدَاحُهُ ، ويطلق عقله لِسَانَهُ إذا خَرَسَ العاجزُ فلا يفوه ، ويببّضُ

(١) سورة الأنفال: الآية ٥٨ .

(٢) في سورة البقرة: الآية ٦٦ (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين) .

وجبه يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ^(١) . موضع الترصيع من هذا الكلام بالألفاظ القرآنية الشريفة واضح .

ومن ذلك قولي في آخر هذا التوقيع : « وليطالع الديوان العزيز بصالح الأعمال ، ومتجددات الأحوال ، في أوقاتها وأزمانها من غير إزجاء يُفْضِي إلى قَوَاتِهَا وَبُطْلَانِهَا ، لِيُدَبَّرَ من تقدماته العالية ، وآرائه السامية بما يجعله من الأُرشْدِين دليلاً ، والأَوْضَحِين سبيلاً ، وَيَسْتَنْظَم باقتضائه واحتدائه في سلك الذين التحق سيرُهم في الإخلاص بإعلانهم ، ويُعَد باتِّباعه وامْتِثاله من الذين يَسْعَى نورهم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَبْيَانِهِمْ^(٢) » .

وموضع الترصيع من هذا الفصل بالآية أيضاً ظاهر .

ومن ذلك ما كتبه في بعض التوقيعات لناظر من نظار السواد والضياع : « فِيهِ الْأَمَهَاتُ الْحَوَامِلُ ، وَالْمَرْضِعَاتُ الْكَوَافِلُ ، فَلْيَتَخَيَّرْ بِهَا طَيْبَةُ الْبِقَاعِ ، ضَامِنَةٌ بِنَمُو الِارْتِفَاعِ ، فَتَخَيَّرِ الضِّيَاعَ كَتَخَيَّرِ الْمَنَاحِجَ ، مَنْ أَحْسَنَ فِيهَا الْاِخْتِيَارَ الْيَوْمَ أَنْجَبَتْ عِرْسُهُ غَدًا » .

« وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا »^(٣) .

« وَالْفَدَادِيْنُ^(٤) فِيهِ حَامِلَةُ الْأَثْقَالِ ، وَعَامِرَةُ الْأَعْمَالِ ، وَمَرَكَبُ

(١) في حورة آل عمران : الآية ١٠٦ (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) .

(٢) في سورة الحديد : الآية ١٢ (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٥٨ (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج) .

إلا نكداً) .

(٤) الفداد : على وزن سحاب وشداد : الثور أو الثوران يقرن بينهما للحرث جمع

فدادين . وفي الأصل (الفدن) وقد أراد بالفدادين البقر كما يتبين من السياق .

(الفلك الدائر - م ٩)

البضاعة ورأسُ المال ، فليجتهد في إراحة عاملها^(١) والسلامة من دَرَكَ نَقْصِها واخللِها وما عساه يُعْوزُها يُتِمُّهُ ، وما تَسْرَبُ منها يَجْمَعُه وَيَلْمُهُ ، فقد مَنَّ الله على عباده بأن خلقها كثيرةَ الحَرْثِ ، وسقاها مما في بطونها مِنْ بَيِّنِ دَمٍ وَفَرَثٍ^(٢) .

والآيات المدرجة في غضون هذا الكلام ظاهرة .

ومن ذلك قولي في هذا التوقيع : « فإذا تَمَّ ارتفاعه ، وتكامل صلاحه وإيناعه ، وبلغ الكتابُ أجله لميعاده ، ودنا الوقتُ الذي قيل فيه وآتوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ، فليُؤَاصِلْ بالحمول إدراجاً ، وليندُبْ نفسه في جمع المال ليلاً ونهاراً ، وليُرْهِفْ للاستيفاء والاستخراج شَبَا العَزَمِ ، ولينْتَصِبْ لذلك انتصابَ أمثاله من ذوي البصيرة والحزم ، فاستيفاء الأموال والحقوق هو النتيجة المرادة ، والثمرة المستفادة ، وذلك المَخْصُصُ عن هذه الزُبْدَةِ أَسْفَر ، وذلك السَّرار^(٣) عن هذا الهلال أَبْدَر^(٤) ، وذلك الغَرَسُ لهذه الفائدة أَثْمَر ، وذلك البَدَلُ لهذه النفس النفيسة صَوَر ، وعلى قابلها تَصَوَّر ، والمُضْجَعُ في الاستيفاء بعد ارتكاضِهِ السَّابِقِ وتعبه مُسْتَحَقُّ المثل الإلهي : كَالتي نَقَضَتْ غَرْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَاثِ^(٥) » وناهيك به .

(١) في الأصل (عالمها) .

(٢) سورة النحل : الآية ٦٦ (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم بما في بطونها من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين) .

(٣) السرار : آخر ليلة من الشهر .

(٤) أَبْدَرنا : طلع لنا البدر أو سرنا في ليلته .

(٥) الأنكاث : جمع نكث على وزن بئر وهو الغزل من الصوف أو الشعر يرم وينسج فإذا خلقت النسيجة قطعت قطعاً صغيراً ونكثت خيوطها المبرومة وغلطت بالصوف الجديده ونشبت به ثم ضربت بالمطارق وغزلت ثانية واستعملت . ومن هذا نكث العهد وهو نقضه بعد إحكامه كما تنكث خيوط الصوف المغزول بعد إبراهيم .

فأول هذا الفصل آية ، وآخره آية أخرى^(١) .

وفي وصايا التوقيعات التي تتضمن الكلام النبوي قولي في توقيع بعض
النظار : « وليؤمنَ بأمر الأَكْثَرَةِ ، فإنهم عُمَارُ الأَرْضِ والضِّياع ،
وقيامُ المال والارتفاع ، وجُنْدُ السَّوَادِ ، وأوتاد البلاد ، وليشملهم
بالعدل والإنصاف ، وليؤمنهم بِوَأَثِقِ الجُورِ والإجْحافِ ، وَلَيْسَ هُلْ
إِذْنُهُ عَلَيْهِمْ ، وليواصل إحْسَانَهُ إِلَيْهِمْ ، فَالكَثِيرُ مِنْهُمْ يَثْبُتُ وَيُقِيمُ
بِالْيُسْرِ وَالطَّلَاقِ ، وَيَنْفِرُ وَيَقِرُّ بِالْعُنْفِ وَالْقَطَاظَةِ ، والاستقصاء
على الرعيَّةِ فِرَاقٌ » ، وفي الحكمة النبوية : إِذَا لَمْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ
فَسَعُوهُمْ بِأَخْلَاقِكُمْ . ويقال : إنه ليس كلمة أجمع لمكارم الأخلاق منها » .

وأما الكتابة التي تَتَضَمَّنُ الأمثالَ وهي مُرْصَعَةٌ بِالْوَقَائِعِ والأَيَامِ
والنكت ، فمن ذلك قولي في جملة توقيع : « وَأَهْمٌ مَا يُؤْمَرُ بِهِ وَإِنْ كَانَ
شَيْئُهُ ، وَآكَدُ مَا يُوصَى بِهِ ، وَإِنْ كَانَ خُلُقُهُ وَسَجِيَّتُهُ ، الاستمرارُ
على ما اشتهر به من الأمانةِ التي فَازَمَنَ تَدَرَّعَ بِأَثْوَابِهَا ، وتعلق بِأسبابِهَا ،
وَحُلَّى بِسِمِطِهَا وَوَشَّاحَهَا ، وَتَجَلَّى فِي لَأْلَاءِ إِصْبَاحِهَا ، وارتقى أعلى
مراتبها ، واقتنى أَسْنَى مناقِبِهَا ، وارتدى بِأَرْدِيَّتِهَا ، واحتسبى بِأَنْدِيَّتِهَا .
وَضَرَّ مَنْ نَضَا وَأَنْضَى رِكَابَهَا ، وَعَسَدَ عَنْ طَرِيقِهَا ، والقيام بحقوقها ،
وباعها بِالثَمَنِ الْبَحْسِ ، وَوَكَسَ فِيهَا شَرًّا وَكُسًا ، وَرَجَعَ بِالْحَدِّ
الْمَنْعُوسِ^(٢) ، والحظ المنحوس ، والرأس المنكوس ، مُتَلَفِّفًا فِي الْعَاجِلِ
بثوب الْحَزَنِ والصغار ، متعرضاً فِي الْآجِلِ لِلنَّكَالِ والبوار ، فالخرة

(١) الآيَةُ الْأُولَى (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) سورة الأنعام : الآيَةُ ١٤١ .

وَالْآيَةُ الثَّانِيَّةُ (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَقَتْ غَزَاؤُهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا) سورة النحل : الآيَةُ ٩٧ .

(٢) النَمْسُ لِيْنِ الرَّأْيِ وَالْجَسْمِ وَضَعْفُهَا وَكَسَادُ السُّوقِ .

لا تَأْكُلْ بِشَدِّهَا وَإِنْ جَاعَتْ ، وَلَوْ اضْطُرَّتْ إِلَى الدُّنْيَا لَمَا أَطَاعَتْ ، وَرُبَّ
أَكْلَةٍ هَاضَتْ ، وَزِيَادَةٍ زِيدَتْ عَلَيْهَا فَفَاضَتْ ، وَطَالَمَا تَتَوَبُّ الْبَيْطَةُ
بِصَاحِبِهَا ، ثُمَّ يَنْدَمُ عَلَى سُوءِ عَاقِبَتِهَا ، وَمَنْ أَكَلَ قَلِيلًا نَامَ قَرِيرًا ، وَالْقَرِيرُ
مِنَ الْقِنَاعَةِ غَنِيٌّ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا » .

فهذا الفصل يشتمل على أمثال عدة ^(١) مع ما فيه ^(٢) من شرف الصنعة.
ومن ذلك ما قلته في توقيع بعض النظار بأعمال السواد : « وليجتهد
في تربية المزروعات ، ولتكن عنده كرتبة الأولاد ، وليحرسها من بوائق
العيب والفساد ، وليستكثر من نواطيرها ^(٣) وسقَاتِهَا ، في تَطَوُّفِهِ
عليها بنفسه في معظم أوقاتها ، ففضيلة العمل في استِثْمَامِهِ ، والهِلَالِ
حَسَنٌ وليس كحسنة لِسْمَامِهِ ، وَلِيَهْتَمَّ بِإِصْلَاحِ (السكور) و(البريدات)
و (الرؤف) و (المرادات) ليأمن عليها من الانفتاح والانفجار ، وتأسيس
أساسها على شَقَا جُرُفٍ هَارٍ . وليكن من الاعتناء بها والاهتمام بحيث يَحْلُمُ
بها في المنام ، ويتخيلها في الأحلام ، فإن الزلل فيها مُذْهِبُ الْأَمْوَالِ
ومُجْتَنَاحُ الرِّعْيَةِ ، وهي من المصالح الكلية ، لا من المحقَّرات الجزئية ،
فإياه أن يستصغر منها الصغير ، أو يستحققر الحقيقير ، فرب أمرٍ قَلَّ ثُمَّ

(١) تجوع الحرة ولا تأكل بشديها ، أي لا تكون ظئراً وإن آذاها الجوع . وأول من قال
ذلك الحارث بن سليل الأسدي ، وكان حليفاً لعلقة بن خصفة الطائي ، فزاده فنظر إلى ابنته
الزباء وكانت من أجمل أهل دهرها ، فأعجب بها ، فخطبها ، فاستهله علقمة ، واستشار امرأته ،
فاستشارت ابنتها ، ثم لم تزل بها حتى غلبها على رأيها ، فتزوجها الحارث ، ورحل بها إلى قومه ،
وبينما هو يوماً جالس بفتاه داره وهي إلى جانبه أقبل شاب من بني أسد ، فبكى ، فقال لها :
ما يبكيك ؟ قالت : مالي وللشيوخ الناهضين كالفروخ . فقال لها : ثكلتك أمك ، تجوع الحرة
ولا تأكل بشديها (مجمع الأمثال للميداني ٨٢/١) .

(٢) بالأصل (مما فيه) .

(٣) النواطير : جمع ناطور وهو حارس الكرم والنخل .

جَلَّ ، وفي المثل أولُ الغَيْثِ طَلَّ^(١) .

فهذا الفصل يشتمل على أمثال مأخوذة من الشعر ، فمنها من قول أبي تمام :

هذا الهلالُ يَرُوقُ أبْصَارُ الوري حُسْنًا وليس كَحُسْنِهِ لِتَمَامِهِ^(٢)
ومنها قوله أيضاً :

وأزرقُ الفجرِ يبدو قبلُ أبيضِهِ وأولُ الغيثِ طَلَّ^(٣) ثُمَّ يَنْسَكِبُ

ومن ذلك قولي في هذا التوقيع : « وإياه أن يَسْلُكَ في حِرَاسَةِ الْأَمْوَالِ مَسْلَكَ الْمَدَاهِنَةِ ، أو يذهب في السياسة مذهب الإغضاء والملاينة ، فتَضِيعُ حَرَكَاتُهُ ، وتَذْهَبُ حَسَنَاتُهُ ، ويصبح كالتي أراقت سَجَلَهَا^(٤) أو يصبح كالتي نَقَضَتْ غَزَلَهَا ، ويكثرُ الْعَبَثُ والفساد ، ويستحكم الطبع ويزداد ، فأدعى الأشياء إلى انحلال النظام وضع الصفح موضع الانتقام .

وَلَيْسَتْ تَصِيبُ لاسْتِفَاءِ الْأَمْوَالِ وَحَمَلَهَا ، فقد عليم أنها الثمرة المنتظرة ، والغاية المرتقبة ، والرُبْدَةُ التي تمخضت عنها هذه الحركات ، والنتيجة التي تقدمت لها هذه المقدمات ، فليواصل بها مواصلة يَجْنِي جَنَّاها ، وَيَحْمَدُ عند الصباح سُراها ، وليطالع الديوان العزيز بجاري أحواله ، ومصالح أعماله ، لِيَدَبِّرَ من آرائه العالية ، وتَقْدِمَاتِهِ السَّامِيَةِ ، بما يُبَصِّرُهُ

(١) الطل : المطر الضعيف .

(٢) من أبيات في مدح إسحاق بن أبي ربيع أولها :

لولا أبو يعقوب في إبراهيم سبب العلا لانحل ثقي زمامه
الديوان ٢٦٩/٣ .

(٣) السجل : الدلو .

وَيُرْشِدُهُ ، وَيُوقِّعُهُ وَيُسَدِّدُهُ ، ويحميه من موارد الردى ، ويجعله من الذين اهتموا وزادهم هدى .

فهذا الفصل يتضمن آيتين من الكتاب العزيز وهما « كالتى نقصت غزلها من بعد قوة أنكاثا^(١) » و « الذين اهتموا زادهم هدى^(٢) » .

ويشتمل على أمثال شعرية وهي قول المتنبي :

وَوَضَعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السِّيفِ بِالْعِلا

مَضِرَّ كَوْضِعِ السِّيفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى^(٣)

وقول الآخر : عند الصباح يحمد القوم السرى^(٤) .

ومن ذلك ما قلناه في توقيع بعض كتاب الأعمال : وَلِئُرْتَبَّ بِدِيَوَانِ
المعاملات نائباً جَلَدًا يثق بأمانته ، ويطمئن إلى كِفَايَتِهِ ، يقوم مقامه ،
وَيُسَدُّ مَسَدَهُ ، فإنه لا غنى له عن المساعد على أثقاله ، والمعاضد له
في جميع أحواله ، فالوادي لا يَزْخَرُ بغير شِعَابِهِ^(٥) ، والبيت لا يقوم

(١) سورة النحل : الآية ٩٢ .

(٢) سورة محمد : الآية ١٧

(٣) من قصيدته في مدح سيف الدولة وتهنئته بالعيد ، مطلعها :

لكل امرئ من دهره ما تمودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

الديوان ١/١٩١ .

(٤) قال المفضل : أول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث أبو بكر وهو بالجماعة أن سر
إلى العراق ، فأراد سلوك المفازة ، فقال له رافع الطائي قد سلكتها في الجاهلية ، ولا أظنك تقدر
عليها إلا أن تحمل الماء ، فاشترى خالد مائة شارب ، فعطشها ثم سقاها الماء ثم كتبها وكم أفواهاها
وسلك المفازة بها ، فلما مضى يومان نحر الإبل واستخرج ما في بطونها من الماء ، فسق الناس
والخيل ومضى ، وبعد أربعة أيام بدا لحم الصدر ، فقال خالد : عند الصباح يحمد القوم السرى
(مجمع الأمثال ١/٣٠٣) .

(٥) شعاب الوادي : جمع شعب بكسر السين ، وهو الطريق في الجبل وسيل الماء في بطن أرض .

إلا بعمده وأطنابه^(١) ، والسيف يحتاج إلى القائم^(٢) ، والخوافي
عدة للقوادم .

فهذا الفصل يتضمن أمثالا شعرية منها قول أبي تمام :

فاضمم قواصيههم إليك فإنه لا ينزحر الوادي بغير شعاب
والسهم بالريش اللوام ولن تترى بيتا بلا عمد ولا أطناب^(٣)

ومنها قول بشار :

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافي عدة للقوادم
وما خبير كف أمسك الغل أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم^(٤)

ومن ذلك ما قلناه في هذا التوقيع أيضاً وهو :

« وليأشر بنفسه ، أو من يقوم مقامه كل ما يستوفي ويحرر ويقرر
ويحل ويعقد ، ويستظهر على الأموال المستوفاة بحتمه ، ويضبط
الحقوق بعمله وعلمه ، فهو الشاهد المصدق في النقص والإبرام ، وحدام

(١) الأطناب : جمع طناب بضم الطاء والنون وهو حبل طويل يشد به سراقذ البيت
وهو أيضاً الوتد .

(٢) قائم السيف : مقبضه .

(٣) من قصيدته في مدح مالك بن طوق التغلبي ، مطلعها :

لو أن دهرأ رد رجع جواب أو كف من شأويه طول عتاب

الديوان ٩٤/١ .

اللوام : الذي يلائم بعضه بعضاً ، وذلك أجود الريش عندهم .

(٤) من قصيدة له أنشدها إبراهيم بن عبد الله بن حسن .

الأغاني ٢٩/٣ .

في صناعته ، والقول ما قالت حذام^(١) » وموضع المثل من هذا الفصل والبيت الذي فيه معلومان .

ومن ذلك قولي في هذا التوقيع أيضاً عند وصية الكاتب بقوانين وقواعد يعتمدها في هذا الحساب ورفعِهِ : « ولا حاجةَ له إلى أن يُجَرى له في هذا الباب ما يتَّبِعُه وَيَقْفُوهُ ، ولا يُمَثَّل له ما يَطَّأ عَقْبُهُ وَيَتَلَوُّهُ ، فغيره تُفْرَعُ له العَصَا^(٢) ، وسواه يُقَعِّقُ له بالكصا ، والعَوَانُ لا تُعَلِّمُ الحِمْرَةَ^(٣) ، والفَطِينُ^(٤) لا يُوصَى إلا مرة . وإذا احتاج الحسامُ إلى الغِمْدِ والجَوَادُ إلى الحَمَزِ ، فهو^(٥) الغيُّ برُشْدِه عن الإرشاد ، وابن جَلّا وطلّاعُ النّجّاد^(٦) » .

(١) أي القول السديد المعتمد به ما قالته ، وإلا فالصدق والكذب يستويان في أن كلا منهما قول . يضرب هذا المثل في التصديق : قال ابن الكلبي : إن المثل للجم بن صعب والد حنيفة وعجل ، وكانت حذام امرأته فقال فيها زوجها لجم :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

مجمع الأمثال ٣٥/٢ .

(٢) قال ابن الأعرابي : أول من قرعت له العصا عامر بن الظرب العدواني - وقيل غيره - وكان من حكماء العرب لا تعدل يفهمه فهماً ولا يحكمه حكماً . فلما طعن في السن أنكر من عقله شيئاً ، فقال لبيته إني قد كبرت سني وعرض لي سهو ، فإذا رأيتموني غرجت من كلامي فاقرعوا لي الحنن بالعصا . وهو الذي يريد المتلمس بقوله :

لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلم

والمثل يضرب لمن إذا نبه انتبه (مجمع الأمثال ٢٥/١) .

(٣) بالأصل (القرآن) . والعوان هي المرأة المتزوجة . والخمرة الاختار أي أنها لا تحتاج إلى من يملأها وضع الحمار . يضرب المثل للرجل المحرب (مجمع الأمثال ١٣/١) :

(٤) في الأصل (الكفن) .

(٥) في الأصل (فهي) .

(٦) يضرب للمشهور المتعالم ، وهو من قول سحيم بن وثيل الرياحي :

أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا متى أصعب الهامة تعرفوني

وتمثل به الحجاج في خطبته بالكوفة . قال بعضهم ابن جلا النهار ، وحكي عن عيسى بن عمر أنه كان لا يصرف رجلاً يسمى بضرب (فعل ماض) ، ويحتج بهذا البيت ، ويقول : لم ينون جلا لأنه على وزن فعل . قالوا : لا حاجة له في البيت لأن الشاعر أراد الحكاية فصكى الاسم على ما كان عليه قبل التسمية . وتقديره : أنا ابن الذي يقال له : جلا الأمور وكشفها .

هذا الفصل يتضمن أمثالا عدة منها : فغيره يقرع له بالعصا ، من قول الشاعر :

لذي الحلم قبل اليوم ما تفرَّعُ العَصَا وما علَّم الإنسان إلا ليعلما
وذو الحلم هو عامر بن الظرب العدواني حكيم العرب ، وقصته مشهورة ، وكذلك الفطن لا بُوصى إلا مرة .

وأما ابن جلا وطلاع النجاد فمثل شعري أصله قول القائل :
أنا ابن جَلَا وطَلَعُ الثَّنايا منى أضعُ العَامةَ تعرفوني
ومن ذلك ما كتبه في توقيع كاتب آخر وهو « حيث تَوَقَّلَ (من) »^(١)
هذه الصناعة قُلِّلَتْهَا ، واجْتَابَ^(٢) مَلابِسُهَا وحُلَّتْهَا ، وكشفت التجربة
أنه ابنُ بَجْدَتِهَا ، ورَضِيعُ دِرَّتِهَا وجُهِينَتُهُ أخبارُهَا ، وجَوَادُ مِضَارِهَا ،
وَنَسَجُ وَحْدِهَا ، وصَمَصَامَةُ غَمْدِهَا ، واشتهرتُ عنه الأمانةُ التي
تَقَمَّصَ بُرْدَتِهَا ، واستلانُ سَبُلِهَا^(٣) ، ونهج طريقها ، وحَمَى حَقِيقَتِهَا .

وفي هذا الكلام أمثال كثيرة ، وألفاظ تجري مجرى الأمثال^(٤) ،

(١) كان بالأصل تحريف في كلمة (توقل) وأضفنا (من) ليستقيم المعنى .

يقال : وقل في الجبل يقل إذا صعد كتوقل .

(٢) كانت الكلمة في الأصل (وأحباب) فرجحنا أنها بمعنى قطع وفصل .

(٣) في الأصل (واستلام شبلها) فرجحنا هذا التصويب .

(٤) عند جفينة الخبر اليقين . مثل له قصة طويلة عن هشام بن الكلبي .

وقال الأصمعي وابن الأعرابي هو جفينة بالفاء ، وكان عنده خبر رجل مقتول ، وفيه يقول الشاعر :

تسائل عن أبيها كل ركب وعند جفينة الخبر اليقين

فسألوا جفينة فأخبرهم خبر القتيل ، وقال بعضهم هو جفينة بالحاء .

يضرب في معرفة الشيء حقيقة .

مجمع الأمثال ٣٠٤/١ .

ابن بجدة : البجدة الأصل ، ودخلة الشيء وباطنه ، وعنده بجدة ذلك أي علمه . يقال للعالم بالشيء والدليل الهادي .

ومن ذلك ما كتبه في وصايا توقيع بعض النظار وهو : « الحركة الدائمة التي تذهب الكلالَ ، وتُرهِفُ الكليلَ ، وتترع الغُلَّ وتَشْفِي الغليلَ ، وتُعْقِبُ الراحةَ ، وإن عَجَلَتِ النَّصَبَ ، وتَقَوِّمُ الأعمالَ مقامَ الدواء للوَصَبِ . فليكن لها ملازماً ، وعليها مواظباً ، ولمهاد الدعة وجانب الكسل مُجَانِباً ، فمن لم تُسَوِّدْه البَيِّدَاءُ لم تُسَوِّدْه العَلَيَاءُ ، ومن لم تَلْفَحْ جِسْمَهُ السَّمَائِمُ لم تُبَيِّضْ وجهه المكارم » .

وهذا مأخوذ من قوله :

ما ابيضَّ وجه المرء في طلب العلا حتى يسودَّ وجهه في البید

ومن ذلك قولي في هذا التوقيع لناظر قد رتب على زراعة غيره ، وأمر بتربية ذلك المزروع وهو : « وبترْبِيَةِ المزروعات لسنة كذا الخراجية ، وترْتِيبِ النّوَاطيرِ والحَفَظَةِ لها ، وتَعَاهُدِهَا بالسَّقْيِ عند حاجتها . فليكنْ معظمُ زمانه مصروفاً إليه ، وموقوفاً عليه ، فهذا الارتفاعُ إن لم يكن غارسهُ فهو حارسهُ ، وإن كان قد سبقه إنشاؤه فعليه تربيتُهُ وإنماؤه ، فالأعمالُ بختامها ، والمبادئُ بإتمامها ، وليس البناءُ لمنْ وَضَعَ أُسَّهُ ، بل لمن كَمَلَهُ ، ولا الصيدُ لمنْ أَثَارَهُ بل لمن حَصَلَهُ » .

في هذا الكلام من الأمثال المشهورة قولهم : « الأعمالُ بنحوائِهما » ، ومن الأمثال النبوية قوله : ليس الصيد لمنْ أَثَارَهُ ، بل لمن حصله .

ومن ذلك قولي في هذا التوقيع توصيةً بالمعاملات لسنة كذا الخراجية : « فليضاعفْ رِجَالُهَا ، وليَعْمُرْ أَعْمَالُهَا ، فهو مُفْتَسِحُ ارتفاعه ، ويَكْثُرُ خِدْمَتُهُ ، والشاهد على وَفُورِ اجتهاده ، وعلوِّ همته ، وعليه الاعتماد والمتَّوَل ، فليحذر أن يقال إذا ما أوَّل » .

هذه إشارة إلى البيت المشهور الذي قد صار مثلاً وهو :
إذا ما أوَّل الخطي أخطا فلن يُرجى لآخره انتصار
ومن ذلك قولي : « فليحكم بُنيانها ، وليشيد أركانها ، ليستتر
عوارها ، ويأمن انفجارها ، وتثبت تحت المياه عند طغيانها ، وتقوى
على تمرُّدها وعصيانها . وليحذر عاقبة الهوى فيها ، ومغبة
الإهمال لأمرها ، فالدخان تلهب ناره ، والشر تبدو صغاره » .

هذان مثالان مشهوران قد وقعا في هذا الكلام موقعهما .
ومن ذلك ما قلته في الوصاة بالأكرة^(١) : « والأكرة فهم جنده الذي
به يُحارب ، وسيفه الذي به يضارب ، فليُسجِح في ملكته^(٢) ،
وليُنصِف ضيعتهم في معاملته ، وليوقرَّ عليهم حصصهم وحقوقهم ،
وليخفف ما استطاع رسومهم وطسوقهم^(٣) ، فهم جند الرغبة ،
لا جندُ الرهبة ، وعبيد البر والإحسان ، لا عبيد الظلم والطغيان . ومن
طوقَ الأجباد ، فقد أوثقَ الأقياد ، ومن لم يملكِ القلوب لم يملك
الأجساد . والأكرة جند لا تزال البلاد ساكنة آمنة ، ما سكتوا وأمنوا ،
وفي الحكمة القديمة : استوصوا بأهل الخراج ، فلا تزالون سماناً ما سمنوا » .
في هذا الكلام من الأمثال قولهم : ملكت فأسجِح^(٤) ، وقول

(١) الأكرة : جمع أكار وهو الحراث .

(٢) الملكة محركة الامتلاك مع القدرة على الاستبداد .

(٣) الطسق بالفتح ما يوضع من الخراج على الأفدنة أو شبه ضريبة معلومة .

(٤) الإسجاح : حسن العفو ، أي ملكت الأمر فأحسن العفو . وأصله السهولة والرفق .

قال أبو عبيدة : يروى عن عائشة أنها قالت لعلي يوم الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هو دجها
ثم كلمها بكلام : ملكت فأسجح . فجهزها عند ذلك بأحسن جهاز ، وبعث معها أربعين امرأة ،
وقيل سبعين حتى قدمت المدينة .

(بجمع الأمثال ١٥٨/٢) .

أردشيرين بابك : استوصوا بأهل الخراج فإنكم ما تزالون سمانا ما سمنوا .
وفيه نظر إلى قول المتنبي :

وقيدت نفسي في هواك محبةً ومن وجدَ الإحسان قِيداً تقيداً^(١)

ومن ذلك ما صدرت به توقيعاً في تقرّظ بعض النظار وهو : « لما كان فلان من الرجال الأفراد الذين عليهم الخناصر تُعَقَّدُ ، وإذا طلبت النظائر مثْلَهُمْ تَعَزَّ وتَفَقَّد ، وكانت شمائله وشواهده تنطيقُ عنه بالكفاية ولو لم يُخَيَّرْ ويُشْهَدْ ، له مخايل الفراسة بخصائص النجابة ، وقد دلت سوابقُ الاختبار له على حُسْنِ الاختيار ، وإثباتُ سَوَالِفِ مآثر خِدَمَاتِهِ على حَمِيدِ الآثار ، واستحقاقُ الإيثار . وكان الديوان العزيز قد بَلَّاه في حَالَتِي عَمَلِي وعُطَّلْتُهُ ، وعرف ما تنطوي عليه أنباء بُرْدِيَّةٍ في يوم فقره وثروته ، وكان في أيام خِدَمَاتِهِ الرجلُ الشَّهْمَ الذي يَنْفَعُ نفوذَ الشَّهْمِ ، ويدرك بحسِّه الثاقبِ خَفِيَّ الوهم ، إذا سَقَى به أرضاً صَابِها^(٢) ، وإن رَمَى به رَمِيَّةً أَصَابَتْها ، وإن عالَجَ تديرُهُ معاملةً سقيمةً أبرا أو صابها .

هذا إلى ما خُصَّ به عن سياسةٍ تمنع خِطَابَ الضمير ، فضلاً عن خطوات التَّدْيِيرِ ، وأمانةٍ ضُمَّ عليه إهابُها ، وسُمِّعَ قَرَقَعَةُ جَلْبَابِها ، وضُمَّا عليه سِرِّبَالُها ، وتَحَيَّبُ وراءَهُ أذْيَالُها . ومن أيام عُطَّلْتُهُ رَبُّ

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة وهشنته بعيد الأضحي ، مطلعها :
لكل امرئ من دهره ما تمودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

الديوان ١/ ١٩٤ .

وكان في الأصل (ومن قصد الإحسان) فأصلحناه من الياوران .

(٢) صابت السماء : أمطرت ، وجادت الأرض ، فهو لازم ومتعد كما في تاج العروس مادة صوب .

الصَّيَانَةِ الَّتِي لَا تُجْحَدُ ، وَمُدْخِرِ الْقَنَاعَةِ الَّتِي هِيَ كَثْرٌ لَا يَنْفَدُ ،
وَالصَّابِرِ عَلَى الْبُؤْسِ بَلْ عَلَى الْعَطَبِ ، بَلْ لَا يَصْبِرُ عَلَى النَّارِ إِلَّا خَالِصُ
الذَّهَبِ . فَرَأَى الدِّيَّانُ الْعَزِيزُ إِعَادَةَ النَّظَرِ بِالْمَعَامَلَاتِ الْفُلَانِيَةِ إِلَيْهِ ، وَالتَّعْوِيلَ
فِي إِصْلَاحِ فَاسِدِهَا وَتَقْوِيمِ مَائِدِهَا عَلَيْهِ ، عَلِيماً أَنَّهُ قَدْ سَلَّمَ الْقَوْمَ إِلَى
بَارِيهَا ، وَأَضَافَ الْعَقِيلَةَ إِلَى كَفِّهَا وَكَافِيهَا .

فِي هَذَا الْكَلَامِ مِنَ الْأَمْثَالِ وَالنَّكَتِ الرَّائِقَةِ مَا لَا خُفَاءَ بِهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي فِي هَذَا التَّوْقِيعِ مِنَ الْوَصَايَا : « وَلِيَهْتَمُّ أَوَّلًا بِحِفْظِ الْبَذُورِ
الَّتِي هِيَ رَأْسُ الْمَالِ ، وَذَخِيرَةُ الْأَعْمَالِ ، وَالْغُرُوسِ الَّتِي تُجْتَنَّى ثِمَارُهَا ،
وَالْبِضَاعَةِ الَّتِي إِذَا حُرِسَتْ أَمِنَ بَوَارِئُهَا ، وَالتَّفْرِيطُ فِي الْقَلِيلِ عَنْهَا لَيْسَ
بِقَلِيلٍ وَلَا قَرِيبَ . وَفِي الْمَثَلِ : كَمْ بَذَى الْأَثْلُ دُوْحَةً مِنْ قَضِيبٍ ^(١) ،
وَلِيَتَخَيَّرَهَا خَالِيَةً مِنَ الْغَشِّ وَالِدَغَلِّ ، فَالْغَشُّ فِي الْمَتَاجِرِ الدِّنْيَوِيَّةِ ، وَالْغَشُّ
فِي الْمَتَاجِرِ الدِّبْنِيَّةِ ، كِلَاهُمَا يُبْطِلُ الْعَمَلَ ، وَمِنْ هَوْنٍ فِي الْبَدْرِ فَيَوْمَ
الْحَصَادِ يَنْدَمُ ، وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَى مَا قَدَّمَ يُقَدَّمُ ، وَلَا يَتَوَلَّدُ عَنِ الْمَعْدُومِ
إِلَّا الْعَدَمُ ، وَمَنْ أَشَبَّهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ » ^(٢) .

هَذَا الْفَصْلُ يَتَشَبَّعُ شَعْبًا ، فَمِنْهُ مَا يَنْزِعُ إِلَى الْخَبَرِ النَّبَوِيِّ وَهُوَ قَوْلُهُ
« وَإِنْ كُمْ لَتَقْدُمُونَ عَلَى مَا قَدَّمْتُمْ » ، وَمِنْهُ مَا هُوَ مَأْخُذٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ :

(١) الْأَثْلُ : شَجَرٌ وَاحِدَةٌ أَثْلَةٌ وَهِيَ السَّرَّةُ أَوْ شَجَرَةٌ مِنَ الْعِضَاءِ طَوِيلَةُ مُسْتَقِيمَةٍ تَعْمَلُ
مِنْهَا الْقَصَاعُ وَالْأَقْدَاحُ . الدُّوْحَةُ : الشَّجَرَةُ الْفُخْخَةُ . الْقَضِيبُ : الْفُصْنُ . وَالْمَعْنَى كَمْ مِنْ شَجَرَةٍ
ضَخْمَةٍ أَصْلُهَا فَرْعٌ صَغِيرٌ .

(٢) مِثْلُ مَعْنَاهُ أَنَّ مَنْ أَشَبَّهَ أَبَاهُ لَمْ يَضَعْ الشَّبَهَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَوْلَى بِهِ مِنْهُ
بِأَنِّ يَشَبَّهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرَادَ فَمَا ظَلَمَ الْأَبَ أَيْ لَمْ يَظْلَمْ حِينَ وَضَعَ زَرْعَهُ حَيْثُ أَدَّى إِلَيْهِ الشَّبَهَ .
وَكَلَّا الْقَوْلَيْنِ حَسَنٌ .

(جَمْعُ الْأَمْثَالِ ١٧٠/٢) .

إذا أنت لم تَزَرَعْ وأدركتَ حاصداً
تَدِمْتَ على التَّقْصِيرِ في زَمَنِ البَذْرِ
ومنه ما يَرْجَعُ إلى قوله أبي تمام :

لا تَدِيلَنَّ صَغِيرَ هَمِّكَ وانظرْ

كم بذِي الأَثَلِ دوحَةٌ من قضيب^(١)

وقد دخل فيه أيضاً المثلُ السائرُ : من أشَبَهَ أباه فما ظَلَمَ .

وقولي « ولا يَتَوَلَّدُ عن المَعْدومِ إِلَّا العَدَمُ » نكتةٌ كلامية^(٢) .

وقولي « إن الغشَّ الدنيوي كالغشِّ الديني كلاهما يُبْطِلُ العملَ » ،

لا يخفى ما فيه من الحلاوة مع لطف الصنعة .

ومن ذلك قولي في الوصاة بحراسة الارتفاع وهو : « وحراسة الغلَّاتِ
عند الإدْرَاكِ والحَصَادِ ، وإظهار الوَزَعَةِ التي تُشَرِّدُ بالرُّقَادِ ، وتُغْنِي
عن تجريد السيوف من الأغْادِ . فأنت رضيع لبانها ، لا شريك عِنانها^(٣) ،

(١) لا تدلين : لا تهملن . ألم : الحزن أو الهمة . الأثل : شجر معروف يعظم ويكبر :
أي لا تهمل نظرك في صغير همك ؛ فإن كان خيراً فإنه يثمر وتعتظم المنفعة به ، وإن كان مما يحذر
فإنه لا يؤمن أن يتفاقم .

وهذا المعنى قصده نهشل بن حري في قوله :

قال الأقارب لا يفررك كثرتنا وأغن شأنك عنا أبها الرجل
على بني يشدد الله أزرهم والبيع ينبت قضباناً ويكهل
ربيت أبي تمام من قصيدته في مدح سليمان بن وهب التي مطلعها :
أي مرعى عين ووادي نعيم لحبته الأيام في ملحوب

الديوان ١/١٢٧ .

ونصبت كلمة (دوحه) مع أنها تميز لكم الخبرية ، لأن من شروط جر تمييزكم الخبرية
الاتصال ، فإن فصل نصب تمييزها حلا على الاستفهامية ، وذلك جائز في السعة ، والصحيح
اختصاصه بالشعر (حاشية الصبان على الأشموني) .

(٢) من اصطلاح علماء الكلام .

(٣) العنان في الشركة أن تكون في شيء خاص دون سائر ما للشريكين ، أو هو التساوي
في الشركة ، لأن عنان الدابة له طاقتان متساويتان .

والمضروبة بين أمثاله الأمثال، والمنقوضة لديه الأخلاص، والمحطوطة إليه الرجال. وسيلك الأخذ على الفتيل والتقيير، وألا يحقر في هذا الباب ما هو أحقر من الحقير، فقليل الخناية يدعو إلى كثيرها، وربما تهاج كبيرات الأمور بصغيرها، والشراك بالشراك^(١) يتصل، ومن الذود إلى الذود إبل^(٢).

في هذا الفصل من الأمثال والنكت قولهم: ها رضيعا لبان^(٣)، وقولهم: ها شريكا عنان. ومن بيت الحماسة:

* يهيج كبيرات الأمور صغیرها *^(٤)

وبيت البحري:

من لَعَا هذا إلى مخسوس ذا ومن الذود إلى الذود إبل^(٥).

(١) الشراك: سير النمل.

(٢) يقال هو أخوه بلبان أمه، لأن اللبان بالكسر الرضاع، قال يعقوب بن السكيت لا يقال بلبن أمه، لأن اللبن الذي يشرب. وفي الأمثال ها فرسا رهان ورضيعا لبان.

(٣) لشبيب بن البرصاء:

وإني لمرأك الضغينة قد بدا ثراها من المولى فما أستثيرها
مخافة أن تجني علي وإعسا يهيج كبيرات الأمور صغیرها
(شرح المازوني ١١٢٣/٣).

(٤) في الأصل (من لذا هذا إلى محبوس ذا). والتصويب من الديوان.

وقبل البيت قول البحري:

أصل النور إلى النور وقد يبلغ الحبل إذا الحبل وصل
ديوان البحري ٢١٥/١.

الغناء: على وزن مهاء التراب وكل خسيس حقير يسير. مخسوس: من غس فلان تصيب فلان إذا جعله خسيساً دنيئاً حقيراً.

الذود: من ثلاثة أبعة إلى عشرة أو خمس عشرة أو عمرين أو ثلاثين أو ما بين الثلاثين والتسع. وقولهم (الذود إلى الذود إبل) يدل على أنها في موضع اثنتين لأن الثنتين إلى الثنتين جمع (القاموس المحيط مادة ذود).

ومن ذلك ما قلته من الوصاة بتخير الثواب والعمال وهو : « والمستنبون بالأعمال فهم البد الباطنية ، والرجل الساعية ، والعين الباصرة ، والأذن الواعية ، وأنت لهم بمنزلة الجسد ذي الأدوات ، والقلب المستعمل للأعضاء والآلات ، فإذا صحوا كنت الصحيح السليم ، وإذا سقموا كنت المريض السقيم ، لأنهم أجزاؤك وأبغاضك ، فصحتهم صحتك ، وأمراضهم أمراضك . فأذكِ عليهم عيون التطلّع ، ولا تخليهم من التصفّح والتتبّع ، واجعلهم نُصبَ عينيك ، وتجاهَ ناظرك ، وتلقاء وجهك ، وإزاء خاطرك ، فمن كان أميناً أقرّرتَهُ وأدْنَيْتَهُ ، ومن شككت فيه طَرَدْتَهُ وأَقْصَيْتَهُ ، ومن ثَبَتَ عليه هَفْوَةٌ ، أو صَحَّتْ عليه عَثْرَةٌ أو كِبْوَةٌ ، فسيلك أن تُنْكَلَّ به ، وتبالغ في حُسْنِ أدبه . ولا تسلك في ذلك مَسْلَكَ المجاملة والمداهنة ، فما كلُّ وقتٍ تصلح الملاينة ، وليس كلُّ ذنبٍ يَحْتَمِلُ الإغضاء والطّي ، ومن الأمراض ما لا يُحْسَمُ إلا بالكَيِّ ، وأفسدُ الأشياء لقانون الرِّباسةِ وَضْعُ الصَّفْحِ مَوْضِعَ السِّبَاسَةِ ، وأدعى الأشياء إلى انحلال النظام ، الصَّفْحُ عن ذوي الذنوب والأجرام .

وهذه الأخيرة ، قد تقدم نظيرُها ، وهو قولنا : فأدعى الأشياء إلى انحلال النظام ، وَضْعُ الْعَفْوِ مَوْضِعَ الْإِنْتِقَامِ ، وقد ذكرنا بيت أبي الطيب الذي أخذناها منه ^(١) .

ومن ذلك قولي في خاتمة الوصايا في هذا التوقيع : « ولا حاجة لنا مع كماله وسداده ، وهديهِ المجمعِ عليه ورشاده ، إلى استقصاء ما في الوصايا والأوامر ، ولو تَبَيَّنَ الكناية لقال فيها كم تَرَكَ الأولُ للآخر ،

(١) البيت الذي يريده هو :

ووضع الندي في موضع السيف بالملأ مضر كوضع السيف في موضع الندي

فهو يخترع من محاسن التَّصَرُّف من الخِدْمَةِ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ الْكَبِيرُ مِنْ أَرْبَابِ
السياسة والتدبير ، ويستنبط بِخَبْرَتِهِ مَا يَسْتَعْنِي بِهِ عَمَّنْ يُرْشِدُهُ ،
وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ^(١) .

فآخِرَ هَذَا الْفَصْلِ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ ، وَصَدْرَهُ مِثْلُ شِعْرِي نَظَّمَهُ
أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

لَا زِلْتَ مِنْ شُكْرِي فِي حُلَةٍ لَا بُسْهَافَا ذُو سَلَبٍ فَآخِرِ
يَقُولُ مِنْ تَقَرُّعِ أَسْمَاعِهِ كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلَ لِلْآخِرِ ^(٢)
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي فِي هَذَا التَّوْقِيعِ : « وَلِيُطَالِعَ الدِّيَّانَ الْعَزِيزَ بِأَحْوَالِ
عَمَلِهِ فِي أَوْقَاتِهَا ، مِنْ غَيْرِ إِرْجَاءٍ يُفْضِي إِلَى فَوَاتِهَا ، مُسْتَمْدًّا مِنْ تَدِيرِهِ
الصَّائِبِ وَرُشْدِهِ ، مَا يُبْصِرُ بِهِ سَبِيلَ قَصْدِهِ ، وَمُسْتَنْجِدًا مِنْ
رَأْيِهِ الثَّاقِبِ مَا إِذَا شَدَّ بِزَنْدِهِ ضَرْبَ بِنَصْلِ يَقْطَعُ الْهَامَّ مِنْ غِمْدِهِ » .

هَذَا يَتَضَمَّنُ مِنَ الْأَمْثَالِ الشَّعْرِيَةِ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي :

إِذَا شَدَّ زَنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِي يَدِي
ضَرَبْتُ بِنَصْلِ يَقْطَعُ الْهَامَّ مُغْمَدًا ^(٣)
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي فِي تَوْقِيعِ بَعْضِ مُثَرِّفِي الْأَعْمَالِ فِي ذِكْرِ الْأَمَانَةِ :
« فَإِنَّهَا الدَّرْعُ الَّتِي تَسْخَرُ بِالنَّبَالِ ، وَتَهْزَأُ بِالنَّصَالِ ، وَتَضْمَنُ سَلَامَةَ

(١) مِنْ سُورَةِ فَاطِرٍ : الْآيَةُ ١٤

(٢) مِنْ قَصِيدَتِهِ فِي مَدْحِ أَبِي سَعِيدٍ الَّتِي مَطْلَعُهَا :

قُلْ لِلْأَمِيرِ الْأَرْبَعِي السَّنِي كَفَاءَ اللَّبَادِي وَالْمَعَاوِرِ
الدِّيَّانُ ١٦١/٢ .

(٣) مِنْ قَصِيدَتِهِ فِي مَدْحِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الَّتِي مَطْلَعُهَا :

لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَمُودَا وَعَادَاتِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّلَنْ فِي الْمَدَا

الدِّيَّانُ ١٩٣/١ .

(الْفَلَكَ الدَّائِرُ — م ١٠)

دَارِعَهَا يَوْمَ النَّزَالِ . وَقَلَّ مَنْ أَصْبَحَ مِنْهَا حَاسِرًا ، إِلَّا وَأُمْسَى فِي صَفْقَتِهِ خَاسِرًا ، أَوْ كَانَ لَهَا مُجَانِبًا ، إِلَّا وَنَزَلَ عَنِ السَّعَادَةِ جَانِبًا ، فَلَأَمَانَةُ سِرِّ الْمَرْءِ وَجَوَاهِرُهُ ، وَبَاطِنُ الْإِنْسَانِ وَمَخْبَرُهُ ، وَبِهَا يُسْتَدَلُّ عَلَى شَرَفِ نَفْسِهِ وَدِيَانَتِهَا ، وَمِنْهَا يُعْلَمُ ثَمَنُهَا وَمَقْدَارُ قِيَمَتِهَا ، فَإِنْ كَمَلَتْ وَتَمَّتْ دَلَّتْ عَلَى عِزِّ النَّفْسِ وَعُلُوِّهَا ، وَاحْتِقَارِهَا لِلدُّنْيَا الْخَطَامِ وَسُمُومِهَا وَإِنْ نَقَصَتْ أَبَانَتْ عَنْ لُؤْمِ الْمَرْءِ وَنَقْصِهِ ، وَكَشَفَتْ عَنْ شَرِّهِ وَحِرْصِهِ ، فَيَسْتَسْلِفُ عَاجِلًا أَقْبَحَ الذُّكْرِ ، وَيَتَحَمَّلُ آجِلًا أَثْقَلَ الْوِزْرِ ، وَقَلَّ أَنْ يَعْذَمَ بَيْنَهُمَا تَقْدِيمُ الْعُقُوبَةِ وَتَعَجُّلُهَا ، وَطُرُقُ الْحَادِثَةِ وَحُلُولِهَا ، فَلَتَكُنْ عَصْمَةَ اللَّهِ بِمَنْ يَسْتَشْعِرُ الْحَذَرَ ، وَيَشَاهِدُ الْأَشْيَاءَ بِالْبَصِيرَةِ قَبْلَ مَشَاهِدَتِهَا بِالْبَصَرِ .

وَفِي أَوَّلِ هَذَا الْفَصْلِ مَعْنَى قَوْلِ الرَّاجِزِ ، وَقَدْ صَارَ مَثَلًا :

وَنَثْرَةٌ ^(١) تَهْزَأُ بِالنِّصَالِ كَأَنَّهَا مِنْ خِلْعِ الْهَلَالِ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي فِي هَذَا التَّوْقِيعِ : « غَيْرِ مُسْتَهِينٍ بِالنَّزْرِ الْيَسِيرِ ، وَلَا مُغْضٍ عَنِ الْأَمْرِ الْحَقِيرِ ، وَلَا مَسَامِحٍ فِي الْفَتِيلِ وَلَا النَّقِيرِ ، فَقَدْ يَهْدِي الْأَبُوسُ الْغَوِيرَ ، وَكَمْ مَطَرٍ بِدَوَاهِ مُطْبِئِرٍ » .

فِي هَذَا الْكَلَامِ ثَلَاثَةُ أَمْثَالٍ : أَحَدُهَا الْفَتِيلُ ^(٢) وَالنَّقِيرُ ^(٣) ، وَالثَّانِي قَوْلُهُمْ عَسَى الْغَوِيرُ أَبُوسًا ^(٤) . وَقَدْ نَظَّمَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

(١) النَّثْرَةُ : الدَّرْعُ الْمَلْسَاءُ أَوْ الْوَاسِعَةُ .

(٢) الْفَتِيلُ : السَّحَابَةُ الَّتِي فِي شَقِّ النَّوَاةِ .

(٣) النَّقِيرُ : النِّكَّةُ فِي ظَهْرِ النَّوَاةِ .

(٤) الْغَوِيرُ : تَصْغِيرُ غَارِ الْأَبُوسِ : جَمْعُ بُؤْسٍ وَهُوَ الشَّدَّةُ . وَأَصْلُ الْمَثَلِ فِيهَا يُقَالُ مِنْ قَوْلِ الزُّبَّانِ حِينَ قَالَتْ لِقَوْمِهَا عِنْدَ رَجُوعِ قَصِيرٍ مِنَ الْعِرَاقِ وَمَعَهُ الرِّجَالُ وَبَاتَ بِالْغَوِيرِ عَلَى طَرِيقِهِ : عَسَى الْغَوِيرُ أَبُوسًا . أَيْ لَمَلِ الشَّرِّ يَأْتِيكُمْ مِنْ قَبْلِ الْغَارِ . وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَمْرِ -

أَهْدَى لَهَا الْأَبُوسَ الْغَوَيْرُ كَمْ مَطَرٍ بِسَدْوِهِ مُطَيَّرُ^(١)

ومن ذلك قولي في توقيع لبعض المشرفين أيضاً : « سكوناً إلى تَدَرُّعِهِ
من العِفَّةِ والزَّاهَةِ بِأَوْفَى جُنَّةٍ ، والاعتصامِ من حولها وقوتها بِأَتَمِّ
حَوْلٍ ، وأعْظَمِ مُنَّةٍ ، واتحادها أَلْزَمُ فَرَضٍ ، وآكَدُ سُنَّةٍ ، فليواظب
على حَجِّ كَعْبَتَيْهِمَا ، والتوجه إلى قِيَلَتَيْهِمَا ، والتَّدَيُّنِ بِشَرِّ عِيَمَاهَا ، والسلوك
في شِرْعَتَيْهِمَا ، وليستمر على التَّغَشِّي بِبِرِّ رَدْمَا السِّنِيِّ ، والتَّعَرُّيِّ عَنْ ثَوْبِ
الِإِسْتِغْفَارِ الدُّنْيِيِّ ، وليكن في إِحْرَازِ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ إِذَا عَرَّضَ مَاهِرًا ،
ولنفسه عن مَطْعَمِ السُّوءِ إِنْ اعْتَرَضَ قَاهِرًا ، وفيما يَثْبِتُ نَدْمَهُ جَاهِدًا ،
وللشُّبْطَانِ الْمُسْتَوَّلِ لَهُ مُجَاهِدًا ، ليكون بِأَفْعَالِهِ الْحَسَنَةِ مَكْفِيًا لِلْأَنْعَامِ ، ومستحقًا
لِزِيَادَةِ الْمَوْهَبَةِ وَالِدَوَامِ ، فَقَدِيمًا قِيلَ فِي الْمَثَلِ التَّرْمُ الصَّحَّةُ يَلْزَمُ الْعَمَلُ » .

وقد ذكره عبد الحميد بن يحيى^(٢) الكاتب في رسالته إلى الكتاب .

ومن ذلك قولي في هذا التوقيع : « فَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْحَصَادِ ،
وَتَفَتَّتِ الْأَكْثَامُ عَنْ ثِمَارِ الاجْتِهَادِ ، رَتَّبَ مِنَ الْأَعْوَانِ مَنْ يَثْبِقُ
بِمُنَاصَحَتِهِ ، وَيَسْكُنُ إِلَى حِرَاسَتِهِ ، وَأَذْكَى عَلَيْهِمْ عِيُونَ التَّطَلُّعِ ،
وَأَصْغَى إِلَيْهِمْ بِسَامِعِ التَّصَفُّحِ وَالتَّتَبُّعِ ، فَمَنْ وَجَدَهُ لِلْمَحَجَّةِ سَالِكًا ،
وَلِلدَّاعَةِ تَارِكًا ، أَقْرَبَهُ وَاسْتَحْدَمَهُ ، وَأَدْنَاهُ وَأَكْرَمَهُ ، وَمَنْ أَلْفَاهُ عَنْ
الْجَدَدِ^(٣) نَاكِبًا ، وَلَا تَبَاعَ الطَّمَعِ رَاكِبًا ، أَحْسَنَ تَأْدِيَّتِهِ وَتَقْوِيمِهِ ،

= ابن الخطيب يحمل لقيطاً فقال عمر : عسى الغوير أبوسا . قال ابن الأعرابي إنما عرض بهذا الرجل ،
أي لملك صاحب القليط . ونصب أبوسا على معنى عسى الغوير يصير أبوسا . وقال أبو علي جعل
عسى بمعنى كان ونزل منزله . يضرب الرجل يقال له لعل الشر جاء من جهتك .

جمع الأمثال ٣١٢/١ .

(١) لم نثر على النص بديوانه .

(٢) في الأصل عبد الحميد بن جبير ، وهو خطأ

(٣) الجد : المراد الطريق الواضح .

وَفَرَرَى بِضَرْبِ السَّيَاسَةِ أَدِيمَهُ ، وَجَعَلَ مَا يَعْتَمِدُهُ مِنْ نِكَالِهِ رَادِعاً لَأَمْثَالِهِ ،
وَنَافِعاً لَهُ فِي مُسْتَقْبَلِ أَمْرِهِ وَمَالِهِ ، فَلَيْسَ الْكَهْلُ كَالْخَدَثِ الصَّبِيِّ ،
وَلَا الْقَارِحُ ^(١) كَالْجَذَعِ ^(٢) الْقَسِيِّ . وَالْحَوَادِثُ ذَخِيرَةُ الْعَوَاقِبِ ،
وَالْمَصَائِبُ أَثْمَانُ التَّجَارِبِ » .

هذا معنى قولهم في المثل المشهور : إن المصائب أثمان التجارب .

ومن ذلك قولي في آخر هذا التوقيع : « فحقيق عليه بعد تعيينه
واختياره ، وإفراجه بالتقديم والتأهيل وإيثاره ، أن يهجر لذة
الرُّقَادِ في بلوغ المراد ، وأن يكون لين المهاد عنه أحسن من شوك
القتاد ^(٣) ، إلى أن يقال له قد رقيت ولقيت ، وعولج بك فشفيت » .

هذا ينظر إلى قول ديك الجن ^(٤) :

فإذا شوفي بي كنت حياما وإذا عولج بي كنت شفاء

ومن ذلك قولي في هذا التوقيع أيضاً : « وليواصل مُسَجِّدَاتِ الْعَمَلِ
في أوقاتها ، على اختلاف أنواعها وجهاتها ، ولا يستحقير منها حقيراً ،
ولا يستصغر صغيراً ، فالكتاب سطر إلى سطر ، وأول الغيث قطر
إلى قطر » .

(١) القارح : البازل وهو البعير في سنه الخامسة .

(٢) الجذع : البعير في سنه الثالثة .

(٣) القتاد : شجر له شوك .

(٤) اسمه عبد السلام بن رغيان وديك الجن لقب غلب عليه .

وهو شاعر مجيد يذهب مذهب أبي تمام والشاميين في شعره ، وكان من ساكني حمص ولم يرحل
نواحي الشام ولا وفد إلى العراق أو غيره منتجعاً بشعره ، وكان يتشيع تشيعاً حسناً .
(الأغاني ١٢ / ١٣٦)

هذا هو البيت المشهور للطائي :

وأزرقُ الفجرِ يَبْدُو قبلَ أبيضِهِ وأولُ الغَيْثِ طَلَّ ثم ينسكب^(١)
ومن البديع النادر اللفظة التي ضممتها إليه وهي قولي : فالكتاب سطر
إلى سطر .

ومن ذلك قولي في توقيع لبعض النظار : وَلَيْشَرَعَ في تَطَوُّفِ
المعاملات واستقرأها ، وتَصَفَّحَها واستبْرَأَها ، ومشاهدة مزروعها
وضياعها ورساتيقيها^(٢) وبقاعها ومحاوليها وأعمدتها ونواحيها وأكرتيها^(٣)
ليحصل عنده صَوْرُها وأشكالها ، ويثبت في ذهنه هيئتها وخيالها ، ولا يقنع
بالأخبار والسماع ، والتعويل على ما في المطالعات والرقاع .

فليس الخَبَرُ كالعيان ، ولا التَّقْلِيدُ كالبرهان ، وَمَنْ عَوَّلَ على سماع
الأقوال ، واكتفى بها عن مشاهدة الأحوال ، قَصُرَتْ بَنَانُهُ عند المطاولة ،
وَأَفْجِمَ لِسَانُهُ عند المجادلة ، وكان مُنْقَطِعَ المادة ، محتاجاً لنقصه إلى
التَّمَامِ والزِّيَادَةِ .

ولْيُوَاصِلِ الحركة التي يُدْرِكُ بها ما بَعْدَ من أَعْمَالِهِ ونَأْيِ ،
كإدراكه ما قَرَّبَ إليه ودنا، بحيث يكون كلُّ عاملٍ من عُمَالِهِ ، ومُتَقَدِّمٍ
من أكرته ورجاله ، لا يأمن هُجُومَهُ على غِرَّةٍ ، وقدمه على فَتْرَةٍ ،
فتكون عُمَالُهُ كُلُّهَا آخِذَةً أَهْبَتَهَا ، لابسَةً زِينَتَهَا ، منتظرةً طُلُوعَهُ عليها ،
مرتقبةً وصولَهُ إليها ، فلا يزال الاجتهاد فيها بَيْنَ المنار ، ظاهر الآثَارِ .

(١) سبق هذا البيت في توقيع لابن أبي الحديد .

(٢) الرساتيق : جمع رستاق فارسي معرب والمراد المزرعة .

(٣) الأكرة : جمع أكار وهو الحراث .

هذا المعنى ينظر إلى قول (بنت) المنتشر بن (وهب) الباهلي^(١) في قصيدتها المشهورة :

لا يَأْمَنُ القَوْمُ مُمْسَاهُ وَمُصْبِحَهُ
من كل أَوْبٍ وإن لم يَغْزُ يُنْتَظَرُ

ومن ذلك قولي في صدر توقيع لكاتب : « لما كانت الكتابة الفلانية محتاجة إلى ناهض بأعبائها ، فارح لغماتها ، كاشف لمُبْهَمِها ومجهولها ، ضابط لمُجْمَلِها وتفاصيلها ، نُثِلَتْ^(٢) كِنَانَةُ الرجال ، وعُجِمَتْ عِيدَانُ النِّصَال ، وانتَصَبَتْ صَوَارِمُ الكُتَّابِ الأجلاد ليوم الجَلَاد ، وأجْرِيَتْ سَوَابِقُ الكِتَابَةِ في مِضْجَارِ السَّبَاقِ والطَّرَاد ، كان فلان أَوْرَاهَا زَنْدًا ، وأرَوَاهَا عَدَاً ، وأصْفَاهَا وَرْدًا ، وأصْفَاهَا بُرْدًا ، وأثَقَّنَهَا صِنَاعَةً ، وأوسعها بِضَاعَةً ، وأظْهَرَهَا جَيْبًا ، وآمنها غَيْبًا ، وأبعدها عَيْبًا ، فَعُوِّلَ عليه في الكتابة بالأعمال المذكورة ، علماً أن قلمه يَتَمِّمُ نَقْصَهَا ، وَيَرْقَعُ خَرَقَهَا ، وَيَرَأْبُ صَدْعَهَا ، وَيَجْمَعُ شَمْلَهَا ، وَيَجْبِرُ وَهْنَهَا ، وَيَلْمُ شَعْنَهَا ، وَيَسُدُّ خَلْلَهَا ، وَيَمْحُو زَلْلَهَا ، وَيُحْيِي رُسُومَهَا الدَّائِرَةَ ، وَيَعْمُرُ رُبُوعَهَا العَاقِيَةَ » .

أول هذا الفصل مأخوذ من قول الحجاج في خطبته بالكوفة : إن أمير

(١) كان الأصل (أخت المنتشر بن الباهلي) .

وهي الدعجا بنت المنتشر بن وهب بن سلمة . قال السيد المرتضى في أماليه : إن هذه القصيدة من المراتي المفضلة المشهورة بالبالغة والبراعة ، وقيل إنها للدعجا أخت المنتشر والصواب بنته . وكثير من الأدباء ينسب المراثية إلى أعشى باهلة واسمه عامر بن الحارث بن رباح ، وهو آخر المنتشر لأمه ، ومرثيته في جمهرة أشعار العرب بين المراتي السج .

[خزائن الأدب والكمال للبرد وجمهرة أشعار العرب والأصمعيات وتاج العروس ٥٦٧/٣]

(٢) ثقلت الكنانة : استخرج الرجل ثبلها فنثرها .

وفي الأصل (نكبت) .

المؤمنين نَشَلَّ كَنَانَهُ فَعَجَمَهَا عُرْدًا عُرْدًا . فوجدني أَشَدَّهَا عُرْدًا ،
وأَصْلَبَهَا مَكْسِرًا^(١) .

وبَاقِي أَلْفَاظِ هَذَا الْفَصْلِ ثَلَاثُ تَجَرِّي مَجَرِّي الْأَمْثَالِ .

ومن ذلك قولِي فِي صَدْرِ تَوْقِيعٍ يَصْلُحُ أَنْ يَوْقِعَ بِهِ لِعَارِضِ الْجَيْشِ ، وَهُوَ :
« عَوَائِدُ الدِّيْوَانِ الْعَزِيزِ إِهْدَاءُ عَقَائِلِ النَّعَمِ إِلَى الْأَكْفَاءِ ، وَإِسْدَاءُ صَنَائِعِ
الْكَرَامِ إِلَى الْأَوَّلِيَاءِ ، وَإِيدَاعُ الْمَعْرُوفِ حَيْثُ يُنْشَرُ وَيُشْكَرُ ، لَا حَيْثُ
يُجْحَدُ وَيُكْفَرُ ، وَعِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ مَوَاقِعَهُ ، لَا عِنْدَ مَنْ يُنْفَرُ وَاقِعَهُ ،
وَأَنْ يَتَخَيَّرَ لِعَرُوسِ إِحْسَانِهِ أَطِيبَ الْمَغَارِسِ وَأَزْكَاهَا ، وَأَخْلَقَهَا أَنْ
يَحْلُولِي حُسْنَهَا ، لِتَكُونَ نَعْمَةٌ مُسْتَقَرَّةٌ فِي نِصَابِهَا ، رَافِلَةٌ فِي قَشِيبِ
جِلْبَابِهَا ، مُودَّعةٌ حَيْثُ تُصَانُ الْوَدَائِعُ وَتَرْكُو الصَّنَائِعُ .

ولَمَّا كَانَ فَلَانُ الرَّجُلِ الَّذِي تُضْرَبُ بِهِ الْأَمْثَالُ ، وَلَا تَعْدِلُهُ الْأَمْثَالُ ،
وَالْمَهْذَبَ الَّذِي لَا يُسْأَلُ لَهُ أَيْ الرِّجَالِ ، وَالْفَائِزَ بِشَرَفِ الْإِسْتِعْلَاءِ عَلَى
الْأَوَّلِينَ وَالْحَائِزَ لِقَصَبِ السَّبْقِ يَوْمَ الرَّهَانِ ، وَالْمَتَوَحِّدَ بِخَصَائِصِهِ عَنِ
مُزَاحِمَةِ الْمُتَالِبِ ، وَالْمُسْتَفْرِدَ عَنِ الْأَضْرَابِ بِجَمِيلِ الضَّرَائِبِ ، رَأَى
الدِّيْوَانُ الْعَزِيزُ الْإِنْعَامَ عَلَيْهِ بَرْدَ النَّظَرِ فِي دِيْوَانِ الْعَرْضِ الْمَعْمُورِ إِلَيْهِ ،
عَلِمًا بِإِسْتِقْلَالِهِ وَاضْطِلَاعِهِ ، وَثِقَةً بِسَعَةِ صَدْرِهِ وَامْتِدَادِ بَاعِهِ ، وَسَكُونًا
إِلَى إِغْنَائِهِ وَغَنَائِهِ ، وَإِقْنَائِهِ وَوَفَائِهِ ، وَعِلْمِهِ وَتَبْقَظِهِ ، وَحَزْمِهِ وَتَحَقُّظِهِ ،
وِطْمَائِينَةً إِلَى قِيَامِهِ بِالْمُهْمِ ، وَدِفَاعِهِ لِلْمُسْلِمِ ، وَثَبَاتِهِ حِينَ تَطْيِيشِ الْخُلُومِ ،
وَانْتِصَارِهِ حِينَ يَجِيشُ الْخَصُومَ . فَلْيَقَابِلْ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِالشُّكْرِ الَّذِي يَكُونُ

(١) عجم الرجل العمود إذا غشه ليعرف صلب هو أم رخو . هذا هو الأصل فيه .

والخطبة بتاريخ الطبري ٢١٠/٧ وتهذيب الكامل للمبرد ١٧٠/١ .

لزدياتها مُفْتَضِيَةً ، ولمضاعفتها مُمْتَرِيَةً^(١) ، ولأمثالها مُسْتَمِدَّةً ،
ولا أخلقَ منها مُسْتَجِدَّةً ، فالنعمة ضيف قِراءُ الشكر إن وَجَدْتَهُ
لم تَرِمَ^(٢) ، وإن فَقَدْتَهُ لم تُقِمَ^(٣) .

في هذا الكلام إشارة إلى قول النابغة :

ولستَ بِمُسْتَبْنِيٍّ أَخاً لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيِّ الرِّجَالِ الْمَهْذَبِ^(٤)

ومن ذلك قولي في هذا التوقيع : « وَلَيْتَصِبْ لاسْتِيفَاءِ أَمْوَالِ الْإِقْطَاعَاتِ
انْتِصَاباً يَظْهَرُ أَثَرُهُ ، وَيُجَنَّتِي ثَمَرُهُ ، فِي ضِمْنِ قُوَّةٍ خَالِيَةٍ مِنَ
الْعُنْفِ ، وَلَيْنٍ لَا يَنْسَبُ مَعَهُ إِلَى ضَعْفٍ ، فَالزَّعَاءُ كَثَّرَهُمُ اللَّهُ أَوَّلُو
الْحَمِيَّةِ ، وَالْفُوسُ الْأَبِيَّةُ ، وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَهَمُ السَّبَاعِ الْوَحْشِيَّةِ فِي
الصُّورِ الْإِنْسِيَّةِ . فَلْيَحْسِنْ التَّوَصُّلَ فِي مُدَارَاتِهِمْ ، وَالْإِسْتِيفَاءَ مِنْهُمْ ،
وَالِاسْتِعَانَةَ بِهَيْبَةِ الدِّيَّانِ الْعَزِيزِ عَلَيْهِمْ ، غَيْرَ مَرَاقِبٍ مِنْ ذَلِكَ لِعَظِيمِ
مَنْهُمْ وَلَا جَلِيلٍ ، وَلَا مُغْضٍ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا عَلَيْهِمْ وَلَا قَلِيلٍ . فَبِالْمَالِ
تُسْنَمُ الرِّجَالُ ، وَتُبْلَغُ الْأَمَالُ ، وَتُفْتَحُ الصِّيَاصِي^(٥) وَتَمْلِكُ
النَّوَاصِي ، وَيُسْتَدْنَى الْقَاصِي . وَالْجُنْدُ بِالْمَالِ يُجْمَعُ ، وَالْمُلْكُ
بِالْجُنْدِ يُمْنَعُ » .

في هذا الفصل إشارة إلى الغزوي^(٥) في صفة الأتراك :

من رأى قبلهم مجتمعاً خِلْقَةَ النَّاسِ وَأَخْلَاقَ الْأَسْوَدِ

(١) مَمْرِيّاً : المراد جالباً وجاذباً من مري الضرع إذا مسحه ليدر .

(٢) لم ترم : لم تزل .

(٣) من قصيدته في الاعتذار للنعمان بن المنذر .

(٤) الصياصي : الحصون جمع صيصه .

(٥) هو أبو اسحاق إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد الكلبي الأنهبي ، كان شاعراً

محمداً . ولد بغزة سنة ٤٤١ هـ ، وتوفي سنة ٥٢٤ هـ بين مرو وبلخ ، وودفن بها .

ومن ذلك ما قلت في صدر توقيع لناظر بالسواد : « لما كان فلان من
خَبِيرٍ رَشَادُهُ فِعْلًا ، وسداده قَوْلًا ، وتكاملت محاسنُهُ وخصائصُهُ ،
فلا يقال فيها لَوْلَا ، وسبقت له سوابقُ الكتابة التي تَقَلَّدَ نِطَاقَهَا ، وأقام
أسواقها ، وأَحْكَمَ مِثَاقَهَا ، واجتلى بها عقائلَ المحامِدِ بعد أن أغلَى
صِدَاقَهَا ، وَحُمِدَتْ مَذاهِبُهُ في حالِ إصْدَارِهِ وإيراده ، وشَهِدَتْ
بعِفَافِهِ وأمانته أَلْسِنَةُ أَوْلِيَائِهِ وَحُسَّادِهِ ، رأى الديوانُ العَزِيزُ الإِنْعَامَ
عليه بنظر كذا ، فليَسْأَلِ اللهُ التَّوْفِيقَ والخَيْرَةَ ، وليُقَدِّمُ تَقْوَاهُ فِيهِ
أَنْفَعُ عُدَّةٍ ، وَأَنْفَسُ ذَخِيرَةٍ ، وَلَيْسَتْ وَجْهَةً إِلَى الْأَعْمَالِ الْمَذْكُورَةِ
بِصَدْرِ رَحْبِ الْفِنَاءِ ، وَعَزَمَ نَافِذَ الْمَضَاءِ ، وَأَمَلِ وَائِقٍ بِشُمُولِ الْآلَاءِ ،
وَلَيْسَلُكَ فِي جَمِيعِ أَنْحَاثِهِ مَسَلُكَ أَمْثَالِهِ مِنْ ذَوِي الرِّشَادِ وَالتَّحْصِيلِ ،
وَلَا يَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّ عَنْ سِوَاءِ السَّبِيلِ »^(١) .

آخر هذا الكلام من القرآن العزيز ، وفي أوله إشارةٌ إلى قول القائل :
ليس فيها ما يقال له كملت لَوَ انَّ ذَابِكَ لَا أَقُولُ
وأنا أختَمُ هذا الفصل بتوقيع كتبتُه لبعض الرعَاء ، وقد رتب شجينة
واسط وهو : « أَوْلَى الْأَوْلِيَاءِ بِاجْتِلَاءِ عَقَائِلِ النَّعَمِ الْجَزِيلَةِ ، وَامْتِنَاءِ
كَوَاهِلِ الرُّتَبِ الْجَلِيلَةِ ، وَاعْتِلَاءِ صَهَوَاتِ الْمَنَازِلِ السَّنِيَّةِ ، وَارْتِقَاءِ دَرَجَاتِ
الْمَنَاصِبِ الْعَلِيَّةِ مِنْ مَحُضَّتِ طَاعَتِهِ وَعُبُودِيَّتِهِ ، وَاسْتَوَى سِرُّهُ فِي الْإِخْلَاصِ
وَعِلَانِيَتِهِ ، وَحَسُنَتْ أَعْمَالُهُ وَأَثَارُهُ ، وَطَابَتْ أَنْبَاؤُهُ وَأَخْبَارُهُ ، وَكَرُمَ
مَغْيِيهِ ، وَعَظُمَ مَشْهَدُهُ ، وَأَبْرَزَ يَوْمُهُ عَلَى أَمْسِهِ ، وَأَرْبَى عَلَى
يَوْمِهِ غَدُهُ .

(١) في سورة ص : الآية ٢٦ (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) .

ولما كنت أيها الأمير الأجلُّ فلانَ الدين الجامعَ هذه الأوصاف والخصائص ، والمتحلي من جواهر المناقب بما لم تَظَنَّفَرْ بمثله يدُ غائص^(١) ، واقتَرَكْتَ بمسألتك التي سَأَلْتُ منها السيوفُ نفوساً ومهجاً ، وبرمايتك التي لم يجعل الله تعالى فيها عِوَجاً ولا أَمْتاً^(٢) .

هذا مع ما خُصِّصَتْ به من وفور آياتك ، ورُجْحان حَصَافَتِكَ ، وعُلُوِّ همتك ، وطهارة شيمتك ، وأُنْك بذَذْتَ الأشكال والأضراب ، وأوتيتَ حَزَمَ الشَّيْخوخَةِ في عُنْفُوَانِ الشَّبابِ ، رُئِيَ الإِنْعَامُ عَلَيْكَ بِرَدِّ شَحِينَةِ الْأَعْمَالِ الْوَاسِطِيَةِ إِلَيْكَ ، لاسْتِقْبَالِ كَذَا .

فَتَلَقَّ هذه النعمةَ التي تُرَضِّيك بِشُكْرِ يُرْضِيهَا ، وهذه المنزلةَ التي تَضَاهِيكَ بِحَمْدٍ يُضَاهِيهَا ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْأَعْمَالِ الْمَذْكُورَةِ بِصَدْرِ رَحْبٍ ، وَرَأْيٍ مُصِيبٍ ، وَسَيْفٍ مِنْ دَمِ أَهْلِ الْكِيدِ خَضِيبٍ ، وَاسْتَشْعِرُ تَقْوَى اللَّهِ فَالْعَاقِبَةُ لِأَهْلِهَا وَقِفْ عِنْدَ حُدُودِهَا ، وَلِتَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا ، وَتَذَكَّرْ لَهَا كَلِمَةً قَصِيرَةً غَيْرَ طَوِيلَةٍ : « إِنْ اللَّهُ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا »^(٣) وَنَاهِيكَ بِهَا فَضِيلَةً .

وَابْدَأْ بِالرَّفَقِ الَّذِي مَا دَخَلَ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا اسْتَعَانَ بِهِ أَحَدٌ فِي مُشْكِلٍ إِلَّا أَعَانَهُ .

وَالْتَقِ النَّاسَ بِبِشْرِكَ وَلُطْفِكَ وَطَوْلِكَ^(٤) ، وَلَا تَبْدَأْهُمْ بِالْفَظَاظَةِ ، فَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِظَ الْقَلْبُ لَانْفَضَّوْا مِنْ حَوْلِكَ^(٥) .

(١) بالأصل (بما لم يظفر مثله بدعائصر) .

(٢) الأمت : الموج والاختلاف في الشيء والعيب .

(٣) سورة النحل : الآية ١٢٨ .

(٤) الطول والطائل والطائفة : الفضل .

(٥) في سورة آل عمران : الآية ١٥٩ (ولو كنت فظاً ...) .

والرعايا فهم الرذائع عندك الموثوق لهم أن تُلَحِّقَهُمْ أمانتك ورِفْقَكَ ،
وتقرِّبَهُمْ^(١) سَدَادَكَ ورُشْدَكَ ، واكفُفْ عَنْهُمْ الأَذَى ، وأزِخْ عَنْهُمْ
القَذَى ، وقل لهم كما أَدَبَكَ اللهُ حُسْنًا ، وبدِّلْهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ
أَمْنًا ، ولا تمدنْ عَيْنِكَ إلى ما مَتَّعْنَا^(٢) ، وكُنْ لَهُمْ حِسْبَةً^(٣) من
الْجَوْرِ وَحِصْنًا ، واحمِهِمْ مِمَّنْ يَتَعَرَّضُ بِهِمْ في عَرْضِ هَذَا^(٤)
الْأَنْثَى ، واسلك بالمَعْدَلَةِ فِيهِمْ صِرَاطًا سَوِيًّا ، واجعلْ قَوِيَّتَهُمْ في الْبَاطِلِ
ضَعِيفًا ، وضعيفَهُمْ في الْحَقِّ قَوِيًّا .

وحراسة الارتفاقات الدِّيوانية بالسُّطَوَاتِ المَرْهُوبَةِ ، والنِّقَمَاتِ
المُضْبوغَةِ ، والهَيْبَةِ الَّتِي تَمَلَأُ الْقُلُوبَ ارْتِياعًا ، وتطيرُ الْأَنْفُسُ مِنْهَا شَتَاعًا ،
فَأَنْتَ فَارِسُهَا الْمُعْلِمُ^(٥) ، وشُجَاعُهَا الْمُقَدَّمُ ، وَلَيْسَتْهَا الَّذِي تُنْجِمُ
الْليوْثُ وَلَا يُنْجِمُ . فامدِّدْ وَطَأْتُكَ عَلَى أَهْلِ الرَّيْبِ وَالْفَسَادِ ، وَشَرِّدْ
بِهِمْ عَنْ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ وَالْبِلَادِ ، وَاَنْتَدِيبْ لِلْقِيَامِ بِسِيَاسَتِهِمْ كَانْتِدَابِكَ لِلْقِيَامِ
بِالْفَرَضِ ، فَمَا كَانَ لَزِيمَ أَنْ تَكُونَ لَهُ سِيَاسَةٌ حَتَّى يُشْخَنَ^(٦) فِي الْأَرْضِ .

وَالْأَمْوَالُ الْمُتَمَرِّقَةُ فِي أَقْصَى الْأَعْمَالِ وَنَائِبِهَا^(٧) لَا تُحْرَسُ إِلَّا بِإِرَاقَةِ
الدَّمَاءِ عَلَى جَوَانِبِهَا ، وَمِنَ الْجَوْرِ الْبَيْتِ وَالْحَيْفِ وَضَعُ الصَّفْحِ مَوْضِعَ
السَّيْفِ .

(١) تقرِّبُهُمْ سَدَادَكَ : توسع لهم فيه أي تشملهم به .

(٢) في سورة طه : الآية ١٣١ (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) .

(٣) الحسبة : من قولهم حسن الحسبة أي حسن التدبير .

(٤) الأذى يفتح الهزئة أو كسرهما وسكون التون فيهما والأذى بالمد الوهن والساعة من الليل .

(٥) الفارس المعلم : بكسر اللام هو الذي يجعل لنفسه علامة الشجعان في الحرب .

(٦) يشخن : من أثنخ في العدو أي بالغ الجراحة فيه ، وأثنخ فلاناً إذا أوهنه ، وقوله

تعالى (حتى إذا أثخنتموه) أي غلبتموه وكثرت فيهم الجراح .

(٧) بالأصل (ودناياها) .

ونوابك الذين تُرتَّبهم في الأعمال ، وتستعين بهم على حِرَاسة الأموال ،
فأصلحهم أولاً وطهَّروهم ، لِيَحْصُلَ بهم الصَّلاح والطَّهارة ، ولا تَرْضَ
لهم أن يكونوا ممن يأمر الناسَ وينسى نفسه الأمَّارة .

وألزمتهم بِمُداومةِ فِعْلِ الخيرِ يكونوا (أهله) ، ولا تجعلهم ممن
يَنْهَى عن خُلُقٍ ويأتِي مثله .

وأقيم عليهم الأرصادَ ، واقعدُ لهم بالمِرصادِ ، ورُضْهم على اتِّباعِ
منهاجك القويمِ ، واهتداءِ صِراطك المستقيمِ ، وعلمهم من سجاياك
المحمودةِ ما لم يَعْلَمُوا « وفوق كل ذي علم عليم » .

وحراسةِ الطرق والمذاهبِ ، وحمايةِ المسالك والمشاربِ ، وقمَّعِ كلَّ
ناجمٍ بفسادٍ ، أو قادحٍ للشرِّ بزنادٍ ، أو مُخيفٍ سبيلٍ ، أو قائدٍ رَعيلٍ^(١)
فكن في ذلك كالليث السَّغْبِ^(٢) ينهض إلى فريسته ، والصقْرُ
القَطِمِ^(٣) يَنْقَضُ على طَرِيدته ، حتى تُوسِعَ كل ساعٍ بالفسادِ قَتلاً
وأُسراً ، وتوثِقَ كل عادِلٍ عن السَّدَادِ حَبْساً وحَضَراً ، وتَأْمَنَ
السُّبُلُ والأطرافُ ، وتصبحَ الناسُ فيها كحِجَامِ الحَرَمِ لا يَخَافُ .

فهذه الأعمالُ مُظْلِمَةٌ ، فكن أضواءً من السَّراجِ ، وهذه المدرةُ^(٤)
حِجَاجِيَّةٌ^(٥) فكن أهيبَ من الحِجَاجِجِ .
وقد تَلَخَّصَ من مجموعِ وصايا المالك أن يكون المملك ذا لونين :

(١) الرعيل : الجماعة من الخيل ، والمراد هنا الثوار الحيالة .

(٢) السَّغْب : الجائع ، وكذلك ماغب وسغبان .

(٣) القَطِم : الذي يشتهي اللحم . والقَطامي يفتح القاف وضها الصقر .

(٤) المدرة : المدينة .

(٥) حجاجية : حجاج بلدة في بيق .

أَزْهَرَ وَأَقْتَمَ ، وَذَا طَعْمَيْنِ : أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَأَمْرَ مِنَ الْعَلَقَمِ ،
وَذَا وَجْهَيْنِ : طَلَقَ وَشَتَمَ ^(١) ، وَذَا يَوْمَيْنِ : يَوْمَ بُؤْسٍ وَنَعِيمٍ .

وَالدِّعَامَةُ الَّتِي تَقُومُ بِهَا السِّيَاسَةُ ، وَيَنْصَبُ عَلَيْهَا عَمَلُ الرِّيَاسَةِ
هِيَ الْقُوَّةُ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ ، وَاللَّيْنُ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ، فَالرَّعِيَّةُ كَرِيضٌ
هَذِهِ زُبْدَةُ عِلَاجِهِ ، وَالسِّيَاسَةُ كَبَدَنُ هَذَا تَعْدِيلِ مِزَاجِهِ .

وَاجْعَلْ أَعْظَمَ كَدِّكَ ، وَغَايَةَ قَصْدِكَ ، اسْتِجْلَابَ الْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ
لِهَذِهِ الْأَيَّامِ الشَّرِيفَةِ الرَّاهِرَةِ ، الَّتِي يَحْسُدُهَا سَائِرُ الْأَيَّامِ ، وَيَتَنَافَسُ النَّاسُ
عَلَيْهَا فَلَا يَبِيعُونَ سَاعَاتِهَا بِالْأَعْوَامِ ، أَنْ تَدُومَ لِأَهْلِهَا فَهَمٌّ مِنَ الْحَوَادِثِ فِي
أَمَانٍ ، وَتُظَنَّنَ لِرَوْنِقِهَا وَتَضَارَتِهَا أَنَّهَا أَيَّامُ الْحِنَانِ ، أَيُّدُهَا اللَّهُ بِدَوَامٍ
لَا تَمَسُّكَ لِسَحَابِهِ ، وَبِقَاءُ لَا تَفَادَ لِحَسَابِهِ .

فَهَذِهِ مَعْظَمُ وَصَايَا التَّوْقِيعِ الْمَذْكُورِ ، وَقَدْ تَضَمَّنَتْ مِنْ تَرْصِيعِ الْآيَاتِ
الشَّرِيفَةِ وَالْآيَاتِ الشَّعْرِيَةِ وَالنَّكَتِ وَالْأَمْثَالِ جُمْلَةً صَالِحَةً .

أَمَّا الْآيَاتُ الشَّرِيفَةُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى « لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ^(٢) »
وَقَوْلُهُ تَعَالَى « وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ^(٣) » وَقَوْلُهُ تَعَالَى « مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ^(٤) » وَقَوْلُهُ
تَعَالَى « وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ^(٥) » وَقَوْلُهُ
« وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ^(٦) » وَقَوْلُهُ « وَلَيُسَدَّنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ »

(١) شَتَمَ : كَرِهَ الْوَجْهَ عَابَسَ . كَانَتْ بِالْأَصْلِ (سَتَمَ) .

(٢) سُورَةُ طه : الْآيَةُ ١٠٧ .

(٣) سُورَةُ الْأَعْرَافِ : الْآيَةُ ١٢٨ (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ) وَسُورَةُ الْقَصَصِ : الْآيَةُ ٨٣ (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا
فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) .

(٤) سُورَةُ النَّحْلِ : الْآيَةُ ١٢٨ (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ حَسَنِ) .

(٥) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : الْآيَةُ ١٥٩ .

(٦) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : الْآيَةُ ٨٣ .

أمناء^(١) وقوله « ولا تَمُدَّنْ عَيْنِكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ^(٢) » وقوله : « يَأْخُذُونَ عَرَصَ هَذَا الْأَدْنَى ^(٣) » وقوله « أَعْدَكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ^(٤) » وقوله « شَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَقَهُمْ ^(٥) » وقوله « مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ ^(٦) » .

نقلته أنا إلى السياسة فقلت ما كان لزعيم أن تكون له سياسة حتى يشخن في الأرض ^(٧) .

ولا يخفى ما في النقل من اللطافتين . وقوله تعالى : « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ^(٨) » وقوله : « وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ^(٩) » وقوله : « صِرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ ^(١٠) » وقوله : « وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ^(١١) » .

وأما حلُّ الأبيات الشعرية فقول الشاعر :

حالك اليومَ فوقَ حالكِ بالأمسِ وأرجو لك المزيـد غدًا ^(١٢)

قد ثرناه نحن فقلنا : وأبرَّ يومه على أمسه ، وأرْبَى على يومه غده .

(١) سورة النور : الآية ٥٥ .

(٢) سورة طه : الآية ١٣١ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٦٩ .

(٤) سورة أروم : الآية ٤٣ (فاتبعني أهدك صراطا سويا) .

(٥) سورة الأنفال : الآية ٥٧ (فإذا تفرقتهم في الحرب فشردهم من خلفهم لحطم يذكرون) .

(٦) سورة الأنفال : الآية ٦٧ .

(٧) جملة مكررة في الأصل حذفناها .

(٨) سورة البقرة : الآية ٤٤ .

(٩) سورة : الآية التوبة ٥ .

(١٠) سورة الأعراف : الآية ١٦ (قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم) .

(١١) سورة يوسف : الآية ٧٦ .

(١٢) حذفنا في من (في الأصل) ليستقيم الوزن .

وقول السموأل :

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ السُّيُوفِ نفوسنا وَلَيْسَ عَلَى غَيْرِ السُّيُوفِ تَسِيلُ^(١)
أخذناه فقلنا : بمسألتك التي سالت منها السيوف نفوساً ومهجاً .

وقول المتنبي :

وشَيْخٌ فِي الشَّبَابِ وَلَيْسَ شَيْخاً يُسَمَّى كُلُّهُ مِنْ بَلَّغِ الْمَشِيئَةِ^(٢)
حَاسِلُنَاهُ نَحْنُ فَقُلْنَا : وَأَوْتَيْتَ حَزْمَ الشَّيْخُوخَةِ فِي عُنُقُوانِ الشَّبَابِ .
وقول قطري بن الفجاءة^(٣) من شعراء الحماسة :
أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شِعَاعاً مَنِ الْأَبْطَالِ وَيَنْحُكُ لَا تُرَاعِي
أخذناه فقلنا : نملأ القلوب ارتياعاً ، وتطير النفوس منها شعاعاً .

وقول المتنبي :

لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ^(٤)

(١) في شرح الحماسة للرزوقي ١١٠/١ روايتان : (حد القلابات) و (حد السيوف)
ونسبة القصيدة إلى عبد الملك بن عبد الرحمن الحارثي و السموأل بن عادياء .
وأول الأبيات قوله :

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

(٢) من قصيدته في مدح علي بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي التي مطلعها :
ضروب الناس عشاق ضروبا فأعذرهم أشفهم حبيسا

الديوان ١٠١/١

(٣) في الأصل (عمرو بن الإطنابة) والصواب أن البيت من أبيات لقطري بن الفجاءة
كما في شرح التبريزي للحماسة ٥٠/١

(٤) من قصيدته في هجاء إسحاق بن إبراهيم بن كيغلغ مطلعها :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وخلت أني أسلم

وكان أبو الطيب قد سار من الرملة يريد أنطاكية فنزل بطرابلس وبها إسحاق هذا ، وكان
يحالسه ثلاثة من بني حيدرة ، فقالوا لإسحاق : أتعب أن يتجاوزك ولا يدريك ؟ وجملوا =

حللتاه فقلنا : والأموالُ المتمزقةُ في أقاصي الأعمال ونائبها لا تحترسُ
إلا بإبراقة الدماء على جوانبها .

وقول المتنبي أيضاً : « ووضع الندى في موضع الانتقام »^(١) حللتاه
فقلنا : ومن الجورِ البينِّ والخيفِ ، وضعُ الصفع في موضع السيف .
وقد حللت هذا البيت بعبارات ثلاث والمعنى واحد ، وقد تقدم ذكرها ،
وهي : أفسدُ الأشياء لقانون الرياسة ، وضعُ العفو موضع السياسة .
والثانية فأدعى الأشياء إلى انحلال النظام ، وضع الصفع موضع الانتقام .
والثالثة هذا الموضع .

وقول القائل :

لا تَنسَ عن خلق وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم^(٢)
أخذناه نحن فقلنا : وألزمهم بمداومة فعل الخير يكونوا أهله ،
ولا تجعلهم ممن ينهى عن خلق ويأتي مثله .

= يفرونه ، فراسله أن يمدح ، فاحتج بيمين لحقته ألا يمدح أحداً إلى مدة . فمأخذه عن طريقه يقتنظ
المدة . ومات الثلاثة الذين كانوا يفرونه في مدة أربعين يوماً . فهجاء المتنبي وأمل القصيدة على
من يثق به ، ثم فر إلى دمشق .
(الديوان ٢ / ٣٧٩) .

(١) يشير إلى قول المتنبي :

وضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى
وقد سبق .

(٢) المشهور أن هذا البيت لأبي الأمود الدؤلي من قصيدة له أولها :

حدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وغصوم

وقد وقع في قصيدة للتوكل بن عبد الله الليثي فنبه بعضهم إليه . وهو شاعر في عهد يزيد
ابن معاوية ، وقصيدته أولها .

لثانيات بسني الهجاز رسوم فيبطن مكة عهدن قديم =

وقول ابن هرمة :

كريم له وجهان : وجهه لذي الرضا
أسيل ، ووجهه في الكريمة باسل^(١)
أخذناه فقلنا : وذا وجهين طلق وشتيم .

وقول الشاعر :

له يومٌ بؤسٍ فيه للناس أبؤسٌ ويومٌ نعيمٍ فيه للناس أنعمٌ
أخذناه فقلنا : ذا يومين : يوم بؤس ويوم نعيم .

وقول الشاعر :

تنافس الناسُ في أيام دولته فما يبيعون أياماً بأعوام
أخذناه فقلنا : ويتنافس الناس عليها ، فما يبيعون ساعاتها بالأعوام .

= قال شارح أبيات الإيضاح : نسب البيت إلى أبي الأسود الدؤلي والمتوكل بن نهشل بن مسافع الليثي ، والطرماع بن حكيم ولحسان بن ثابت وللأخطل .

وقال : الصحيح عندي أنه لأبي الأسود أو للمتوكل الليثي ، وقد رأيت في قصيدة كل منهما (شرح شواهد المغني للسيوطي وخزانة الأدب للبغدادى وشواهد المعين) .
وذكر الآمدي في المؤلف والمختلف ١٧٩ وذكر المرزباني في معجم الشعراء ٤١٠ أنه للمتوكل الليثي .

(١) هو إبراهيم بن علي بن سلمة شاعر مجيد أدرك العصر العباسي .

وقد مدح المنصور بقصيدة مطلعها :

• سرى ثوبه عنك الصببا المتخايل •

حتى انتهى إلى قوله :

له لحظات عن حقاني سريره إذا كرها فيها عقاب ونائل

(الأغاني ١٧٢/٥) .

وقول المتنبي :

نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا وَأَتَىٰ فَذَلِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرًا^(١)

أخذناه نحن فقلنا : بدوام لا تماسك لسحابه ، وبقاء لا نقاد لحسابه .

وأما الأمثال والنكت فقولهم . ما دخل الرفق في شيء إلا زانه .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه على قريش : اللهم اشدد وطأتك على مضر .

وقد صار ذلك مثلاً سائراً .

وقولهم : السياسة لين من غير ضعف ، وقوة من غير عنف .

ويقال : إن أول من قال ذلك أبو بكر الصديق . وقولهم : هذا عصر

تحسده الأعصرُ الحالية ، وقد جاء في الشعر كثيراً ، كقول ابن هاني :

فأما الليالي السالفة ففقطعتُ أناملها من حَسرةٍ وتندم

وأما الليالي الحاضرة فأذكركتُ مآربها من بهجةٍ وتكرم

وفي الفصول المذكورة من الألفاظ والنكت الجارية مجرى الأمثال ، عدا

ما ذكرناه ، مالا خفاه به .

(١) من قصيدته في مدح أبي الفضل محمد بن العميد التي مطلعها :

باد هواك صبرت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يجر دمعك أو جرى
وقبل البيت قوله :

من مبلغ الأعراب أني بعدها شاهدت أرسطاليس والإسكندرا
وسمت بطليموس دارس كتبه متعلكا متبديا متحفرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما رد الإله نفوسهم والأعصرا

نسقوا لنا ...

(الديوان ١/ ٢٢٠) .

أي أنه جمع من الفضل ما في أولئك السابقين جميعاً ، لأنهم مضوا متتابعين متقدمين على ابن العميد ، فلما أتى كان فيه من الفضائل ما كان فيهم ، مثل الحساب تذكر تفاصيله أولاً ثم تجمل التفاصيل فتكتب في آخر الحساب .

فهذه نبذة من حلّ المنظوم ذكرناها كمُجالة القِرَى^(١) ، وكهيئة الطّارق إذا عرّا^(٢) .

إن وجدنا أدنى فُسْحَةٍ أتمننا ما شرّعنا فيه من حلّ مَسْفِيَّات أبي الطيب المتنبي ، وتقريبها إلى خِزَانَةِ مالك الأمر ، ووارث الدهر ، جعله الله بالنّطافِهِ وكراماته الجليّةِ ممنوحاً ، وأعطاه من البَسْطَةِ في الملْك والعُمُرِ ما لم يُعْطه الإسكندر ونوحاً .

قال المصنف : « وقد ذكر ابن سِنَان الخفاجيّ أن أحدَ ما يشترط في حُسْنِ اللفظة أن تكون مخارج حروفها متباعدة .

قال : وهذا باطل ، لأنه لو كان العلم بحسن اللفظة وقبحها مشروطاً بتباعدِ مَخَارِجِها أو تقاربها ، لوجب ألا يُحْكَمَ على الفورِ بقُبْح لفظه أو حسنهما حتى تُعْتَبَرَ مخارجُ الحروف .

ونحن نجد الأمر بعكس ذلك ؛ فإننا ساعة ما نسمعُ اللفظة نُفْتِي بحُسْنِها أو قبحها . وما ذاك إلا لأن هذا أمرٌ يرجعُ إلى حاسّةِ السمعِ ، فإذا اسْتَحْسَنْتَ شيئاً أو استقبحتّه ، وَجَدْتَ ما تستحسنه متباعداً مخارج الحروف ، فاستحسناتها واستقباحتها إنما قَبِلَ اعتبارُ المخارجِ لا بعده «^(٣) .

أقول : ليس بمُتَكَرِّرٍ أن يُعْلَمَ المعلولُ قَبْلَ العِلَّةِ ، والمشروط قبل الشرط . ألا ترى أنك إذا رأيتَ الجاريةَ الحسناء ، فإنك تستحسنها على

(١) عجلة القِرَى : ما يقدم في سرعة للضيف .

(٢) الطارق : من يطرق الباب ليلاً . عرّا : غشى وجاء طالباً المعروف .

(٣) المثل السائر ٢٥٧/١ بتلخيص .

الْقَوْرَ ، وَلَا يَتَوَقَّفُ اسْتِحْسَانُكَ إِيَّاهَا عَلَى أَنْ تَسْتَحْضِرَ فِي ذَهْنِكَ
عِلَّةَ الْحُسْنِ مِنْ رِقَّةٍ شَقَّتِيئَةٍ وَأَنْفِيهَا وَامْتِدَادِ سَالِفَتِيئِهَا ، وَمُخَالَطَةِ
الْحُمْرَةِ لِلْبَيَاضِ فِي بَشْرَةٍ وَجْهَهَا ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْحُسْنِ .
وَلَا يَطْعَنُ حُكْمُكَ بِالْحُسْنِ عَلَى الْقَوْرِ فِي تَعْلِيلِ الْحُسْنِ بِهَذِهِ الْأُمُورِ ؟

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ اعْتَرَفَ أَنْ كُلَّ مَا تَسْتَبِيحُهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ تَجِدُهُ مُتَقَارِبَ
الْحُرُوفِ ، وَمَا تَسْتَحْسِنُهُ مِنْهَا تَجِدُهُ مُتَبَاعِدَ الْحُرُوفِ ، وَلَكِنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ
لَا يُعْلِلُ اسْتِقْبَاحَ وَالِاسْتِحْسَانَ بِهَمَا ، فَقَالَ لَهُ إِذَا كَانَ تَقَارِبُ الْمَخَارِجِ
وَالِاسْتِقْبَاحُ مُتَلَازِمَيْنِ لَا يَفْتَرِقَانِ ، فَلَا بُدَّ مِنْ أَمْرٍ أَوْجَبَ مُلَازِمَتَهُمَا ،
فِيْمَكَ أَنَّ تَقُولَ إِنَّ اسْتِقْبَاحَ أَوْجَبَ تَقَارِبَ الْمَخَارِجِ فِيمَا هُوَ مُتَقَارِبُ
الْمَخَارِجِ ، وَهُوَ أَمْرٌ ذَاتِي لَهُ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى اسْتِقْبَاحِ .

فَإِذَا لَمْ يَكُنِ اسْتِقْبَاحُ أَوْجَبَ تَقَارِبَ الْمَخَارِجِ وَلَا بُدَّ لِلْمُلَازِمَةِ إِيَّاهُ
مِنْ سَبَبٍ ، فَلَا سَبَبَ إِلَّا أَنْ يُقَالَ : الْمَخَارِجُ عِلَّةُ اسْتِقْبَاحِ .

قَالَ الْمَصْنَفُ : « وَقَدْ وَجَدْنَا أَلْفَاظًا مُتَقَارِبَةً الْمَخَارِجِ وَهِيَ غَيْرُ مُسْتَبِيحَةٍ ،
كَلْفِظَةِ « مَلَعَ » إِذَا عَدَا وَأَسْرَعَ » ^(١) .

أَقُولُ : إِنَّ ابْنَ سِنَانَ لَمْ يَدَّعِ الْأَطْرَادَ الْمُطْلَقَ ، وَإِنَّمَا قَالَ : إِنَّ
الْأَكْثَرَ الْأَغْلَبَ اسْتِقْبَاحُ الْأَلْفَاظِ الْمُتَبَاعِدَةِ الْمَخَارِجِ ، إِذَا لَمْ تُوجَدْ فِيهَا
عِلَّةٌ أُخْرَى تُوجِبُ اسْتِقْبَاحَهَا ، وَالشَّاذُّ لَا يُعْتَدُّ بِهِ .

عَلَى أَنَّ هَذَا لَا زَمَّ لَهُ ، لِأَنَّهُ قَدْ اعْتَرَفَ أَنَّ كُلَّ لَفْظَةٍ مُتَقَارِبَةٍ مَخَارِجِ

(١) الْمَثَلُ السَّائِرُ ٢٦٠/١ .

الحروف فإنها مُسْتَقْبَحَةٌ ، وإن لم يُعْلَلْ الاستقباحُ بذلك .

فما أورده على ابن سنان لازمٌ على ما اعترف هو به من تلازم الأمرين .

قال : وقد غلِطَ أبو نواسٍ في لَفْظَةِ الظَّرْفِ فقال :

اختصم الجود والجمال فيك فصارا إلى جِدا
فقال هذا يَمِينُهُ لي للعرْفِ والبذل والنوال
وقال هذاكَ وَجْهُهُ لي للظَّرْفِ والحسنِ والكمال
فافترقا فيكَ عن تراضٍ كلاهما صادقُ المقال^(١)

قال : فوصف الوجه بالظرف ، والظرف من صفات النطق خاصة ، وليس كما يتوهمه العامة من حسن الصورة ودَمَانَةِ الأخلاق^(٢) .

أقول : إن هذا الذي ذكره قد قاله كثيرٌ من الناس ، وقال كثير من الناس غير ذلك ، فإن صاحب ديوان الأدب قال : الظرف الكياسة ، ولم يزد على ذلك ، وهكذا قال صاحب الصحاح . ومعلومٌ أن الكياسة لا تكون راجعةً إلى النطق اللساني خاصة ، وعلى كل الأحوال فأبو نواس لم يَغْلِطْ ، لأن أداة الظَّرْفِ وهي اللسان على ما يريده جزء من أجزاء الوجه ، فإذا قال الجمالُ إن وَجْهَهُ هذا الممدوح لي ، لأنه مَحَلُّ الظَّرْفِ ، ومَحَلُّ آتَةِ الشيء مَحَلُّ الشيء ، كما يقال : الرأسُ مَحَلُّ الشَّمِّ والذوق ، لأنه محلُّ آتِيهِمَا^(٣) .

(١) المثل السائر ١/١٩١

(٢) عبارة ابن الأثير : فأبو نواس غلط ما هنا في أنه وصف الوجه بالظرف ، وهو من صفات النطق ، وأبو تمام غلط في أنه وصف الخلق بالظرف ، وهو من صفات النطق أيضاً ، إلا أن هذا غلط لا يوجب في هذه اللفظة قبحاً ، لكنه جهل بمعرفة أصلها في وضع اللفظ .

(٣) يظهر أن في العبارة سقطاً لأن جواب إذا لم يتم .

قال المصنف : « وقد غلط أبو تمام في قوله :

وَدَمَاتُهُ الْخُلُقُ الَّتِي لَوْ مَازَجَتْ خُلُقَ الزَّمَانِ الْقَدَمَ عَادَ ظَرِيفًا

فوصف الخلق بالظرف ، والظرف يختص باللسان والنطق^(١) . أقول :

لو سَلَّمْنَا لَهُ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَفْسِيرِ الظَّرْفِ لَكَانَ لِقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ مَذْهَبٌ لَا بَأْسَ بِهِ ، لِأَن تَهْذِيبَ الْأَخْلَاقِ وَرِيَاضَتَهَا وَتَسْهِيلَ حَزَنِهَا وَتَدْمِيقَهُ مِمَّا يَبِينُ عَلَى حُسْنِ التَّوَصُّلَاتِ النُّطْقِيَّةِ ، وَيُؤَثِّرُ فِي تَلَطُّفِ الْأَلْفَاظِ ، وَإِصَابَةِ الْأَغْرَاضِ بِهَا .

أَلَا تَرَى أَنَّ النَّبْطِيَّ الْجَافِي لَا يَكَادُ يَبْلُغُ أَغْرَاضَهُ بِالْكَلَامِ ، وَيُحْسِنُ التَّوَصُّلَ إِلَى إِدْرَاكِ مَا يَرَوِيهِ بِلِسَانِهِ ، بِخِلَافِ مَنْ قَدْ خَالَطَ وَجَرَ بَ ، وَرَاضَ أَخْلَاقَهُ وَهَذَّبَ نَفْسَهُ ، فَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ جَعَلَ أَبُو تَمَامٍ دَمَاتَهُ الْخُلُقَ مُؤَثِّرَةً فِي الظَّرْفِ ، وَإِنْ كَانَ عَائِدًا إِلَى النُّطْقِ اللَّسَانِيِّ خَاصَّةً .

قال المصنف : « وقد ذكر ابن سنان الخفاجي في كتابه أن من أوصاف الكلمة أن تكون مؤلفة من أقل الأوزان تركيباً ، وأنها إذا طالت قُبِحت .

(١) المثل السائر ٢٩٢/١ .

من قصيدة لأبي تمام في مدح أبي سعيد بن يوسف ، وقبل البيت قوله :

لَكَ هَضْبَةُ الْحِلْمِ الَّتِي لَوْ وَازَنْتَ أَجْبَأَ إِذْنُ ثَقُلْتَ وَكَانَ خَفِيفًا
وَالْبَيْتُ بِالْدِّيَوَانِ هَكَذَا :

وَحِلَاوَةُ الشِّيمِ الَّتِي لَوْ مَازَجْتَ خُلُقَ الزَّمَانِ الْقَدَمَ عَادَ ظَرِيفًا
(ديوان أبي تمام ٣٠٩) .

ومثل ذلك بقول المتنبي :

إن الكرامَ بسلا كرامٍ منهمُ مثلُ القلوبِ بلا سُويدَاواتِها
فإن لفظة سويداواتها قبيحة لطولها .

قال : ليس الأمر كذلك ، فإنها لو قبحت لطولها ، لقبح قوله تعالى
« فسيكفيكهم الله »^(١) ، وقوله سبحانه : « لِيُسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ »^(٢)
فإن إحداها تسعة أحرف ، والأخرى عشرة أحرف »^(٣) .

أقول : أَلَسْتُ قَلْتُ فِي بَابِ الْمَاعِظَةِ إِنَّهَا مِمَّا وَقَعَ الْإِجَاعُ عَلَى قَبْحِهِ ،
وَقَلْتُ إِنَّهَا تَكَرُّرُ الْحُرُوفِ ، وَمِثْلُهَا بِقَوْلِ الْقَائِلِ :
* جَنَى جَنَاتٍ وَجَنَاتٍ الْحَبِيبِ * .

وقولهم :

* وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ^(٤) * .

فلقائل أن يقول لك : قد ورد في القرآن الكريم مثل ذلك وهو قوله تعالى .

(بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ، وَأَمَّا
سُئِمْتَهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ^(٥)) .

فهذه مبات كثيرة يتلوه بعضها بعضاً ، فإما أن يكون استعمالها في
القرآن غير مُسْتَحْسَن ، أو يكون مستحسناً ، فإن لم يكن مُسْتَحْسَناً مع

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٧ .

(٢) سورة النور : الآية ٥٥ (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم
في الأرض) .

(٣) المثل السائر ٢٩٩/١ .

(٤) المثل السائر ٤٣٧/١ وفيه البيت كاملاً :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

(٥) سورة هود: الآية ٤٨ (قيل يا نوح اهبط بسلام منا ...) .

أنها قد استعملت ، فاخترَ لابن سنان أن تكون الكلمة الطويلة كقوله :
« ليستخلفنهم » غير مستحسنة ، وقد استعملت ، وإن كانت المعاطلة
قبيحة إلا في القرآن الكريم ، فاخترَ لابن سنان أن يكون كثرة حروف
الكلمة قبيحة إلا في القرآن الكريم .

وبالحملة فلما أن يلزمك ما ألزمته ، أو تتخلص مما يتخلص به .

قال المصنف : « وأكثر أسجاع الصابي^(١) وابن العميد^(٢) وكثير من
المقدمين والمتأخرين من الكتاب بتكرير المعنى بعينه في السجعتين المزدوجتين ،
كقول الصابي في التَّحْمِيد : « لا تُخْلِقُهُ العصور بمُرورها ، ولا تُهْرِمُهُ
الدَّهْرُ بِكُرورها » .

ثم قال في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم : « فلم يدع^(٣) للكفر أثراً
إلا طمسَهُ وعماه ، ولا رسماً إلا أزاله وعَفَّاه » . قال : ولا فرق بين
محو الأثر ولا تعفية الرسم ، ولا بين مرور العصور ، وكروار الدهور .
قال : ومثل قوله : « لم تزل الدولة العباسية تعتلَّ طَوَّراً ، وتَصِحَّ

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن زهرون ، كان كاتب الإنشاء في بغداد عن الخليفة
وعند عز الدولة بن بختيار بن معز الدولة بن بويه ، وتقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ وكان على
مذهب الصابئة كما يدل على ذلك اسمه ، وله صداقة مع الشريف الرضي ، وقد اشهر بكتابه
المجموعة ، وله رسائل مطبوعة (وفيات الأعيان ١٢/١ وبيضة الدهر ٢٣/٢ ومعجم الأدباء
٣٢٤/١) .

(٢) أبو الفضل محمد بن العميد . والعميد لقب أبيه على عادة أهل خراسان في التعظيم كان
وزيراً لركن الدولة الحسن بن بويه والد عضد الدولة سنة ٣٢٨ وكان متوسماً في اللغة والنجوم
والأدب حتى سموا الأستاذ والرئيس والملاحظ الثاني . وهو صاحب مذهب في النثر مشهور .
(وفيات الأعيان ١٨٩/٤) .

(٣) في المثل السائر (لم ير للكفر) .

أطواراً ، وتَلْتَأْتُ مرةً وتستقِلُّ مراراً ، من حيث أصلُها راسخٌ لا يتزعزع ،
وبُنيانُها ثابت لا يَتَضَعُضَعُ » .

قال : وهذه الأسجاع كلها متساوية المعاني ، فإن الاعتلال والالتياث
والطَّوَرُ والمرة والرسوخ والثبات سواء . ثم ذكر عدة مواضع من كلامه
يجري هذا المجرى ^(١) .

أقول: هذه سُنَّةُ الكُتَّابِ وعادتهم ما زالوا عليها قديماً وحديثاً ،
وهم يرون ذلك من باب سَعَةِ العبارة ، والاقتدار على الألفاظ .
ثم إن السجعةَ الثانيةَ توكَّدُ معنى الأولى ، والتأكيدُ عُمْدَةُ البَيَانِ
والكتابة ، ولذلك أَحَبُّوا فيها الإطالةَ ، وفي الشعر الاختصار .

ولم في هذا الباب عُدْرٌ يتضمن تعليلُهُ . والسبب الذي لأجله تَوَسَّعُوا
في عباراتِ الكتابةِ وأسهبُوا ، وافْتَصَرُوا في النِّظْمِ واختصروا ، أن
القرآن الكريمَ وهو على غاية الإيجازِ والاختصارِ قد تضمن ذلك في كثير
من المواضع نحو قوله : (أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ) ^(٢)
فالربُّ ها هنا والملك والإله بمعنى ، فكل واحدة من هذه السَّجَعَاتِ قد
أَعْطَتْ معنى الأخرى .

ومثل قوله : (لَنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا) ^(٣) . فإن
الجَنَاتِ هي البساتينُ ، ولا مَعْنَى للبساتين إلا ما كان محتويًا على الحب
والنبات .

(١) المثل السائر ١/٣١٩ ومنه أصلُنا النص .

(٢) سورة الناس .

(٣) سورة النبأ : الآيتان ١٥ ، ١٦ .

ومثل قوله : (إنهم كانوا لا يرجون حساباً، وكذبوا بآياتنا كذباً^(١))
فإن عدم اعتقادهم للحساب هو تكذيبهم بالآيات .
ومثل هذا في القرآن العزيز كثيرٌ جداً .

فإن قلتَ : يمكن أن يقال إن الملكَ غيرُ الإلهِ ، لأن أمير كل بلدة
يوصف بأنه ملكها ، ولا يُوصَفُ بأنه إلهها ، وكذلك رب الدار لا يقال له
إلهها ، وأيضاً يمكن أن يُقال إنه أراد بالحبِّ الأقنوت ، وبالنبات مالا
ساقَ له من الشجر ، وبالجناتِ ماله ساقٌ ، وغير ذلك من التأويلات .

قلتُ : إذا شرعت في هذا كان لقاتل أن يقول إن قول الصابي :
«لا تُخلِّقُهُ العصورُ» غير قوله «لا تُهَرِّمُهُ الدهورُ» ، لأن الهرم إنما يكون
للحيِّ المختار ، والإحلاق أعمُّ من ذلك ، لأنه يكون للجهاد ، فزاد أنه
لا تُغيِّرُهُ الأوقاتُ ؛ على كلا مذهبي المتكلمين والحقاء .

وقوله : «لم يدعْ له أثرٌ من آثارِ الديارِ والأماكن ولا رسماً» من
قولهم : قد رسمت لك في هذا الكتاب رسوماً فاعمل بها . وأيضاً فإنَّ تَعَثُّلُ
غير تَلَتَاتُ ، لأن اللتياث الضَّعْفُ فقط ، وإن لم يكن عن عِلَّةٍ ، ولذلك
أعقَبَهُ بقوله تَسْتَقِلُّ ، كما أعقَبَ الاعتدالَ بالصحة . ومثُلُ هذه
التدقيقاتِ الحَقِيقَةِ في التأويلات لا يتعذر تحصيلها على من عنده فِيقَةُ
في موارد هذه الصناعة .

قال المصنف : « والتَّصْرِيعُ سبعة أنواع ^(٢) .

الأولُ : أن يستقل كلُّ واحدٍ من المِصْرَاعَيْنِ بنفسه استقلالاً تاماً ،

(١) سورة النبأ : الآيتان ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) المثل السائر ١/٣٧٥ .

وهو التصريح الكامل ، كقول امرئ القيس :
أفاطمُ مهلاً بعضَ هذا التدلل وإن كنت قد أزعجت هجري فأجمل^(١)

وقول المتنبي :

إذا كان مدحٌ فالنسب المُقدَّمُ أكل فصيح قال شعراً متيماً^(٢)
الثاني : أن يكون المصراع الأولُ مستقلاً بنفسه ، والثاني غير مستقل
بنفسه ، بل يكون مرتبطاً بالأول كقول امرئ القيس :
قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزَلٍ
يَسْقُطِ اللَّوْى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمِلِ^(٣)

وقول أبي تمام :

ألم يَأْنِ أَنْ تُرَوِّى الظَّاءَ الحَوَائِمُ وَأَنْ يُنْظِمَ الشَّمْلَ المَبْدَدَ نَازِمٌ^(٤)
والثالث : أن يُمكنَ وَضْعُ كُلِّ واحدٍ من المصراعين موضع
الآخر ، وهو (التصريح الموجَّه) ، كقول ابن الحجاج :
من شروط الصَّبوح في المِهْرَجَانِ خِفَّةُ الشَّرْبِ مَعَ خُلُوءِ المَكَانِ^(٥)
وهذا في الجودة كالنوع الثاني .

والرابع : أن يكون المصراع الأول [غير مستقل^(٦)] بنفسه ، ويفتقر فهم
معناه إلى الثاني وهو مذموم ، ويسمى التصريح الناقص ، كقول المتنبي :

(١) من معلقته .

(٢) مطلع قصيدته في مدح سيف الدولة .

الديوان ٢٤٩/٢ .

(٣) مطلع المعلقة .

(٤) مطلع قصيدته في مدح أحمد بن أبي دؤاد .

الديوان ٢٨٥ .

(٥) يتيمة الدهر ٦٥/٣ .

(٦) في الأصل « مستقلاً » وهو خطأ — وانظر المثل السائر ٣٧٧/١ .

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان^(١)
 والخامس : أن يكون التصريحُ بلفظةٍ واحدةٍ في الضرب والعروض ،
 إما حقيقةً ، كقول عبيد بن الأبرص :
 وكلُّ ذي غيبةٍ بثوبٍ وغائبُ الموتِ لا يثوبُ^(٢)
 وإما مجازاً ، كقول أبي تمام :
 فتي كان شرباً للعفاةِ ومُرْتَعَى فأصبح للهنديّةِ البيضِ مرتعاً^(٣)
 والسادس : أن يُذكرَ مصراعُ الأول ويكون معلقاً على صفةٍ يأتي
 ذكرها في أول المصراع الثاني ، ويسمى « التصريح المعلق » ، وهو معيبٌ
 جداً ، ومثله قول امرئ القيس :
 ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجلِ بصُبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثل^(٤)
 فإن المصراع الأول معلق على قوله بصبح .
 ومثله قول المتنبي :
 قد علمَ البينُ مِنّا البينُ أجفانا تدمى وألّف في ذا القلبِ أحزاناً^(٥)

(١) مطلع قصيدته في مدح عضد الدولة وولديه ، ووصف شعب يوان .

الديوان ٤٨١/٢ .

(٢) من قصيدته التي مطلعها :

أقفر من أهله ملحسوب فالتقطيات فالذنوب

(٣) من قصيدته في رثاء أبي نصر محمد بن حميد الطائي التي مطلعها :

أصم بك الناعي وإن كان أسماً وأصبح مغني الجور بعدك بلقماً

الديوان ٣٧٤ .

العفاة : طلاب العطاء . مرتعى : موضع رعي . مرتع : مسرح .

(٤) من مملقته .

(٥) مطلع قصيدته في مدح أبي سهل معبد بن عبد الله الأنطاكي .

الديوان ٤٥٧/٢

يريد أن الفراق قد علم الأجفان الفراق ، فالتفتي سبراً ، وجعل الفراق يؤلف الحزن
 إغراباً في الصنعة .

فإن المصراع الأول مُعَلَّقٌ على قوله تدمي .

والسابع : أن يكون التصريح في البيت مخالفاً لقافيته ، ويسمى « التَّصْرِيحَ المنتظم » ، وهو أقبح التصريعات ، كقول أبي نُوَاس :
أَقْلِنِي قَدْ نَدِمْتُ عَلَى الذُّنُوبِ وبالإقرارِ عُدْتُ مِنَ الْجُحُودِ^(١)
أقول : إن النوع السادس عند التحقيق هو النوع الثاني ، فإن كان الثاني جيداً كما زعم فالثاني معيب .

بيانه أن المصراع من النوع السادس مستقل بنفسه ، غير محتاج إلى الذي يليه أصلاً ، لأنه لو وَقَفَ على قوله . « أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِ » لكان مفيداً ، لأنه سأل الليل أن ينجلي وينكشف ، وهذا كلام تامٌ مستقل بنفسه ، كقوله : « قفا نبك من ذكرى حبيب ومترل » بل أنتم استقلالاً منه ، لأنه إذا ذَكَرَ الحبيبَ والمترلَ ولم يَنْعَتَهُمَا كان الكلام يخرج عن الإفادة . وقوله لِلَّيْلِ : « أَلَا انْجَلِ » معناه واضح ، كأنه قال ما أطولك يا لَيْلٍ فانتكشِفْ ! .

وبيت المتنبي مثل هذا ، بل أنتم استقلالاً ، لأن قوله « قَدْ عَلِمَ الْبَيْنُ مِنْنا الْبَيْنَ أَجْفَانَا » كلامٌ حسنٌ مفيدٌ عند من يفهم معناه ، ومعنى هذا المصراع أن الْبَيْنَ قَدْ عَلِمَ أَجْفَانَا الْبَيْنَ ، أي فِرَاقُ الْأَحْبَابِ قَدْ عَلِمَ أَجْفَانَا أن يفارق بعضها بعضاً .

وهذا معنى لطيفٌ ، وكلام حسنٌ مستقل بنفسه ، لا حاجة له إلى المِصْرَاعِ الثاني ، ولا هو مُعَلَّقٌ عليه أصلاً .

(١) أحد بيتين كتب بهما إلى الفضل بن الربيع ، والبيت الآخر هو :

وإن تصفح فأحسان جديد سبقت به إلى شكر جديد

وليس قوله « تَدُمَى » يوجب تَعَلُّقَ المصراعِ الأولِ عليه ، لأن موضعه النصب ، من حيث كان صفةً لقوله « منزل »^(١) فلا فصل بين الموضعين .

واعلم أنه قد أُحِلَّ في أقسام التصريع بقسمين آخرين : أحدهما أن يكون معنى المصراعِ الأولِ مُبَايِنًا لمعنى المصراعِ الثاني بالكُلِّيَّةِ ، لا رابطة بينهما ، كقول المتنبي :

جَلَلًا كَمَا بِي فَلَيْسَكَ التَّبْرِيعُ أَغِذَاءَ ذَا الرِّشَاءِ الْأَعْنَ الشَّيْحُ^(٢)
فإنه لا مُنَاسَبَةَ بين صَدْرِ البيت وَعَجْزِهِ ، وإن ثبت أن بينهما مناسبةً كما قد تكلفه قومٌ فما الْغَرَضُ الْمِثَالُ ، وإنما الْغَرَضُ التَّمْثِيلُ .

وهذا غير القسم الأول الذي ذكره المصنف ، لأن قوله « وإن كنت قد أَزْمَعْتَ هَجْرِي فَأَجْمَلِي » له ارتباطٌ معنويٌّ في الجملة بقوله « أَفَاطَمْ مَهَلًا » وتقدير الكلام إن كان صَدُّكَ دَلَالًا فَأَمْهَلِي مِنْهُ ، وإن كنت قد أَزْمَعْتَ الْهَجَرَ وَالْقَطِيعَةَ بِالْكُلِّيَّةِ فَأَجْمَلِي مِنْ ذَلِكَ .

والقسم الثاني التصريع في العروض بحركة تخالف حركة الضَرْبِ ، نحو أن يكون أَحَدُهُمَا بالرفع والآخر بالجر ، كقول أبي نواس :

(١) هكذا بالأصل ولعل الصواب (من حيث كان صفة لقوله أجفانًا كما أن يسقط اللوى صفة لقوله منزل) .

(٢) مطلع قصيدته في مدح مساور بن محمد الرومي .

الديوان ١٦٤/١ ومنه أصلحنا البيت .

الجلل : الأمر العظيم . التبريع : الجهد والشدة . الرشاء : ولد الظبية . الشيح : نبات طيب الرائحة .

اختصم الحسنُ والجمالُ فيك فصارا إلى جدالٍ
وهذا يخالف القسم السابع الذي ذكره المصنف ، لأن ذلك اختلافُ
الحرفين ، وهذا اختلاف الحركتين .

قال المصنف : « فأما التَّجْنِيسُ ^(١) فهو أن يكون اللفظ واحداً والمعنى
مختلفاً . وهذا ينقسم إلى أقسام يدخل فيها ما هو التجنيس الحقيقي
وما يُشَبَّهُ به .

قال : وقد يُظَنَّ أن قول أبي تمام :
أظنُّ الدَّمْعَ في خَدَّيْ سَيُبْقِي رَسوماً من بكائي في الرسومِ
من هذا الباب نظراً إلى مساواة اللفظ ، وهو غَلَطٌ ، لأن المعنى غيرُ
مختلفٍ فيهما ، ومن شرط التجنيس وما يشابهه اختلافُ المعنى مع تماثل اللفظ
ثم قال : فمثال التجنيس الحقيقي قول أبي تمام :

من القوم جَعَدُ أَيْضُ الوجه والنَّدَى
وليس بَنَانٌ يُجْتَدَى منه بالجَعَدِ ^(٢)
قال : الجعد : السيد ، ويقال للبخیل إنه لجَعَدُ البَنَانِ . قال : ومثل
قوله :

كم أحرَّرتْ قُضْبُ الهندي مُصلَّةٌ تهترُّ من قُضْبٍ تهترُّ في كُتبٍ

(١) المثل السائر ٣٧٩/١ وما بعدها بإيجاز .

(٢) من قصيدة يمدح بها حفص بن عمر الأزدي .

الديوان ١٣١ .

بيضٌ إذا أنشُضِيَتْ من حُجْبِهَا رَجَعَتْ

أَحَقَّ بِالْبَيْضِ أَبْدَانًا مِنَ الْحُجُبِ ^(١)

قال : فالقُضْبُ : السيوف ، والقُضْبُ : القُدود ، والبيضُ :
السيوف ، والبيض : النساء ^(٢) .

أقول : إن لفظي قُضْبُ في البيت الأول ، ولفظي البيض في البيت
الثاني ، خارجة عن باب التجنيس بالكلية ، لأن القُضْبُ جمع قَضِب ،
وهو العود الرشيق من الشجرة ، هذا هو حقيقة هذا اللفظ في أصل وضعه ،
ولأنما سُمِّي السيف به مجازاً أيضاً .

ولا تظن أن تسمية السيف قضيباً من حيث كان قاطعاً ، من القُضْب
وهو القطع ، فيكون فعِيل بمعنى فاعل ، كقدير وعليم ، لأنهم لو كانوا
أرادوا ذلك لسمّوا السيف العظيم العَرَضِ قَضِيباً ، وما رأيناهم سمّوه
بذلك ، وإنما سمّوا به السيف اللطيف .

ومثل ذلك البيض فإنها ليست من أسماء النساء ، والبيضاء ومراة لفظتين
مترادفتان كالمؤمن والهِكْوَك ^(٣) ونحوها ، ولا البيضُ من أسماء السيوف
ولا سمعنا أن الأبيض اسم السيف ، كما أن اللبث اسم الأسد ، وإنما البيضُ
عبارة عن أشياء ذوات بياض فقط ، ثم استُعيرت اللفظة للسيوف والنساء

(١) أصلحنا البيتين من المثل السائر ومن الديوان ١٠ والبيتان من قصيدته في مدح المعتصم
لما فتح عمورية ومطلمها :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

(٢) المثل السائر ٣٨١/١ ونص عبارة ابن الأثير : « فالقُضْبُ السيوف والقُضْبُ القُدود
على حكم الاستعارة ، وكذلك البيض السيوف ، والبيض النساء .

(٣) من معاني المؤمن المصدق والواثق والخامع وقابل الشريعة .

ومن معاني الهكوك المكان الغليظ الصلب أو السهل ضد . والسبين والماجن .

صفة لا اسماً . وهذا أمر خارج عن باب التجنيس ، ولو كان هذا من التجنيس لوجب إذا قيل في الليل أسود ، وفي الجنة سوداء ، وفي أسود من قولهم عندي الأسودان أن يكون هذا تجنيساً ، ولم يقل ذلك أحدٌ ، لأن هذه الصفات تختلف موصوفاتها ولا تختلف هي .

فلين كان مثل هذا تجنيساً ، فليكن بيت أبي تمام الأولُ تجنيساً ، لأن رسوم اللمع هي مجاربه وآثاره ، ورسوم الدار جمع رسم وهو مصدر رسمت الدار ، أي عقيتها قال :

* أمين رسم دارٍ مربعٍ ومَصيفُ *

وهذا أشدُّ اختلافاً من البيض والبيض ، والقضب والقضب .

قال المصنف : « ومن التجنيس أيضاً قول أبي تمام :

أناسٌ إذا ما استلحَمَ الروعُ صَدَّعُوا

صُدُورَ العوالي في صدور الكتائب^(١)

قال : فلفظ الصدور في البيت واحد والمعنى مختلف » .

أقول : وهذا أيضاً من القرار الأول الذي قلنا إنه ليس بتجنيس ، لأن الصدر اسمٌ لهذا العضو المخصوص ، لكنه لما كان هو مُقَدِّمَ الإنسان ، نُقِلَ إلى صدور العوالي ، وهي رؤوسها وما يَتَقَدِّمُ منها ، وإلى صدور الكتائب ، وهي ما يتقدم منها أيضاً ، فالمعنى واحد في الموضعين ، وإذا اتحد المعنى خرج عن باب التجنيس .

(١) المثل السائر ٣٨١/١ من قصيدة لأبي تمام في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى المجلي مطلقها :

على مثلها من أربع وملاعب . أذبلت مصونات الدموع السواكب

صدعوا : شققوا . العوالي : الرماح . الكتائب : الجيوش .

(الفلك الدائر — م ١٢)

قال المصنف : « ومن أقسام التجنيس أن يقع الاختلاف في الوزن والتركيب بحرف واحد ، كقول محمد بن وهيب :

قَسَمْتَ صُرُوفَ الدَّهْرِ بَأْسًا وَنَاقِلًا فَمَالِكَ مَوْتُورٌ وَسَيْفُكَ وَاتِرٌ ^(١)

أقول : إن إدخال هذا البيت في التجنيس من طريق الأشياء ، فإن المعنى في الكلمتين واحدٌ ، وإنما يَخْتَلِفُ الفاعلُ وصيغة المفعول كالمضروب ، ولو كان هذا تجنيساً لَوَجِبَ أن يكون قَوْلُ القائل : « ضربت زيداً بالعصا ضرباً فَلَقَى المضروب بالضارب » قد تَضَمَّنَ التجنيسَ في أربعة مواضع : الفعل ، والمصدر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول . وهذا مما لم يذهب إليه ذاهب .

قال المصنف في باب الموازنة : « مما جاء في الموازنة شعراً قول الأول ^(٢) :

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَاثَ عُرُوشِهِمْ بُعْتَبِيَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ
بِأَسَدِهِمْ بَأْسًا عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَأَعَزَّهُمْ فَقَدْ عَلَى الْأَصْحَابِ
فَإِنْ بَأْسًا وَقَدْ عَلَى وَزْنٍ وَاحِدٍ .

أقول : إنه قال في أول قسم الألفاظ المركبة : « إن صناعة تركيب الألفاظ والمعاني تنقسم إلى ثمانية أقسام : منها السجع وهو يَخْتَصُّ بالمتنور ،

(١) المثل السائر ٣٩٢/١

(٢) المثل السائر ٤١٧/١ والبيتان لربيعة بن عبيد بن سعد بن جذيمة بن مالك بن نصر ابن قعين أحد بني أسد . وربيعة هذا هو أبو ذؤابة الأسدي . وقد نسب الشعر في حاشية أبي تمام ٣٥٤/١ لرجل من بني نصر بن قعين . وفي الحاشية والمثل السائر (على أصحابه) بدلاً من (على أعدائهم) .

ومنها التصريح وهو مختص بالمنظوم ، ومنها التّجْنِيس وهو عامّ لهما ،
ومنها الموازنة وهي تختصّ بالمشور^(١) .

وهو هنا يذكّر أنّ في الشعر موازنة ، وذلك نقض لما قدّمه .

قال المصنف في الكلام عن الصناعة المعنوية : « وصاحبُ هذا الفنّ^{*}
لا يحتاجُ إلى ما ذكره الحكماء في علم المنطق في الشعر . وقد قرأتُ كلام
أبي عليّ ابنِ سينا في المنطق ، وتأملتُ ما قاله في الشعر فوجدته يقول : إن ذلك
يُورَدُ على مُقدّمَتين ونتيجة . قال وقد كان ابن سينا ينظم الشعر ، ولا يرتبه
عند إفاضته في صوغه بالأصالة ، لأنه لم تحطِرْ المقدمتان والنتيجة له ببال ،
ولو أنه استحضر المقدمتين والنتيجة ، ثم أتى بالنظم والنثر بعدها لم يأت
بشيء يُستفَعُّ به ، وإنما هذه فتقاعِجُ وألفاظ طَوَّلَ القومُ بها كُتُبَهُمْ^(٢) .

(١) المثل السائر ١/٣٠٧ .

(٢) ملخص من المثل السائر ٧/٢ قال ابن الأثير : اعلم أن المعاني الخطابية قد حصرت
أصولها ، وأول من تكلم في ذلك حكاه اليونان ، غير أن ذلك الحصر كلي لا جزئي ، ومحال
أن تحصر جزئيات المعاني وما يتفرع عليها من التفرعات التي لا نهاية لها ... ولقد فاوضني
بعض المتفلسفين في هذا ، وانساق الكلام إلى شيء ذكره لأبي علي بن سينا في الخطابة والشعر ،
وذكر ضربا من ضروب الشعر اليوناني ، وقام فأحضر كتاب الشفا لأبي علي ووقفني على ما ذكره ،
فلما وقفت عليه استجهلته ، فإنه طول فيه وعرض ، كأنه يخاطب بعض اليونان ، وكل الذي
ذكره لنغولا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئا .

ثم مع هذا جميعه فإن معمول القوم فيما يذكر من الكلام الخطابي أنه يورد على مقدمتين ونتيجة ،
وهذا مما لم يحطّر لأبن سينا ببال فيما صاغه من شعر وكلام مسجوع ، فإن له شيئا من ذلك في كلامه
وعند إفاضته في صوغ ما صاغه لم تحطّر المقدمتان والنتيجة له ببال . ولو أنه فكر أولا في المقدمتين
والنتيجة ، ثم أتى ينظم أو نثر بعد ذلك لما أتى بشيء ينتفع به ، ولطال الخطب عليه .

بل أقول شيئا آخر : وهو أن اليونان أنفسهم لما نظّموا ما نظّموه من أشعارهم لم ينظّموه
في وقت نظمهم وعندهم فكرة في مقدمتين ولا نتيجة ، وإنما هذه أوضاع توضع ، وتطول بها
مصنفات كتبهم في الخطابة والشعر ، وهي كما يقال فقاع ليس لها طائل ، كأنها شعر الإيبوردي .

أقول : هذه جنايةٌ عَجَبُ الإنسانِ بنفسه ، وذلك أن الإنسان يدعوهُ قَرَطُ اعتقاده في نفسه ، وشَغَفُهُ بما يَحْطِرُ له أن يتكلم على قوم لا يَعْرِفُ أقوالهم ، ولا يُحْصِلُ معنى اصطلاحاتهم ، فَضْلاً عن أن يَبْلُغَ رُبَّتَهُمْ ، وَيَتَرَقَّى درجتهم ، إلى أن يَنْقُصَ عليهم ، فيقع هذا الموقع .

وليس مراد القوم بالشعر ما يتوهمه .

والذي يُريدونه بالشعر يأتي في كل قياسٍ مُخَيَّلٍ يَعْلَمُ العاقلُ كَذِبَهُ ، لكنه يُحَدِّثُ له مع ذلك نَوْعَ قَبْضٍ أو بَسْطٍ أو إقدامٍ أو إحجامٍ ، كما يقال : لا تأكلوا العسل ، فإنه ثمرةٌ مَقْبِيئةٌ ^(١) ، أو يقال للمحلّوء الرطبة المزعفرة : لا تأكلها فإنها غائط . فالعقلُ والحسُّ يكذِّبان هذا الكلام الذي هو في قوة قياس ، صُورَتُهُ هكذا : كلُّ غائطٍ فهو غير مأْكَلَةٍ . ومع علمه بكذِبِهِ يَنْقَبِضُ عن الأكل . وأكثرُ إقدامِ الناسِ وإحجامِهِم بسببِ هذه التَّخَيُّلاتِ والأوهام ، وهي الأقيسةُ الشَّعْرِيَّةُ التي يذكرونها ، وإنما سُمِّيَتْ شِعْرِيَّةً لمشابتها مقاصدَ الشعراء في تَخَيُّلاتِهِمْ وتَرْوِيقَاتِهِمْ .

وأما تَوَهُّمُهُ أن الشاعر يحتاج وَقْتَ نظمِ الشعرِ إلى استعمالِ مقدمتين ونتيجةٍ ، وقوله : إن ابن سينا كان ينظم شعراً ولا يُرتَّبُ المقدمتين وَقْتَ نظمِهِ ، فَتَوَهُّمٌ "بعيدٌ" ، وإن كان القوم عنده بهذه الصورة ويراهم بهذه العين فإنه لم يَعْرِفَهُمْ ..

(١) ثمرة مقبئة ، يتفق هذا مع قول الشاعر :

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وإن ذمت فقل فيه الزقابير
وكان بالأصل (مرة مقبئة) .

قال المصنف: «وقد تَصَفَّحْتُ كتاب الحِصَانِ لِأبي الفتح ابنِ جِنِّي، فوجدته قد ذكر في المجاز شيئاً يَتَطَرَّقُ النَّظَرُ إِلَيْهِ، وذلك أنه قال: لا يُعَدَّلُ عن الحقيقةِ إلى المجاز إلا لمعانٍ ثلاثة: وهي الاتساع، والتشبيه، والتوكيد، فإن عُدِمَتْ هذه الثلاثة كانت الحقيقة أَلْبَسَةً. فمن ذلك قوله تعالى: «وأدخلناه في رحمتنا» (١).

فهذا الكلامُ اجتمعت فيه المعاني الثلاثةُ المذكورة.

أما الاتساع فإنه زاد في أسماء الجهات والمحالِّ اسماً هو الرحمة.

وأما التشبيه فإنه شبه الرحمة — وإن لم يصحَّ الدخول فيها — بما يصحَّ الدخول فيه.

وأما التوكيد فإنه أخبرَ عما لا يُدْرِك بالحاسة بما يُدْرِك بالحاسة تعالياً بالمُخْبِرِ عنه، وتفضيلاً له، إذ صُيِّرَ بِمَنْزِلَةِ ما يُشَاهَدُ وَيُعَايَنُ.

قال: والكلامُ عليه من ثلاثة وجوه: أولها أنه جعل وجودَ هذه المعاني الثلاثة سبباً لوجود المجاز، وعدَمُها سبباً لعدَمِهِ، وهذا خطأ، فإنه ليس وجودُ [هذه الثلاثة سبباً لوجود] (٢) المجاز بل وجود واحد منها أيُّها كان سببَ وجوده. وأيضاً فلو كان وجود هذه المعاني الثلاثة سبباً لوجود المجاز لكان عَدَمُ أحدها أيها كان سبباً لعدَمه، كما إذا قلنا: لا يوجد الإنسان إلا بأن يكون حيواناً ناطقاً، والحيوانية والنطق سببُ وجود الإنسان، فإذا عُدِمَ واحدٌ منهما بطلَ أن يكون إنساناً، وكذلك كل صفة تكون

(١) بالأصل (وأدخلناه).

(٢) ما بين قوسين زيادة يفتضيهما السياق.

مُسَوِّيةٌ لوجود شيء من الأشياء ، كان وجودُها يُوجبُ وجودَ ذلك الشيء ، وعدمُ واحد منها يُوجبُ عدمه ^(١) .

أقول : ليس مراد أبي الفتح — رحمه الله — ما ظنَّه ، فكيف يذهبُ إلى أن يقولَ : المجازيةُ متوقفةٌ على اجتماع هذه الأمور الثلاثة ؟ وقد حَصَرْتُ ضَرْبَ أمثلةٍ كثيرةٍ للمجاز في كتابه هذا ، وكلُّ موضعٍ منها مختصٌّ بواحدٍ من هذه الثلاثة فقط ، وإنما ذكرَ هذه الآيةَ لِيُبَيِّنَ بها أنه قد وجدَ مَوْضِعاً اجتمع فيه الشروطُ الثلاثةُ التي يتوقف المجاز عليها لمعان ثلاثة ، مثل قوله في كتاب اللُّمَعِ : والكلامُ كُلُّه ثلاثةُ أشياء ؛ اسمٌ وفعلٌ وحرف ، فإنه لا يُريدُ أن كل لفظةٍ من الكلامِ يَجْتَمِعُ لها أن تكونَ اسماً وفِعْلاً وحرفاً ، إنما مراده أن كل لفظةٍ من الكلامِ فإنها لا تخلو عن هذه الأنواع الثلاثة ، بل تكونُ واحداً منها أيها كان ، ولكنه يتسامح في اللفظ اعتماداً على فَهْمِ السامعِ ، وثقةً بأن مِثْلَ هذا الكلامِ لا يزال الناسُ يستعملونه في محاوراتهم .

فأما قوله : « فإذا عُدِمَتْ هذه الثلاثةُ كانت الحقيقةُ أَلْبَتَةً لا غَيْرُ » جَيِّدٌ لا اعتراضَ عليه ، لأنه لو عُدِمَ أحدها فقط لم تأتِ الحقيقةُ متعينةً أَلْبَتَةً ، لأن أحد القسمين الباقيين يكفي في حُسْنِ المجاز ، وإنما

(١) المثل السائر ٨٩/٢ وهنا زيادات ليست بالمثل السائر ، لأن ابن الأثير قال : هذا قول أبي الفتح — رحمه الله — من غير زيادة ولا نقص . والنظر يتطرق إليه من ثلاثة أوجه : الأول أنه جعل وجود هذه المعاني الثلاثة سبباً لوجود المجاز ، بل وجود واحد منها سبباً لوجوده . ألا ترى أنه إذا وجد التشبيه وحده كان ذلك مجازاً ، وإذا وجد الاتساع وحده كان ذلك مجازاً . ثم إن كان وجود هذه المعاني الثلاثة سبباً لوجود المجاز كان عدم واحد منها سبباً لعدمه ، ألا ترى أنا إذا قلنا : لا يوجد الإنسان إلا بأن يكون حيواناً ناطقاً ، فالحيوانية والنطق سبب لوجود الإنسان ، وإذا عدم واحد منهما بطل أن يكون إنساناً ، وكذلك كل صفات تكون مقدمة لوجود الشيء فإن وجودها بوجوده ، وعدم واحد منها يوجب عدمه .

تَتَعَيَّنُ الْحَقِيقَةُ الْبَيِّنَةُ إِذَا عُدِمَتِ الثَّلَاثَةُ كُلُّهَا .

ومن هذا الموضع يجب أن يفهم معنى قوله : « لا يُعَدُّ كُ عَنْ الْحَقِيقَةِ إِلَى الْحَاجِزِ إِلَّا لِمَعَانٍ ثَلَاثَةٍ » لأنه لو كان أراد اجتماعَ معانٍ ثَلَاثَةٍ لما قال : « فَإِذَا عُدِمَتِ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ كَانَتِ الْحَقِيقَةُ الْبَيِّنَةُ » لأن الذي لَا يَحْسُنُ استعماله إِلَّا عِنْدَ اجْتِمَاعِ عِدَّةِ أَشْيَاءَ يَنْتَقِي حُسْنُ اسْتِمَالِهِ عِنْدَ انْتِفَاءِ وَاحِدٍ فَقَطْ مِنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ ، لأنه إِذَا انْقَضَى أَحَدُهَا فَقَدْ زَالَ اجْتِمَاعُ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الَّذِي جَعَلْنَا حُسْنَ الاسْتِمَالِ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ .

وأما تمثيله بالإنسانِ والحَيَوَانِيَةِ والنَطْقِ فتمثيلٌ غير مطابقٍ لما نحن فيه ، لأن حَمَلَنَا كَلَامَ أَبِي الْفَتْحِ عَلَى مَا قَدْ تَوَهَّمَهُ خَطَأً ، إِلَّا إِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى الْمَحْمَلِ الصَّحِيحِ ، فَاجْتِمَاعِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي أَشَارَ أَبُو الْفَتْحِ إِلَيْهَا لَيْسَ مُقَوِّمًا لِلْمَجَازِ ، وَلَا هِيَ أَسْبَابُ وَجُودِهِ ، وَإِنَّمَا هِيَ شُرَاطِطُ حُسْنِ اسْتِمَالِهِ ، فَكَيْفَ مَثَّلَ ذَلِكَ بِأَجْزَاءِ الْمَاهِيَةِ الْمَقْوَمَةِ ؟ .

قال المصنف : « الْوَجْهُ الثَّانِي أَنَّهُ ذَكَرَ التَّشْبِيهَ وَالتَّوَكِيدَ ، وَكِلَاهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرَهُ ، لِأَنَّهُ شَبَّهَ الرَّحْمَةَ وَهِيَ لَا تُدْرَكُ بِالْبَصَرِ بِمَكَانٍ يُدْخَلُ فِيهِ ، وَهُوَ صُورَةٌ تُدْرَكُ بِالْبَصَرِ ، فَدَخَلَ تَحْتَ ذَلِكَ التَّوَكِيدُ الَّذِي هُوَ إِنْجَابٌ عَمَّا لَا يُدْرَكُ بِالْحَاسَّةِ بِمَا يُدْرَكُ بِالْحَاسَّةِ » ^(١) .

أقول : إن لقوله تعالى : (وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا) اعتبارين : أحدهما أنه جعل الرحمةَ ظرفاً وصَّرح بذلك حين أتى بلفظة « فِي » وهي مختصة بالظرفية ، والرحمةُ هي إرادةُ الثواب ، والإرادةُ لَا تَكُونُ ظَرْفًا .

(١) الملل السائر ٩١/٢ ونص عبارة ابن الأثير (بما قد يدرك بالحاسة) .

والثاني أن فَحَوَى الكلام : رَحِمْتُنَا قد دَخَلَ فيها قومٌ ، كما يقول دارُنا قد دخلها قومٌ ، والدخولُ حركةٌ مخصوصةٌ ، وكل حركةٌ فهي مرثيةٌ بالبصر ، فقد أَخْبَرَ عما لا يُدْرَكُ بالبصر ، وأحدُ هذين الاعتبارين مغايرٌ للآخر ، ألا ترى أن قولهم « فلان قد عَضَّه الدهر » فَحَوَاهُ أمرٌ يُدْرَكُ بالبصر وهو العَضُّ ، فلأجل تَغَايُرِ هذين الاعتبارين جعلهما أبو الفتح — رحمه الله — قسمين .

قال المصنف : « على أن التوكيدَ ما هنا لا أعلم ما أراد به ، لأنه لا يُؤْنَى به في اللغة العربية إلا لمعنيين : أحدهما أنه يردُّ بالألفاظِ محصورةٌ ، نحو نفسه وعينه وكأله ، وغير ذلك مما هو مذكور في كُتُب النحاة ، والآخرُ أنه يردُّ على وجه التكرير ، كقولك : قام زيد قام زيد ، فكَرَّر اللفظُ تحقيقاً وتوكيداً للمعنى المقصود ، وأبو الفتح لم يردِّ أحدُ هذين القسمين ، فلا يكون له معنى إلا أن يريد إبرازَ المعنى الموهوم إلى صورة المشاهدة ، وقد عَبَّرَ عنه بالتوكيد ، فيكون ذلك هو التشبيه بعَيْنِهِ ، فلا حاجةَ إلى إيرادِهِ بالذكر »^(١)

أقول : ما أراد أبو الفتح رحمه الله شيئاً مما تَوَهَّمَهُ هذا الرجل ، وقد اعترف بأنه لم يَفْهَمْ مُرَادَهُ مع ظهوره . وذلك أن أحدَ الأغراض الصحيحة في نقل العبارة عن موضعها الأصليِّ إلى غيره تأكيدُ المعنى على وَجْهِ يَفْعَلُ في نفس السامع ما لا تَفْعَلُهُ الحقيقة ، كقوله تعالى : (سَنَقْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَا الثَّقَلَانِ)^(٢) ومراده سَنَقْصِدُ ، ولم يَقُلْ ذلك ، لأن في الفراغَ معنىً ليس في القَصْدِ ، وهو التهديد والوعيد ، فإن قَوْلَ

(١) المثل السائر ٩١/٢ بتلخيص .

(٢) سورة الرحمن : الآية ٣١ الثقلان : الإنس والجن .

الملك لصاحب الجريمة : سأفرغُ لك يَتَضَمَّنُ من التخويف مالا يَتَضَمَّنُهُ قوله : سأقصدُ لك .

وقوله تعالى : (ولما سكَّت عن موسى النَضْبُ) ^(١) ومراده ذهب ، لكن (سكَّت) أكدُ لما يُريده ، لأن فيه دليلاً على تَوَقُّعِ عود غضبه إذا عاودوا النكرَ في عبادتهم العجل ، كما أن الساكت يَتَوَقَّعُ كلامه .

وكقوله تعالى : (وقَدِمْنَا إلى ما عملُوا من عمل فجعلناه هَبَاءً منثوراً) ^(٢) مراده عَمَدُنَا ، لكن (قَدِمْنَا) أكدُ وأَبْلَغُ ، كأنه كان بإمكانه لهم كالفائز عنهم ، ثم قَدِمَ منهم على مالا ينبغي ، فجازاهم بحَسَبِهِ ، فهذا هو مراد الشيخ أبي الفتح رحمه الله .

قال المصنف : « والوجه الثالث أنه قال : وأما الاتِّسَاعُ فإنه زاد في أسماء الجهاتِ والخالِ اسماً هو الرحمة . قال : ويلزم على قياس هذا القول أن يكون (جَنَاحَ الذُّلِّ) في قوله تعالى : (واخْفِضْ لَهَا جَنَاحَ الذُّلِّ) هكذا يكون قد زاد في أسماء الطيور اسماً هو الذُّلُّ ، وأن يكون قول أبي تمام : لَيْسَتْ سِوَاهُ أَقْوَاماً فَكَانُوا كما أَغْنَى التَّيْسُ الصَّعِيدَ زيادة في أسماء اللباس ، وهو الإنسان » ^(٣) .

أقول : إن هذا الذي ألزمتُه أبا الفتح رحمه الله لا يَمْنَعُ من التزامه ،

(١) سورة الأعراف : الآية ١٥٤ (ولما سكَّت عن موسى النَضْبُ أخذ الألواح وفي نسخها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) .

(٢) سورة الفرقان : الآية ٢٣ .

(٣) المثل السائر ٩٢/٢ بتلخيص .

بل هو قياسٌ مُطَرَّدٌ في جميع التوسّعات ، فما الذي أنكرتَ من ذلك ؟
وإنما يصحُّ اعتراضك لو ألزمتَهُ شيئاً لا يُقدَّرُ على التزامه ، ويحتاجُ
إلى بيان الفرق بينه وبين المسألة التي الكلامُ فيها ، فأما إذا كان الكلُّ ينساق
سياقةً واحدةً فأبىُّ محذورٍ يلزمُ أبا الفتح من ذلك ؟

قال المصنف : « قد نظرتُ في كتاب (أصول الفقه) للغزالي فوجدته قد
قسّمَ المجازَ إلى أربعة عشر قسمًا . قال : وهذه الأقسامُ الأربعة عشر
ترجعُ إلى ثلاثة أقسامٍ : وهي التشبيهُ ، والتوسُّعُ ، والاستعارةُ . قال :
والتقسيمُ لا يصحُّ في شيءٍ إلا إذ اختصَّ كل قسم من الأقسام بصفة
لا يختصُّ بها غيره »^(١) .

أقول أنا قبّلَ النظر في اعتراضاته على الغزالي : (لا بد من تقديم مقدمة)^(٢)
وهي أنه لا بُدَّ في سائر المجازات من علاقةٍ بين الأصلِ المنقولِ عنه والفرعِ
المنقولِ إليه ، وإلا لم تكن تلك اللَّفظةُ مجازاً من تلك الحقيقة ، بل تكونُ
وضْعاً جديداً لا تعلّقُ له بغيره ، وليس الكلام في ذلك ، فالأصوليون
قد اتفقوا على أنه لا بُدَّ من علاقةٍ وارتباطٍ في الجملة ، لكنهم قسّموا تلك
العلاقةَ وذلك الارتباطَ أقساماً كثيرةً ، فقالوا : قد تكون تلك العلاقةُ
باعتبار كذا ، وقد تكون باعتبار كذا إلى آخر الأقسام .

قال هذا الرجل : إن تلك الاعتبارات التي يذكرونها متداخلةٌ ، لا لأنه
قد شملها الأمرُ الأعظم وهو العلاقةُ من حيثُ هي علاقة ، بل لأنها في

(١) المثل السائر ٩٣/٢ .

(٢) كانت بالأصل تقدم مقدمة .

خصوصياتها التي ابتدعها الأصوليون متداخلة ، وقد صَحَّتْ اعتراضاته ،
وإلا فهي ساقطة .

— ٧٠ —

قال المصنف : « فالقسمُ الأولُ من الأقسام التي ذكرها الغزالي وهو
تسمية الشيء باسم ما يشاركه في الخاصية كقولهم للشجاع أسدٌ ، وللبلد
حمارٌ . قال : وهذا القسم إما داخلٌ في الاستعارة إن دُكِرَ المنقولُ
فقط ، كقولك ركبتُ أسداً ، أو في التشبيه المحذوفِ الأداءِ إن ذكر
المنقولُ والمنقول إليه معاً ، كقولك زيدُ أسدٌ »^(١) .

أقول : إننا لا نخالفه في هذا ، ولكن نَنظُرُ فيما يقوله فيما بَعْدُ .

— ٧١ —

قال المصنف : « والقسم الثاني تسمية الشيء باسم ما يتَّوَلَّه إليه ، كقوله
تعالى : (إني أراي أعصرُ خمرًا) وإنما رأى أنه يعصرُ عنباً . قال : وهذا
القسم داخلٌ في القسم المذكور قَبْلَهُ بصفَةِ المشابهة بين المنقولِ منه
والمنقول إليه ، وهو من باب الاستعارة ، بل هذا أوْغَلُ في المشابهة منها ،
لأن الخمرَ من العنب ، وليس الأسدُ من الرجل ، ولا الرجلُ من الأسدِ »^(٢) .

أقول : هذا القسمُ خارجٌ عن القسم الذي قَبْلَهُ ، لأن القسم الذي قبله
هو تسمية الشيء باسم ما يشابههُ في خاصيته ، كتسمية الشجاع أسداً ،
لأن الشجاعة من أخصِّ صفات الأسد ، ولذلك لم يُسمَّوا الأَبْخَرَ أسداً ،
لأنه لم يكن البَحْرُ من صفات الأسد الخاصة ، فالخمرُ والعنبُ لَيْتَ شِعْرِي

(١) المثل السائر ٩٣/٢ .

(٢) المثل السائر ٩٤/٢ .

في أي الخواص اشتراكاً حتى يقول إن هذا القسم داخل في القسم الذي قبله ؟ .

فأما قوله : « بل هذا أو غل في المشابهة من الأسد للشجاع ، لأن الحمر من العنب ، وليس الأسد من الإنسان ، فإنه يقال له ليس كَوْنُ الحمر من العنب مما يقتضي المشابهة التي يُنْقَلُ لأجلها اسم أحدها إلى الآخر ، فإن الدقيق من الحنطة ، ولا يجوز أن يقال : إنه لما كان منها كان أو غل في التشابه من استعارة الأسد للشجاع ، فوجب أن يُطْلَقَ على الحنطة لفظُ الدقيق » .

وتحقيق هذا الموضع هو أن كَوْن الشيء بعُنْصُرٍ من غيره ، أو استحيل غيرُهُ إليه ، لا يقتضي أن يكون بين الأمرين مشابهة في أمرٍ خاصٍّ لأحدهما قد اشتهر به ، وضُرِبَ المثلُ به في فنِّه ، كما اشتهر الأسد بالشجاعة ، وضُرِبَتْ به الأمثالُ فيها ، فلذلك نُقِلَ اسمُ الأسد إلى الشجاع ، للمشابهة في ذلك الأمر الخاص ، ولم يُنْقَلِ اسم الدقيق إلى الحنطة ، ولا نُقِلَ اسم الحمر إلى العنب ، بالاعتبار الذي به نُقِلَ اسمُ الأسد إلى الشجاع ، بل باعتبار آخر وهو تسمية الشيء باسم ما يشوُلُ إليه .

وقد حقق الأصوليون هذا القسم تحقيقاً أزيدَ من هذا ، فقالوا : من أقسام المجاز إطلاقُ اسمِ السَّبَبِ على المَسَبِّب ، ولا يثبت في العلوم إلحْكَمِيَّة ، لأن العِللَ أربعة : الفاعل ، والصُّورة ، والمادة ، والغاية . وكانت أنواع هذا القسم أربعة :

الأولُ تسمية الشيء باسمِ العِلَّةِ الفاعلية إما حقيقةً أو ظناً ، كسمية المطر سماء ، الثاني تسمية الشيء باسمِ العلة الصُّورية ، كتسميتهم اليدَ

بالقُدْرَةِ ، الثالثُ تسميةُ الشيءِ باسمِ العِلَّةِ القابِلَةِ ، كقولهم : سالَ الوادي ، يَعنونَ المطرَ ، الرابعُ تسميةُ الشيءِ باسمِ العلةِ الغائِيَةِ ، كسميةِ العَقْدِ بالنكاحِ ، والعنبِ بالخمِرِ .

قال المصنف : « والقسم الثالث : تسمية الشيء باسمِ فرعه ، كقول الشاعر :

وما العيشُ إلا نومةٌ وتَشْوِيقٌ وتمَرٌ على رأسِ النخيلِ وماءُ
فسمي الرُّطْبُ تمرًا . وهذا القسم والذي قبله سواء ، لأن هناك
سُمِّيَ العِنْبُ خمراً ، وها هنا سُمِّيَ الرُّطْبُ تمرًا ، لأنه أصلُ التمر ،
وهما داخِلان في القسم الأول .

قال : وهبَ أن الغزالي لم يُحَقِّقْ أمرَ الحجاز ، وقسَّمَهُ أقساماً لا حاجةَ
إليها ، ألم يَنْظُرْ إلى هذين القسمين اللذين هما العنبُ والخمرُ ، والرُّطْبُ
والتَّمَرُ ، ويعلم أنهما شيء واحد ، لا فرقَ بينهما^(١) ؟ .

أقول : بل بينهما فرقٌ ظاهرٌ لو أَمَعَتَ النظرَ ، لأن العنب إذا صار
خمراً فقد استحال من صورة إلى صورةٍ مَبَينَةٍ للأولى في جميع أحوالها ،
إلا فيما لا بُدَّ من الاشتراك فيه كالجِسْمِيَّةِ وَنَحْوِهَا ، فهو كالماء يستحيلُ
هواءً ، والهواء يستحيلُ ناراً ، والرُّطْبُ إذا صار تمرًا لم يَسْتَحِيلْ إلى
صورةٍ أخرى ، بل هو ذلك الجسمُ بَعِيْنُهُ ، لِأَنَّهُ يَبَسُ وَجَفَّ بعد أن
كان رُطْباً ، كاللحم الغَرِيضِ يصير قَدِيداً ، والتَّيْنُ الرُّطْبُ يصير يابساً ،
فإنما تَغْيِيرُ منه عَرَضٌ واحدٌ ، وهو الرطوبة التي تبدلت باليبوسة .

(١) المثل السائر ٩٤/٢ .

لَا غَبْرُ . فَيَبْنِي الْأَمْرَيْنِ فَرْقٌ وَاضِحٌ ، وَبِحَسَبِ ذَلِكَ الْفَرْقِ جُعِلَ أَحَدُ الْقَسْمَيْنِ غَيْرَ الثَّانِي .

فَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهِيَ دَاخِلَانِ فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ أَيْضًا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِدَاخِلِ فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ ، لِأَنَّهُ مُعْتَمِدُ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ الْمَشَابِهَةِ فِي الْوَصْفِ الْأَخْصِ ، وَلَا مِثَالَهُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالنُّطْقَةِ .

قَالَ الْمُصَنِّفُ : «وَالْقِسْمُ الْخَامِسُ تَسْمِيَّتُهُ بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ ، كَتَسْمِيَّتِهِمُ الْإِعْتِقَادَ قَوْلًا ، نَحْوَ قَوْلِهِمْ : هَذَا يَقُولُ بِقَوْلِ الشَّافِعِيِّ ، أَيْ يَعْتَقِدُ اعْتِقَادَهُ .

قَالَ : وَهَذَا الْقِسْمُ يَدْخُلُ فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ أَيْضًا ، لِأَنَّهُ الْإِعْتِقَادُ وَالْقَوْلُ مَنَاسِبَةٌ كَالْمَنَاسِبَةِ بَيْنَ السَّبَبِ وَالْمُسَبَّبِ ، وَالْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ^(١) .

أَقُولُ : إِنْ كَانَ يَعْنِي بِهَذِهِ الْمَنَاسِبَةِ الْإِشْتِرَاكَ فِي صِفَةٍ خَاصَةٍ ، كَإِشْتِرَاكِ الشُّجَاعِ وَالْأَسَدِ فِي الشُّجَاعَةِ ، فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، لِأَنَّهُ الْإِعْتِقَادُ الْقَلْبِيُّ مِثْلُ هَذِهِ الْمَشَارَكَةِ ، وَإِنْ أَرَادَ مَنَاسِبَةً أَعْمَ مِنْ هَذَا أَيْ بَيْنَهُمَا عِلَاقَةٌ وَارْتِبَاطٌ ، وَهُوَ الَّذِي أَرَادَهُ ، لِأَنَّهُ مِثْلُهُ بِمَنَاسِبَةِ السَّبَبِ لِلْمُسَبَّبِ ، فَهَذَا مُسَلَّمٌ . وَلَكِنْ نَحْنُ لَمْ نَسْمَعْ أَنَّ بَيْنَ الْمَجَارِ وَبَيْنَ مَوْضُوعِهِ الْأَصْلِيَّ مَنَاسِبَةً فِي الْجَمْعَةِ ، وَكَيْفَ نَمْنَعُ ذَلِكَ ، وَلَوْلَا الْمَنَاسِبَةُ لَمْ يَكُنْ مَجَازًا ؟ .

فَإِنْ كَانَ يَحَاوِلُ أَنْ يَرُدَّ الْأَقْسَامَ كُلَّهَا إِلَى قِسْمٍ وَاحِدٍ لِأَجْلِ أَنَّ الْأَقْسَامَ تَشْتَرِكُ فِي أَنَّ بَيْنَ الْمَقُولِ إِلَيْهِ وَالْمَنْقُولِ عَنْهُ مَنَاسِبَةٌ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ مُرَادَ الْأَصُولِيِّينَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَمَا هُوَ إِلَّا مِثْلُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ : لَا تَقْسِّمُوا الْحُكْمَ إِلَى وَاجِبٍ وَتَنْدُبٍ وَمَحْظُورٍ وَمَكْرُوهٍ ، لِأَنَّ هَذِهِ الْأَقْسَامَ قَدْ

(١) الْمَثَلُ السَّائِرُ ٩٥/٢ .

اشتركت في أنها اقتضاء أمرٍ من المكلف . فالواجب ما اقتضى فعله ،
لابد منه ، والحرام ما اقتضى تركه ، لابد منه ، والتدب ما اقتضى فعله
مع تجويز تركه ، والمكروه ما اقتضى تركه مع تجويز فعله ، فهل يجوز
لقائل : لما كان الاقتضاء يعُمُّ هذه الأقسام ، وتباين خصوصيتها ،
فلا تفصلوها ، ولا تجعلوها أقساماً متعددة ؟ .

قال المصنف : « والقسم السادس تسمية الشيء باسم مكانه ، كقولهم
المطر سماء ، لأنه ينزل منها . قال : وهذا القسم أيضاً داخل في الأول
للمناسبة بين المنقول والمنقول إليه . قال : على أن تسمية المطر سماء يغلب
على الظن أنه حقيقةٌ وليس بمجاز » (١) .

أقول : قد بينّا أنه لابد من مناسبة ما ، ولكن هذا القسم ليس بداخل
في القسم الأول ، لأن مناسبة القسم الأول هي المشابهة ، كالخمار والبليد ،
والأسد والشجاع ، ولا مشابهة بين المطر والفلك ، فإنه توهم أنه لأجل
العلو ، فالمطر الذي يمحث في الأرض أياماً يُسمّى سماء ، قالوا :
ما زلت أظأ السماء حتى جئتك . ونحن قد بينّا لم سمّوا المطر سماء . وأما
قوله إنه حقيقة فيه فريبٌ ، ولا يبعد أيضاً ذلك عندي .

قال المصنف : « والقسم السابع تسميتهم الشيء باسم ما يجاوره ، كقولهم
للمزادة راوية ، وإنما الراوية الحمل الذي يحملها . قال : وهذا القسم
من باب التوسّع لا من باب التشبيه ، ولا من باب الاستعارة ، لأن

على قياسه ينبغي أن يُسمَّى الحمل زاملة ، [لأنه يحملها] ^(١) .

أقول : إنا قد استظرنا اعترافه أن هذا القسم خارجٌ عن الأول ، فعَجِبْنَا منه كيف لم يُعِدْهُ إليه بأمرٍ مَّا يتعلق به ، مِثْلُ أن يقول إن الزادة يُنْتَفَعُ بها ، والبعر يُنْتَفَعُ به ، فتَشَابَهًا في عموم الانتفاع بهما ، ونحو ذلك من التعلقات الضعيفة التي جَرَّتْ عادته أن يَتَمَسَّكَ بها ؟ .

واعلم أن من الأصوليين مَنْ جعل هذا القسم مُفْرَدًا برأسه : وقال إن المجاورةَ علاقةٌ ما بين المتجاوِرَيْنِ ، فنُقِلَ بطريقها اسمُ المجاور إلى صاحبه ، وهؤلاء يلزمهم قوله : فهلا سَمَّوْا الحملَ مزادةً لأنه يحملها ؟ . لأن استعمال اللفظ في معناه المجازيُّ عنده لا يؤخذ قياساً في كل موضع ، ألا يَرَى أنهم يُطْلِقُونَ السَّخْلَةَ على الرجل الطويل ، ولا يطلقونها على غيره من الطَّوَالِ ؟ ولأنه لو كَفَى في استعمال اللفظ المجازي مُجَرَّدُ علاقةٍ وِصْلَةٍ كيف كانت اقلوا للأبخر أسد ، لأن الأسد أبخر ، فلمَّا لَمْ يقولوا ذلك علمنا أن هذا أمر لا يَطْرُدُ ، وأيضاً فإن هذا الرجل يَلْزَمُهُ ما ألزمهم ، لأنه إن كان يلزمهم لَمَّا قالوا إن هذا المجاز لأجل المجاورة أن يُسمَّى الحمل زاملةً أيضاً على طريق الاتساع .

ومن الأصوليين من جعل هذا القسم من أقسام المجاز بسبب العلة القابلة ، وقال : إنه بمنزلة تسمية الشراب كأساً ، لأن الكأسَ قابلٌ للشراب .

قال المصنف : « القسم الثامن تسمية الشيء باسم جزئه ، كقولهم : أبعد الله وجهه ، وإنما يريدون سائر جُثَّتِهِ .

(١) المثل السائر ٩٦/٢ وما بين القوسين زيادة من المثل السائر .

قال : وهذا القسم داخلٌ في القسم الأول ، وهو تسميةُ الشيء باسم فَرَعِهِ ^(١) .

أقول : قد بيَّنا أنه لا يَدْخُلُ هذا وأمثاله في القسم الأول بوجه من الوجوه أصلاً .

وقد قال الأصوليون إنه قد يُسَمَّى الجزء باسم الكل ، كإطلاقِ اللفظِ العام ، مع أن المراد الخصوصُ ، نحو قوله تعالى : (اقتلوا المشركين) ^(٢) والمراد بعضهم ، وقد يُسَمَّى الكل باسم الجزء ، كما يقال الزنجي أسود ، والمراد أسودُ البشرة ، لكن المجاز الأولَ أدخلُ في باب المجاز وأولى من الثاني ، لأن الجزء يلزم الكل ، وأما الكل فلا يلزم الجزء .

— ٧٧ —

قال المصنف : « والقسمُ التاسعُ تسميةُ الشيء باسم ضِدِّهِ ، كقولهم جَوْنٌ للأبيض ، وهو اسمٌ للأسود ، قال : وهذا ليس من المجاز ، بل هو حقيقةٌ في الموضعَيْن ، مثل شِمْتُ السيفَ إذا أغمدتهُ وسللته ^(٣) .

أقول : إن تسمية الشيء باسم ضده قد ذكره الأصوليون ، وقالوا إنه كقولهم تعالى : (وجزاء سيئةً سيئةً مِثْلُهَا) ^(٤) وقوله : (فمن اعتدى عليكم فاعْتَدُوا عليه بِمِثْلِ ما اعتدى عليكم) ^(٥) . وما رأيناهم ذكروا

(١) المثل السائر ٩٦/٢ .

(٢) سورة التوبة : الآية (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) .

(٣) المثل السائر ٩٦/٢ قال ابن الأثير : لأن من الأسماء المشتركة ، كقولهم شمت السيف

إذا سللته ، وشمته إذا أغمدته ، فدل النشم على الضدين معاً بالوضع الحقيقي .

(٤) سورة الشورى : الآية ٤٠ .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٩٤ .

هذا المثال الذي حكاه ، ولا يبعد عندي أن يكون ما اعتَرَضَ به عليه صحيحاً ، فإن أكثر أهل اللغة قالوا إن الجَوْن من الأضداد ، وليس إفسادُ المثالِ مُوجِباً لإفسادِ المِثْلِ عليه ، ومن الناس من جعل قوله تعالى : (جزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها) من باب المجاز لا التشبيه ، وهو الذي يسمى استعارة ، وهو القسمُ الأولُ الذي حاول هذا الرجل أن يُعيدَ إليه أكثر هذه الأقسام . وقالوا : إن جزاء السيئة يشبه السيئة في كونها سيئةً بالنسبة إلى من وَصَلَ ذلك الجزاء إليه ، ولبت هذا الرجل لما حاول أن يعيد الأقسام إلى القسم الأول بَيِّنُهُ في هذا القسم ، فهذه المشابهة أوردتها ، فكان يأتي بشيء له ذوقٌ .

قال المصنف : « والقسم العاشر تسميةُ الشيء بِفَعْلِهِ ، كسمية الخمر مُسْكراً . قال : وهذا القسم داخلٌ في القسم الأول ، وأي مشاركةٍ أقربُ من هذه المشاركة ؟ فإن الإسكار صفةٌ لازمةٌ للخمر ، وليست الشجاعةُ صفةً لازمةً لزيد ، لأنه يمكن أن يكون زيدٌ ولا شجاعة ، ولا يمكن أن يكون خمر ولا إسكار ، ألا ترى أنها لم تُسمَّ خمرأً إلا لإسكارها ، فلئنا نخمِّرُ العقلَ أي تَسْمُرُهُ » (١) .

أقول : إن هذا الرجل لم يَعْلَمْ المرادَ بهذا القِسْمِ ، فإن السكر هو الفاعل ، من أَسْكَرَ يَسْكُرُ ، فهو مُسْكِرٌ ، كالضارب فاعل من ضرب يضرب فهو ضارب ، ولا يكون الإنسان ضارباً إلا إذا ضرب ، وأما قَبْلُ وقوع الضرب منه وبعد انقضاء الضرب لا يكون حقيقة ، لأنه ليس في تلك الحال بضارب ، والقوم قالوا : إن الخمر تُسمَّى مسكراً قبل أن تُشْرَبَ (٢)

(١) المثل السائر ٩٧/٢ .

(٢) في الأصل « قبل أن لا تشرب » والصواب ما ذكرناه ليستقيم المعنى .

وَتُسَكِّرَ شاربها ، فقد سَمَّوا الشيء بما من شأنه أن يَفْعَله ، وبأثره قَبْلَ أن يفعله ويؤثره ، وهذا هو المجاز ، وليس يَصْلُحُ أن يُجَابَ عن هذا بما ذكره من قوله هذا داخلٌ في القسم الأول ، وأي مشاركة أقرب من هذه المشاركة ، لأن الإسكار ليس صفةً لازمةً للخمر ، وإنما الصفة اللازمة لها القوة على الإسكار .

والقوم ما قالوا إن المجاز في قولنا الخمر قوية على الإسكار ، بل في قولنا الخمر مسكرة ، وبهذا بَطُلَ قوله لا يمكن أن يكون خمرٌ ولا إسكار ، وقد يمكن أن يكون زيد ولا شجاعة ، فإنه ظن أن الإسكار الذي يريدونه ها هنا هو الإسكار بالقوة ، وليس هو مُرادهم ، بل مرادهم الإسكار بالفعل ، وباعتباره جعلوا قولنا الخمرة مسكرة مجازاً .

ومما يوضح غلطه في هذا الموضع أنه لو كان الإسكارُ صفةً لازمةً للخمر ، ولا توجد خمرٌ إلا وهي مسكرة على الوجه الذي قاله وادّعاها ، لكان إطلاق لفظة المسكر على الخمر حقيقةً ، كإطلاق لفظة اللَّيْث على الأسد ، فكيف يكون هذا القسم داخلًا في القسم الأول ، كقولنا للشجاع أسد ، وللبليد حمار ؟ وأين المائلة بين هذا المَوْضِع وبين ذلك القسم ؟ فإن ذلك القسم عبارةٌ عن شيئين تشابها في صفةٍ خاصةٍ بأحدهما ، فنقل اسمه إلى ماشابه ، وليست الخمر مشاركةً في شيء آخر يسمّى مسكرًا في معنى الإسكار ، فنقل اسمه إليها .

قال المصنف : «والقسم الحادي عشر تسميةُ الشيء بكُلِّه ، كقولك في جواب سائلٍ سألت : ما فعل زيد ؟ فقلت : القيامُ . فإن القيامَ جنسٌ يتناول جميعَ أنواعِهِ .

قال : وهذا القسم لا ينبغي أن يندخل في أقسام المجاز ، لأن القيامَ لزيد حقيقةً ، فإن قلتَ يشتمل على جميع أنواعه من الماضي والحاضر والمستقبل ، قلتَ فهذا من أقرب أقسامِ المجازِ مناسبةً ، لأنه إقامةُ المصدرِ مقامَ الفعلِ الماضي ، والمصدر أصلُ الفعل ، وعلى هذا فإن هذا القسم داخل في القسم الأول^(١).

أقول : إنا قد ذكرنا تسمية الجزء بالكل كيف يكون ، وضررنا لذلك مثلاً ، فأما هذا الذي ذكره فإنه شيء غلطٌ ، قاله أبو الفتح عثمان بن جني في كتاب الخصائص ، وهم فيه ، لأنه ظن أن المصدر لفظٌ يدل على أشخاص تلك الماهية ، وليس بصحيح ، بل المصدر لفظٌ يدل على مجرد الماهية ، وهو القدرُ المشترك بين الواحد والكل .

فأما الماهية من حيث هي ، فلا تستلزم الوحدة والكثرة ، لأنها لو استلزمت إحداها لما كانت مجردة من حيث هي ، وقد فرضناها كذلك ، فإذاً لا المصدر ولا الفعل المشتق من المصدر يدلان على الكثرة وعلى الوحدة ، لكن أبا الفتح ذكر مثل هذا القسم بثال مطابق فقال : أنا إذا قلت ضربتُ عمرًا ، فإني إنما ضربتُ بعضه .

فأما هذا المصنف فلم يعترض على الكلام كما ينبغي ، أما أولاً فلأنه ظن أن المصدرها هنا يقوم مقام الفعل الماضي ، وليس بصحيح ، لأنك إذا قلتَ : فعل زيد القيامَ فقد أقررت أنه صدر عنه أثرٌ مآ مفعولٌ حسب صدور الآثار عن المؤثرات ، والفعل الماضي ليس بأثر يصدر عن المؤثر ، ولا المستقبل أيضاً ، ولا الحاضر ، لأن الفعل الذي هو قسيم للاسم والحرف لو كان أثراً لمؤثرٍ لكان اسماً لا فعلاً .

وأما ثانياً فلأنه لو صح ما قاله لما كان هذا القسم داخلاً تحت القسم الأول ، لأن كونه أصلاً له لا يقتضي وقوع المشابهة بينهما ينقل اسم أحدهما للآخر ، وقد قررنا ذلك فيما تقدم .

قال المصنف : « القسم الثاني عشر الزيادة في الكلام لغير فائدة ، كقوله تعالى : (فَيَمِمْ رَحْمَةً مِنْ اللَّهِ لَئِنَّتْ لَهُمْ)^(١) معناه : فبرحمة من الله . قال : وهذا خطأ ، أما أولاً فإن المجاز هو دلالة اللفظ على غير ما وُضِعَ له في أصل اللغة . وهذه الآية دالة على الوضع اللغوي المنطوق به في أصل اللغة .

وأما ثانياً : فإن لفظة (ما) ما هنا غير خالية من المعنى ، لأنها تعطي من الفخامة والفصاحة والجزالة ما لا تعطي الآية عند فقدها ، كقول الزبائن « ولكنه شيممة ما أناس »^(٢) قال وهذا شيء لا يعرفه إلا أهله .

والغزالي معذور في ألا يعرف ذلك ، لأنه ليس من فَنِّهِ^(٣) .

أقول : إن ما قاله الغزالي وغيره في هذا الموضع مأخوذ من قول شيخنا أبي عبد الله البصري المتكلم : فإنه قال : الحقيقة ما انتظم لفظها معناها من غير زيادة ولا نقصان ولا تنقل . والمجاز ما لا ينتظم لفظه معناه إلا لزيادة ونقصان أو نقل ، كزيادة الكاف في قوله تعالى : (ليس كمثل شيء)^(٤) فإنما لو أسقطنا الكاف استقام المعنى . ومثال النقصان قوله : (واسأل

(١) سورة آل عمران : الآية ١٩٧ .

(٢) وردت هذه الجملة في كلمات لها مع جذية الأبرش ، قال ابن الأثير : معنى الكلام ولكنه شيممة أناس ، وإنما جاءت لفظة ما هنا تفخيها لشأن صاحب تلك الشيممة وتعظيمها لأمره ، ولو أسقطت لما كان للكلام هذه الفخامة والجزالة .

(٣) المثل السائر ٩٨/٢ .

(٤) سورة الشورى : الآية ١١ .

القرية (١)، فإننا إذا زدنا لفظة الأهل استقام المعنى . ومثال النقل قولنا : رأيت أسداً ، تعني به الرجل الشجاع ، فإنه منقول من السبع .

وإذا أردنا الكلام على هذا الوجه كان قوله (فيها رحمة) مجازاً ، لأنه لا ينظم اللفظ معناه إلا بحذف (ما) .

قلنا : لا نسلم أن هذا مجاز ، بل هذه دالة على الوضع اللغوي المنطوق به في أصل اللغة ، فيقال له : أما أولاً فإن القوم حَدُّوا المجاز بحديثٍ هو موجودٌ في هذا الموضع ، ولا يجوز أن يقال لمن حَدَّ أمراً بِحَدٍّ : لم قلت إن هذا هذا ؟ لأن القوم قد اختاروا أن يضعوا اللفظ المجاز لِمَا كان بهذه الصفة . والمنازعة بعد ذلك لهم منازعةٌ لفظيةٌ .

وأما ثانياً فلأن (ما) في هذا الموضع حرف ، والحروف لا يدخلها المجاز بالذات ، لأنها غير مستقلة بأنفسها بالمفهومية ، بل لابد أن تَنْصَبَ إلى شيء آخر لتحصيل الفائدة ، فإن انضمت إلى كلام يرتبط به ، ويُخِلُّ إسقاطها بالمعنى المفهوم منه فالمركبُ حقيقةٌ ، وإلا فهو مجاز .

ولا شبهة في أن (ما) في هذا الموضع ليست مرتبطة بغيرها ارتباطاً مفهوماً للمعنى المطلوب .

فأما جوابه الثاني فيلزم عليه أن يكون قوله تعالى : (واخفض لها جناح الذل) (٢) حقيقة لاتعطي من الفخامة والفصاحة ما لا تعطيه الآية عند حَدِّه . وكذلك القول في سائر المجازات .

فإن قال : إنني لم أجعل إفادة هذه اللفظة الفخامة والجزالة مُخرجةً لها

(١) سورة يوسف : الآية ٨٢ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٢٤ .

من باب المجاز ، وإنما منعتُ قول من قال إنه لا فائدة فيها أصلاً ، قيل له : فإذا اعترفت أنها من باب المجاز فقد سلّمت قول الغزالي ، فلأي معنى تَنْتَقِصُهُ ، وتقول هو معذور في ألا يعرف هذا لأنه ليس من فنه ؟ والغزالي إنما أراد بقوله إن (ما) زائدة لا معنى لها في خصوص المقصد بالآية لا غير ذلك .

قال المصنف : « القسم الثالث عشر تسمية الشيء بحُكْمِهِ ، كقوله تعالى (وامرأة مؤمنةٌ إن وهبتْ نفسها للنبي ^(١)) فسمي النكاح هبةً .
قال : وهذا القسم داخلٌ في القسم الأول ، للمشابهة بين النكاح والهبة في التمكن من الانتفاع والتصرف » ^(٢) .

أقول : إن هذا الاعتراض الذي ذكره صحيحٌ لا منازعةَ فيه ، ثم إذا نقول : إن تمثيل هذا القسم بالنكاح هبة فلم يُسمَّ الشيء بحكمه ، بل بما يفيد مثلاً حكمه ، وفرّق بين الحكم وبين المفيد لمثّل الحكم . على أن أكثر المفسرين لم يذهبوا إلى أنه سمّي النكاح هبة ، بل جعلوا لفظة الهبة حقيقةً صريحةً في هذه الواقعة .

قال المصنف : « القسم الرابع عشر النقصان الذي لا يَبْطُلُ به المعنى ، كحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، نحو قوله : (ثم يَرْمِ به برِئاً) ^(٣) »

(١) سورة الأحزاب : الآية ٥٠

(٢) المثل السائر ١٠٠/٢ .

(٣) المثل السائر ١٠٠/٢ (ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً) سورة النساء :

أي شخصاً ، وكحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، كقوله (واسأل القرية) أي أهلها .

قال : وهذا القسم داخل في القسم الأول ، لأن الصفة لازمة للموصوف .
وقوله (واسأل القرية) دلّ على الساكن بالمسكن .

قال : فهذه أقسام المجاز التي ذكرها الغزالي قد انتهت في تقسيمها ، وإنما يرجع إلى ثلاثة أقسام : التوسع ، والتشبيه ، والاستعارة ^(١) .

أقول : قد تكرر منا إيضاح غلطه في إعادة هذه الأقسام إلى القسم الأول ، الذي يتوهم عودها إليه ، لأن الصفة لو لازمت الموصوف لما كانت من باب المشابهة الموجودة في السبع والشجاع ، بل كانت باباً آخر ، وكذلك الدلالة بالمسكن على الساكن ، هي مجاز باعتبار آخر غير ذينك الاعتبارين .

وكل قسم من هذه الأقسام له خصوصية^٢ ينفرد بها ، ويمتاز عن غيره بها . ولو أن هذا الرجل يقف على التقسيمات العقلية الدقيقة في العلوم الحكمية والكلامية التي يمتاز كل قسم منها عن الآخر بما هو أدق من الشعر ، ولا يفهمه إلا الراسخون في العلم ، لكانت هذه التقسيمات في امتياز بعضها عن بعض أجلى من فلق الصبح ، لأنه ليس فيها من الغموض ما يوقع في مثل هذا الغلط .

على أنه زعم أنه قد أعادها إلى ثلاثة : وهي الاستعارة ، والتشبيه ، والتوسع . ولم يبعد منها إلى التشبيه شيئاً أيضاً ! .

(١) المثل السائر ١٠١/٢ .

قال المصنف: « ومن شرطِ بلاغَةِ التشبيه أن يُشَبَّهَ الشيء بما هو أكبرُ منه وأعظمُ ، كما قال بعضُ كتاب (١) مصر في تشبيهِ حِصْنٍ من حصون الجبال : « هامةٌ عليها من الغَيَامةِ عِمامةٌ » ، وأنملةٌ خَضَبَها الأصيل ، فكان الهلالُ منها قُلَامة » : فإنه أخطأ في قوله أنملة ، وأي مقدار للأنملة بالنسبة إلى حصن على رأس جبَلٍ ؟ قال : فإن قلت : فقد قال الله عز وجل :

(مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) (٢) فشبه نورَه بما هو دونه ، وقد قال سبحانه في القمر : (حتى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) (٣) فشبه بما هو دونه ، قلت : هذه الآية تشبيها لطيف غريب ، لأنه أراد به النبي صلى الله عليه وسلم وآله ، لأن قلبه عليه السلام وما هو عليه من الصفاء والشفافية كالزجاجة التي كأنها كوكب لصفائها وإضاءتها ، والشجرة المباركة التي لاشرقية ولا غربية هي ذات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، لأنه من أرض الحجاز التي لا تميلُ إلى المشرق ولا إلى المغرب ، وزيت هذه الزجاجة مضي من غير أن تمس نارٌ ، معناه : أن فطرته صافية من الأكدار مُنيرة من قَبْلِ مصافحة الأنوار ، فهذا هو المراد من التشبيه في هذه (الآية) .

وأما الآيةُ الثانيةُ فإنه تعالى شَبَّهَ الهلالَ بالعُرْجُونِ في نُحُولِهِ واستدارته لا في مقداره ، لأن مقدار الهلال عظيم لا نسبة للعُرْجُون إليه ، لكنه شبهه به في الهيئة والشكل (٤) .

(١) هو القاضي الفاضل رئيس ديوان الإنشاء وصاحب الطريقة الفاضلية ووزير صلاح الدين الأيوبي (توفي سنة ٥٩٦ هـ ١١٩٩ م) .

(٢) سورة النور : الآية ٣٥ .

(٣) سورة يس : الآية ٣٩ .

(٤) المثل السائر ١٣٢/٢ .

أقول: إن التشبيه يَحْسُنُ وَيَقْبَحُ باعتبار الجهة التي وقع التشبيه فيها ، فإذا شَبَّهَ العظيمُ مقداراً (بأقل منه) في المقدارية قبح ، وكانت القضيةُ كاذبةً . فإن شَبَّهَ به لا في المقدار ، بل في أمر آخر يتناسبان فيه كان حسناً ، وهذا كقوله تعالى في صفة الصحابة رضي الله عنهم : (كَزَّرَعُ أُخْرَجَ شَطْأُهُ)^(١) ، فإن عاقلاً لا يقول : هذا التشبيهُ قبيحٌ ، لأن أجسام الصحابة وجُثَّتَهُمْ أكبرُ وأعظمُ مقداراً من الزرع ، لأنه ما أراد التشبيه في المقداريةِ بل في أمرٍ آخر .

وهكذا قوله : (حتى عاد كالعُرْجُونِ القديمِ) لا يريد مقداره ، بل شكله .

وكذلك تشبيهُ الكافر بالكُتْبِ في قوله : (فمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ)^(٢) .

لا يعني الصورةَ والجنَّةَ ، بل معنى آخر ، وكذلك هذا الكاتبُ المِصْرِيُّ . والذي حمل هذا الرجلَ على أن عابه بما عاب به نفسه ، حسده له . وهو لا يعني أن الحصنَ العظيمَ على ذروة الجبل الشاهقِ كالأنملةِ في مقدارها وجُثَّتِها ، بل بيَّنه وبين الأنملةَ مشابهةً لطيفةً وهي أن الأنملةَ جسمٌ صغيرٌ نائقٌ من جسمٍ كبيرٍ وهو البدنُ ، وكذلك الحصنُ على الجبل ، وهذا هو الذي أراده الرجل ، والأمرُ فيه واضحٌ بيِّنٌ .

فأما تفسيره آية النور فظريفٌ جداً ، أما أولاً : فلائنه سبحانه لو قال : (مثل نوري كالنور الذي في قلب محمد صلى الله عليه وسلم) لكان ركيكاً .

(١) سورة الفتح : الآية ٢٩ الشطأ : فراخ الزرع أو ورقه أو ما حول أصل النبات .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٧٦ .

وأما ثانياً : فلأنه قال : (مثل نوره كشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة) فإذا كان قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الزجاجة ، ولا شبهة أن المصباح الذي فيها هو النور ، والمشكاة ما هي ؟ فقد زعم أنها ذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه قد قال إن ذات النبي هي الشجرة المباركة ، فلا يبقى للمشكاة ما تُحمَلُ عليه .

وأما ثالثاً : فإن الله تعالى وصف الشجرة بأنها زيتونة^(١) لشرقية ولا غربية ، ونرى هذا المفسر قد فسر قوله : لشرقية ولا غربية ، ولم يفسر قوله : زيتونة ، وقد كان الواجب عليه أن يفيدنا بتفسير ذلك .

وأما رابعاً : فلأن غلاة الباطنية^(٢) الذين يقولون في قوله سبحانه وتعالى : (ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدقٍ عليّاً)^(٣) المراد به علي بن أبي طالب أعذر في تأويلاتهم ، وأقرب إلى الأذهان من هذا الرجل .

وأما خامساً : فإنه لم يتفصل من السؤال ، لأنه لو سلّم له جميع ما ذكره ، أليس قد شبه الله تعالى نوره بنور محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ونور محمد دون نور الله تعالى لأنه مستفاد من نوره ، وما يستفاد من أصل يكون دون الأصل المستفاد منه ، وقد توجه الإشكال .

قال المصنف : فأما التجريد فهو إخلاص الخطاب لغيرك ، وأنت تريد به نفسك .

(١) الباطنية أشهر ألقاب الإسماعيلية ، وهم الذين يثبتون الإمامة لإسماعيل بن جعفر ، وقد خلط القدماء منهم كلامهم ببعض كلام الفلاسفة ، وصنفوا كتبهم على هذا المنهج ، ولم أراء غربية ذكر الشهرستاني طرفاً منها (الملل والنحل ١/١٧٢) .
(٢) سورة مريم : الآية ٥٠ .

قال : وهو نوعان : تجريدٌ بمعنى التَّوَسُّعُ فقط ، وتجريدٌ حقيقةٌ .
فأما التجريد بمعنى التوسع ، فكقول الصَّمَّةِ القُشَيْرِيِّ :

حَنَنْتُ إِلَى رَبِّئَا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارَكَ مِنْ رَبِّئَا وَشَعْبَا كَمَا مَعَا
فإنه قال بعد أبيات :

وأذكر أيامَ الْحَمَى ثم أنشيتي على كبدي من حرِّه أنْ تَقَطَّعَا^(١)
فانتقل إلى ذكر نفسه ، ولو لم يَقُلْ « وأذكر أيام الحمى » لقضينا عليه
بأنه تجريد حقيقةٌ .

ومثال التجريد الحقيقي قولُ الْحَيْصِ بَيْصَ :
إلام يراك المَجْدُ في زِيٍّ شاعرٍ وقد نَحَلْتُ شوقاً فروعُ المتأبرِ
فإنه لم ينتقل إلى هذا بعد ذكر نفسه ، بل استمر على التجريد ، لأنه قال
بعد هذا البيت :

كَنَمْتُ بَعِيْبَ الشَّعْرِ عَلِيْماً وَحَكْماً بِيَعْضِهِمَا يَنْقَادُ صَعْبُ الْمَفَاخِرِ
أَمَّا وَأَبِيكَ الْخَيْرِ إِنَّكَ فَارِسُ الْمَقْسَالِ وَمُحْيِي الدَّرَاسَاتِ الْغَوَابِرِ
وإِنَّكَ أَعْيَيْتَ الْمَسَامِعَ وَالنُّهَى بقولك عَمَّا في بُطُونِ الدَّفَاتِرِ^(٢)
أقول : إنه قد انتقل بعد هذا إلى ذكر نفسه ، فعدل عن كاف الخطاب ،
إلى باء الضمير ، إلى تاء المتكلم ، فقال :

تَطَاوَلَ لَيْلِي مَا أَرَى ذَا نَبَاهَةِ يُعْجَلِي دُجَى ظِلْمَائِهِ عَنْ خَوَاطِرِي
سَهَرْتُ لِبَرْقٍ مِنْ دِيَارِ رَبِيعَةٍ وَلَمْ أَكُ لِلْبَرْقِ اللَّامُوعِ بِسَاهِرِ

(١) البيت في المثل السائر وفي ديوان الحماسة (عل كبدي من خشية أن تصدعا) .

(٢) المثل السائر ١٧١/٣ .

قال : كأن الصِّمة القشيري في شعره لم يأت بالتجريد الحقيقي ، لعمودِه
بعد أبيات عن كاف الخطاب ، فالحيصَ بيصَ مثله .

قال المصنف : «وقد قال أبو علي الفارسي رحمه الله إن العرب كانت
تعتقد في الإنسان معنى كامناً فيه ، كأنه حقيقة ومحصولة ، فتُخرجُ ذلك
المعنى إلى ألفاظها مُجرّداً من الإنسان ، كأنه غيره ، وهو هو بعينه ، نحو
قولهم : لئن لقيت فلاناً لتلقين منه الأسد ، ولئن سألته لتسألن منه
البحر ، وهو بعينه الأسد والبحر ، لا أن هناك شيئاً منفصلاً عنه ومتميزاً منه.
وهذا ليس بتجريد ، بل هو تشبيهٌ مُضمّرُ الأداة ، وتقديره لتسألن
منه كالبحر ، ولتلقين منه كالأسد ، وليس هو من التجريد المشار إليه
في الأبيات الشعرية ، ولا حقيقة التجريد موجودة فيه »^(١) .

أقول : إن الحد الذي حدّد هذا الرجل التجريدَ به لم يأت فيه نصٌّ من
كتاب الله تعالى ، ولا ورد عن رسول الله ، وإنما هو حدّد اختاره هو ،
وفسر التجريد به ، فإنه حَجَرَ على أبي علي رحمه الله أن يجعل التجريد
شيئاً آخر . ومعلوم أن هذه الاصطلاحات والمواصفات موكولة إلى آراء
العقلاء واختياراتهم ، فأبو علي رحمه الله قد اختار أن يُسمّى قولهم « إذا
سألت زيدا سألت منه البحر » تجريداً ، وقد شرح ذلك وأوضحه بقوله : إن
ظاهر هذه اللفظة أن المسئول غير زيد ، لأن ألفاظها تقتضي ذلك ، ألا ترى
أنك تقول : صحبتُ زيدا فاقبستُ منه العلم ، وقتلتُ فلاناً فأخذت منه السِّلَب
فيقتضي ظاهره بأن العلم غير المصحوب ، وأن السِّلَب غير المقتول ،

(١) المثل السائر ١٧٢/٢ وفي كلام ابن أبي الحديد زيادة لا تخل بالمدعى ، ليست في المثل السائر

فهكذا يقتضي ظاهر قوله سألته فسألت : منه البحر ، أن البحر غيره .
فأبو علي رحمه الله سمّاه تجريداً ، وهو غير مانع لك من اصطلاحك
ولا مُشاحٍ لك في حدّك الذي ذكرته للتجريد ، فكذاك أنت لا تجوّر
ولا تضايقه في اصطلاحه وتجريده .

قال المصنف : « وأيضاً فهذا ينتقض بقول العرب : لئن رأيت الأسد
لتريّن منه هَضْبَةً ، ولئن لقيتته لتلقين منه الموت . فأبي معنى لتخصيص
أبي علي ذلك بالإنسان ؟ مع أن العرب تستعمل هذا اللفظ في الإنسان وغيره »^(١) .
أقول : إن أبا علي لم يرد أن هذا الاستعمال مقصور على الإنسان فقط ،
ولا صرح بذلك ، ولا كتى عنه ، ولا هو مفهوم من فتحوى قوله : إن
العرب تعتقد في الإنسان معنى كامناً فيه لا يدل على نفى الحكم عما
عداه ، وإنما مثّل بالإنسان ، لأنه أشهر ، ولأن استعماله فيه ودورانه
على ألسنتهم وفي ألفاظهم أكثر .

قال المصنف : « وقد سبق القول بأن التجريد هو أن تُطلق الخطاب
على غيرك ولا يكون هو المراد ، بل المراد شيئاً آخر ، وهذا لا يوجد في هذا
الموضع ، لأن قوله : إن لقيتته لتلقين منه الأسد ، لم يُجرّد عن المتقول
عنه شيئاً ، وإنما شبه بالأسد في شجاعته ، وأداة التشبيه مضمرة ،
وما أعلم كيف ذهب هذا عن أبي علي رضي الله تعالى عنه »^(٢) .

(١) المثل السائر ١٧٥/٢ .

(٢) المثل السائر ١٧٥/٢ .

أقول : قد بَيَّنَّا أن المنازعةَ في هذا الموضعَ لفظيةٌ لا طائِلَ تحتها ، ولو أن أبا علي رضي الله تعالى عنه اختار أن يسمي الحجاز تجريداً بمعنى أنه لفظ قد جُرِّدَ عن موضوعه الأول ، أي خُلِعَ عنه ، وجُعِلَ لغیره ، واصطلاح هو ونفسه ، أو هو وأصحابه على ذلك ، هل كان لنا أن نخاصمهم ، وننازعهم ، ونقول لهم قد أخطأتم في هذا الاصطلاح وهذه المواضع ؟ وهل المعاني تَسْتَحِقُّ الأسماءَ المخصوصةَ لذاتها حتى يكون الإنسانُ مخطئاً إذا وُضِعَ لفظاً مخصوصاً لمعنى مخصوص ؟ وقد فسرنا نحن قول أبي علي رضي الله عنه ، والمقصد الذي قصده .

قال المصنف : «وقول أبي علي : إن العربَ تعتقد أن في الإنسان معنى كامناً فيه كأنه حقيقته ومحصوله ، فغير العرب أيضاً تعتقد ذلك . فإن عَتَى بالمعنى الكامِنِ معنى الإنسانيةِ ، وهو الاستعداد للعلوم والصنائع ، فكلُّ أحدٍ يَعْرِفُ ذلك ، ولا خصوصيةَ للعرب فيه . وإن عَتَى بالمعنى الكامِنِ الأخلاقَ كالشجاعة والسخاء ، فليس هذا مختصاً بالإنسان ، بل جميعُ الحيواناتِ يُوْجَدُ فيها ذلك ، كالشجاعة في الأسد ، والسخاء في الدِّيك ، وما أعلم ما أراد أبو علي بهذا الكلام .

على أن هذا القِسْمَ الأخيرَ ليس عبارةً عن حقيقة الإنسان ، فإنه لا يقال في حَدِّه حيوانٌ شجاعٌ ، ولا حيوانٌ سخيٌّ ، بل حيوانٌ ناطقٌ ، فقد أخطأ أبو علي من وجهتين : أحدها أنه جعل حقيقة الإنسان عبارةً عن خُلُقِهِ ، والثاني أنه أدخل في التجريد ما ليس منه » (١) .

أقول : إن أبا علي رضي الله عنه لا يَلْتَزِمُهُ تفسيرُ ما كانت العربُ

(١) المثل السائر ١٧٦/٢ .

تَتَحِيلُهُ وتَوَهَّمُهُ في الإنسان ، ولا هذا من وظيفته ، ولكن أبا علي قال
 إنما وجدنا العرب الذين صناعتنا البحث عن مجاري كلامهم يُخَاطِبُونَ
 في الشعر أنفسهم ، فيقولون : قلت لقلبي ، وقال لي ، وقلت لنفسي ،
 وقالت لي ، ويقولون : سألت منه لما سأله البحر ، فيأتون بلفظة منه ،
 كما يأتون بها في قولهم غَصَبْتُ منه السَّيْفَ ، وأخذتُ منه الثوب ، فيفيد
 ظاهر كلامهم أن المسئولَ منه غيره ، كما أن المنصوب منه غيره ، أفادنا
 إكثارهم من هذا وتكرارهم لاستعماله أنهم يتوهمون أن في هذه البنيةِ
 المشاهدةِ أمراً كامناً ، هو محصول الإنسان ، وهذا الهيكلُ الظاهرُ هو
 كالقالبِ لذلك المعنى ، وكالقِشْرِ لذلك اللَّبِّ ، ومن الجائز أن يكون هذا
 المعنى الباطنُ غَيْرَ القسمين اللذين قد ذكرهما المصنف ، وهما مُجَرَّدُ
 الاستعدادِ للعلوم والحُلُقُ فلينظر في تقيضٍ ، خصوصاً ومذاهب العقلاء
 في هذا الموضع كثيرة جداً ، وكلها خارجة عن هذين القسمين اللذين قد
 ظنَّ هذا الرجل أنه لا يمكن تفسيرُ ما تَوَهَّمَهُ العربُ إلا بواحد منهما ،
 ثم يقال له : لم لا تفسر قول أبي علي رحمه الله بالوجه الأول وهو قولك : إن
 غير العرب أيضاً تعتقد ذلك ، فيقال لك إن أبا علي ما قال إنه لا يعتقد ذلك
 أحدٌ من الأمم إلا العرب خاصةً ، وإنما كانت صناعتهُ البَحْثُ عن مجاري
 كلام العرب ، وقال إنهم لا يعتقدون كذا وكذا ، لأنه لا يَسْتَظَرُّ في لغة
 أمة أخرى غير العرب ، وإنما كتبهُ وتصانيفهُ مقصورةٌ على البحث عن
 لغاتهم خاصةً ، فلا يدل كلامه على نفي هذا الحكم عن غير العرب .

وأيضاً فلو قَسَّرَ قوله بالتفسير الثاني — وإن كنا نعلم أنه رحمه الله لم
 يُرِدْهُ — لما تَوَجَّهَ عليه ما اعْتَرَضَ به ، لأنه لم يُقَرِّدْ الإنسانَ خاصةً
 من دون سائرِ الحيوانِ بهذا الحكم ، وإنما ضربه مثلاً ، لأنه النوع الأعرَفُ

ومن العجب قوله : ولا أعرف ما أَراده أبو علي بقوله : إنهم يتوهمون في الإنسان معنى كامناً هو حقيقته ومحصوله ، إلا أن يكون أحدَ هذين القسمين اللذين أشرتُ إليهما .

ولا شبهة أن هذا الرجل ما وقفَ على أقوال العقلاء في هذا الموضع ، فإن مذاهبهم كثيرة ، وكل منهم يذهب إلى أن حقيقةَ الإنسان ومحصولَه أمرٌ وراءَ هذا البينيةِ المشاهدةِ ، ولم يذهبْ منهم ذاهبٌ إلى أحدِ هذين القسمين اللذين قد توهمَ هذا الرجلُ أنه لا يمكن المصير إلى غيرها .

فأما قوله : إن أبا علي رضي الله عنه أخطأ حيث جعل حقيقةَ الإنسان عبارةً عن الخُلُق ، فإن أبا علي رضي الله عنه أخطأ ، وقال هذا الكلام لا عن نفسه ولا عن غيره ، أما أنه لم يَقُلْهُ عن نفسه فمعلومٌ ، وأما أنه لم يقله عن غيره فلائنه قال عن العرب إنهم اعتقدوا أن في الإنسان معنىً كامناً كأنه حقيقته ومحصوله ، فصَرَّحَ بأداة التشبيه وهي كأن ، وما قال عنهم إنهم قالوا إن ذلك المعنى هو حقيقة الإنسان ، ليقول لهم ذلك المعنى وهو خُلُقُه ، وخُلُقُه غير داخل في حدِّه وحقيقته .

وينبغي للناس إذا حكوا شيئاً شرعوا في نَقْضِهِ أن يتأملوا ما حكوا ، ثم يَنْقُضُوا ، وبالجملة فمقام الشيخ أبي علي رضي الله عنه مقامٌ جليلٌ يقتضي أن يُحْتَرَمَ ويُبْصَنَ ، ولا يُسْتَعْمَلُ معه التَّسَرُّعُ بالتَّخْطِئَةِ والردُّ ، وإذا وُجِدَ في كلامه ما يُسْتَدْرَكُ اسْتُدْرِكَ مع استعمال الأدب .

قال المصنف في الالتفات : « هو الانتقال من خطاب الحاضر إلى الغائب وبالعكس ، وما يجري مجرى ذلك . وقال : إن الزمخشري قال : إن الرجوع (الفلك الدائر — م ١٤)

من أحدِ هذين النوعين إلى الآخر إنما استعمله العربُ تَفَنُّناً في الكلام ، وانتقالاً من أسلوب إلى أسلوب ، تَطْطِيرَةً لِسَمَاعِ السامع ، وإيقاظاً للاستماع إليه .

قال : وليس الأمر كما ذكر ، لأن هذا الكلامَ يتضمن أن السامعَ قد يَمَلُّ من أسلوب واحدٍ ، فينتقلُ إلى غيره لِيَتَنَشَّطَ المستمع للاستماع ، وهذا قدح في الكلام ، لا وَصْفٌ له ، لأنه لو كان حسناً لما مَلَّ^(١) :

أقول لكم : قلتَ إنه إذا كان حسناً لا يُمَلُّ ، وهل المَلالُ إلا من المَلذَّة ؟ ألا تراهم كيف يقولون : مَلَّ فلان التنزهَ في البستان ، ويقولون قد مَلَّيتُ من أكل الخلواء ، ومَلَّيتُ من سماع الأغاني ؟ ولأن الأشياءَ الكريهةَ المملولةَ لا يقال لها : مَلَّيتُها ، ألا تراهم يستقبحون قول من يقول : قد مَلَّ المحبوسُ من الحبس ، والمضروب من الضرب ؟ فالذي ذكره المصنف عكسُ الصحيح .

قال المصنف : «وأيضاً فلو صَحَّ ما قاله لكان الالتفات إنما يوجد في الكلام المطوَّل الذي من شأنه أن يَمَلَّه السامع لطولِهِ ، والأمر بخلاف ذلك ، لأننا قد وجدنا الالتفات في مواضع كثيرةٍ من القرآن الكريم ، ومجموع الجانبين معاً لا يبلغ عشرة ألفاظ »^(٢) .

أقول : لما كان مرادُ الواضع الإفهامَ للسامع ، وكان الإفهامُ لا يَحْصُلُ إلا بالإصغاء ، احتالَ الواضعُ لتحصيل الإصغاء بكلِّ طريقٍ ، فكان

(١) المثل السائر ١٨٢/٢ .

(٢) المثل السائر ١٨٢/٢ .

من تلك الطرق ثَقُلُ الخطاب من الحضور إلى الغيبة وبالعكس ، ليجد السامع ما يوقِظُهُ وينبهه على الاستماع . لأنه باستمرار الخطاب على نمط واحد ربما قد يُسَمَلُ ، فنُقِلَ من أسلوب الخطاب إلى أسلوب آخر مستأنفٍ لِيَطْرَأَ على ذلك السَهْوِ الذي عساه حَصَلَ فَيُزِيلَهُ ، ثم لفرط العناية بالإفهام وَقَعَ ذلك في قصير الكلام حَسَبَ وقوعه في طَوِيلِهِ ، لاني كل قصير منه ، كما أنه لم يقع في كل طويل منه ، ولكن بحسب ما تقتضيه المصلحة .

ولهذه العلة أنزل في القرآن الكريم ألفاظ وحروف غير مفهومة ، مثل «طسم» «والمص» وغيرها ، لِيُعَارِضَ المشركون فيها عند سماعها ، فيكون ذلك كالاستجرا لهم إلى سماع غيرها من الآيات المنزلة ، فلإنها إذا قرعتُ أسماعهم قرعها أمرٌ غريب تنزع النفس عند سماعه ، وتَتَشَوَّقُ إلى معرفته ، فينبعث الداعي إلى سماع ما بعدها ليفسر ما به ، كما يفسر بعض الكلام ببعض ، فتحصل الفائدة من وقوفهم على فصاحة القرآن وسِرِّ إعجازه .

ونظير اعتراض المصنف وهو قوله : لو كان هذا خوفاً للملال لكان في طويل الكلام دون قصيره ، أن يعترض هنا المثال الذي قد مثلنا به فيقال : لو كان هذا هو المراد من هذه الحروف لكانت في جميع السور بل في السورة الواحدة مراتٍ كثيرة ، لتكون أدعى للمشركين إلى تأمله . والجواب عن الموضوعين واحدٌ ، وهو أن ذلك إنما يكون بحسب ما تقتضي به المصلحة ، ولهذا كرر سبحانه (فبأي آلاء ربكما تكذبان)^(١) مراراً كثيرة في سورة واحدة ، لما كانت المصاححة تكرراره ، فال مخاطبُ أعرفُ بما يخاطبُ به ، وأدرى بما يتوصلُ به إلى اجتناء ثمرة المخاطبة ، سواء كان الباري سبحانه أو واحداً منا .

(١) سورة الرحمن .

قال المصنف : « وعلى هذا فيجب إذا وجدنا كلاماً قد استُعمِلَ فيه الإيحاءُ أو الإطناب — ولكنه لم يقع فيه الالتفات لكن كل واحدٍ من الطرفين واقعٌ موقعه — أن نقول : هذا ليس بحسنٍ إذا لم يُستَقَلَّ فيه من أسلوب إلى أسلوب ، وهذا قول فيه ما فيه ، وما أعلم كيف ذهب على مثل الرّمحشري مع معرفته بفن الفصاحة والبلاغة^(١) .

أقول : إن هذا الاعتراض من أطرف ما يُحكى ، وذلك أن الرّمحشري ما جعل حُسْنَ الكلام مقصوراً على الالتفات كالشروط التي تقدّم عند عدم شروطها ، ولكنه قال إن الالتفات مما تستعمله العرب ، ووجهُ استعمالها له أنه يَحْصُلُ منه نوعٌ تنبيهٍ ماً للسامع ، وتجديدٌ لنشاطه إلى سماع الخطاب ، فلا يلزم من ذلك أن كل خطاب لا التفات فيه فإنه لا يكون حسناً ، كما إذ قلنا إنما حَسُنَ استعمالُ المطابقةِ والتجنيسِ في الشعر لكذا وكذا ، لا يلزم منه أن يكون كل شعر لا تجنيس فيه ولا مطابقة غيرُ حسنٍ .
وغيرُ هذا الكلام أن محسنات الشعر والخطابة أمور كثيرة ، فإذا فُقدَ بعضها قام غيره مقامه ، فَحَصَلَ الحُسْنُ المطلوبُ .

لكن لو فقدت كلُّ المحسنات لَزِمَ لا محالة ألا يكون الكلامُ حسناً .
فقد بان أن هذا الموضع ما ذَهَبَ على الرّمحشري ، وإنما ذهب على من اعترضه .

ثم يقال له : أَلَسْتَ الْقَائِلَ : قد يُعَدَّلُ عن لفظة الغيبة إلى لفظة الحضور تعظيماً ، كقوله تعالى (إياك نعبد)^(٢) فإنه عَدَلَ عن لفظ الغيبة ،

وهو قوله (الحمد لله رب العالمين) لأن العبادة أعظم من الحمد ، فجعل العبادة بكاف الخطاب لعظم شأنها ، وكاف الخطاب أَصْرَحُ وأدَلُّ من هاء الغيبة ، فجعل الأعظم للأعظم ، فيقال لك : فقد قال سبحانه في موضع آخر (واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون)^(١) فيجب أن تكون هذه الآية غيرَ حسنةٍ لفَقْدِ المعنى الذي ذكرته ، كما قلت : إنه لو كان الالتفات حسناً كما قاله الزمخشري لوجب أن يكون كلُّ خطابٍ واقع موقعه ، والالتفاتُ فيه غيرُ حَسَنٍ ، فكل ما يجب به فهو جوابُ الزمخشري .

قال المصنف : « وقد يؤكدُ الضميرُ المتَّصلُ ، كقوله تعالى : (لا تخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى^(٢)) وقد يؤكد الضمير المنفصل بالمنفصل : وذلك مثل قول أبي تمام :

لا أَنْتَ أَنْتَ ولا الدِّيارُ ديارُ خَفَّ الهَوَى وتولَّتِ الأوطارُ

ومثل قول المتنبي :

قبيلٌ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ وَجَدْتُكَ جَدُّكَ الْمَلِكُ الْهَامُ^(٣)

أقول : إن هذين البيتين لا يَصْلُحُ أن يُمَثَّلَ بهما على تأكيد الضمائر ، وذلك أن التوكيد ما لو حَذَفَ وبقي المؤكَّد يَبْقَى اللفظ دالاً على المعنى ، إلا أنه غير مؤكَّد له كالأية التي استشهد بها ، فإنه لو حذفَ أَنْتَ لَبَقِيَ «إِنَّكَ الْأَعْلَى» ، وهو كلام مفيد للمعنى ، إلا أنه غير مؤكَّد .

(١) سورة النكبات : الآية ١٧ .

(٢) سورة طه : الآية ٦٨ .

(٣) رواية الديوان والمثل السائر (وجدك بشر) المثل السائر ٢٠٨/٢ .

وكقوله تعالى : (إنك أنت علام الغيوب)^(١) وكقوله : (إِمَّا أَنْ تُلْقِيَّ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقَيْنِ)^(٢) ولو حُذِفَ أَنْتُ الثَّانِيَةُ مِنْ بَيْتِ أَبِي تَمَامٍ أَوْ مِنْ بَيْتِ الْمُتَنَبِّي لَخَرَجَ الْكَلَامُ عَنِ الْإِفَادَةِ أَصْلًا . وَكَيْفَ يَفِيدُ وَهُوَ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ ، وَقَدْ حُذِفَ الْخَبَرُ ؟ وَمَرَادُ أَبِي تَمَامٍ لَسْتُ أَبْتَهَا الْمَرْأَةُ كَمَا كُنْتُ أَعْهَدُ ، وَلَا الدِّيَارُ كَمَا كُنْتُ أَعْهَدُ ، وَلَوْ كَانَ قَوْلُهُ : لَا أَنْتُ أَنْتُ مِنْ بَابِ التَّوَكُّيدِ لَكَانَ قَوْلُهُ : وَلَا الدِّيَارُ دِيَارٍ مِنْ بَابِ التَّوَكُّيدِ .

وكذلك قول القائل :

فَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذِينَ عَاهَدْتَهُمْ . وَلَا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتُ أَعْرِفُ
وَفِي ذَلِكَ امْتِرَاجُ أَبْوَابِ الْبَيَانِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، وَهُوَ غَيْرُ جَائِزٍ .
وَمَرَادُ الْمُتَنَبِّي بِقَوْلِهِ : أَنْتُ أَيُّ أَنْتُ الْمَشْهُورِ الَّذِي يُسْتَعْنَى عَنْ شَرْحِ
صِفَاتِهِ وَمِمَّا دَحَاهُ ، كَمَا يَقُولُ : قَدْ قَتَلَ زَيْدٌ بِيَدِهِ أَسَدًا وَالْأَسَدُ الْأَسَدُ .
وَكَقَوْلِ الرَّاجِزِ :

• أَنَا أَبُو النِّجْمِ وَشَعْرِي شَعْرِي •

وَهَذَا مَعْنَى آخَرَ غَيْرِ التَّوَكُّيدِ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ اشْتَبَهَ عَلَى هَذَا الْمُصَنِّفِ لَامِحَالَةٌ .

قَالَ الْمُصَنِّفُ : « وَمِثَالُ تَأْكِيدِ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ بِالْمُتَّصِلِ قَوْلُهُ تَعَالَى :
(أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) ثُمَّ شَرَعَ يَبِينُ لِمَاذَا قَالَ «لَكَ»
هَاهُنَا ، وَقَالَ مِنْ قَبْلِ (أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ) وَلَمْ يَقُلْ «لَكَ» فِي خَرَقِ السَّفِينَةِ »^(٣) .
أَقُولُ : أَمَّا قَوْلُهُ «لَكَ» فَوَجْهُهُ مَشْهُورٌ قَدْ قَالَهُ النَّاسُ مِنْ قَبْلِ ، وَذَكَرَهُ
مَنْ يَتَعَاطَى اسْتِخْرَاجَ اللَّفَاقِ وَالْمَعَانِي الْغَامِضَةِ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَلَيْسَ

(١) سورة المائدة : الآية ١١٦ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١١٥ .

(٣) المثل السائر ٢/٢٠٤ .

غرضنا الآن عن البحث في صحة ذلك وفساده ، ولكن تمثيله بهذه الآية على تأكيد الضمير المتصل ليس من هذا الباب أصلاً ، وإنما عدّى الفعل منها إلى المفعول بحرف الجر لا غير ، ولو كان هذا تأكيداً للضمير لكان قولنا: مررت بزيد تأكيداً للضمير ، وهذا مالا يقوله أحدٌ .

وكيف يتَوَهَّمُ أن قوله «لك» تأكيد للضمير في قوله «إنك» ، وأين أحدهما من الآخر ؟ نعم لو قال سبحانه «ألم أقل أنا لك» كان قوله «أنا» تأكيداً للضمير في قوله (ألم أقل) فيكون تأكيداً للمتصل بالمنفصل لا بالمتصل .

فإن قيل: لعله لم يتكلم في التأكيد على الاصطلاح النحوي ، بل على اصطلاح آخر يرجع إلى علم البيان والبلاغة ، فلا يلزمه ما ذكرت .

قيل : لعمري إن غرضه البحث في علم البيان ، ولكنه لم يخرج هذا الفصل والكلام فيه إلا على الاصطلاح النحوي ، فلما أراد أن يطبق الآيات والأشعار عليها وقع في الغلط كما رأيت .

قال المصنف في باب العام والخاص إنه تعالى قال : (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ) ولم يقل بضوئهم ، لأن الضوء نورٌ وزيادة .

فلو قال بضوئهم لكان المعنى يُعْطِي ذهابَ تلك الزيادة ، وبقاء ما يسمى نوراً ، لأن الإضاءة هي فَرَطُ الإنارة ، ولذلك قال تعالى : (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً) فكل ضوء نور ، وليس كل نور ضوءاً ، فقال سبحانه (ذهب الله بنورهم) لأنه إذا أزال النور فقد أزال الضوء أصلاً^(١) .

(١) المثل السائر ٢/٢٢٩ .

أقول : إن هذا الرجل قد شحَن كتابه بأمثال هذه التَّرهاتِ ، وأطالَ فيها وأسهب ، وأعجِبَ بها ، وظنَّ أنه أتى بغريب .

وهذه المعاني قد صُنِّفَتْ فيها الكتبُ الكثيرة ، وتكلف الناس من قبله في استنباط أمثالِ هذه الوجوه الغامضة والمعاني الخفية من القرآن العزيز ، وإنه ليمَ أَى هذه اللفظة دون تلك؟ ولم قَدِّم هذا وأخَّرَ هذا ؟ وقد قيل في هذا الفن أقوالٌ طويلةٌ عريضةٌ أكثرها بارد غَثٌ ، ومنها ما يشهد العقل وقرائنُ الأحوالِ أنه مُرادٌ .

وقد ورد إلينا في مدينة السلام في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة رجلٌ من وراء النهر كان يتعاطى هذا ، ويحاول إظهار وجوهٍ نظريَّةٍ في هذه الأمور في جميع آيات الكتاب العزيز ، نحو أن يقول في قوله تعالى : (ما يأتيهم مِنْ ذِكْرٍ من ربهم يُخَدِّثُ إِلَّا أَسْمَعُوهُ وهم يلعبون)^(١) .

ثم قال : لم قال (ما) ولم يقل (لا)؟ ولم قال (يأتيهم) ولم يقل (يجيئهم)؟ ، ولم قال (من ذكر) ولم يقل (من كتاب)؟ ولم قال (من ربهم) ولم يقل (من إلههم)؟ . ولأَيِّ حال قال في موضع آخر (من الرحمن)؟ وما وجه المناسبة في تلك الآية في لفظها وسياقة كلامها وبين لفظة الرحمن؟ وما وجه المناسبة بين هذه الآية وسياقها؟ وبين لفظة ربهم؟ .

وعلى هذا القياس .

وكذلك كان يتكلف تعليل كلِّ ما في القرآن من الحروف التي تَسْقُطُ في موضعٍ وتَبُتُّ في موضع ، نحو قوله تعالى : (أو لم يروا إلى الطير

(١) سورة الأنبياء : الآية ٢ .

فوقهم) ^(١) وقوله : (أَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ) ^(٢) لم أثبت الواو هناك ، وأسقطها ها هنا ، ونحو قوله : (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى) ^(٣) وقوله : (وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ) لم فكَّ الإدغام في موضع ولم يَفُكَّهُ في موضع آخر ؟ .

كنا نَعَجَّبُ منه ونستظرفه ، حتى وصل إلينا هذا الكتاب ، فقلنا : إنه فوق كل ذي علم عليم .

ولو أخذنا تَنَاقُضَه في هذا لأطلنا كما أطل ، وسمَّجنا كما سمَّج .

ومنى يتسع الوقت لمناقضة هذه التكلفات القبيحة ؟ ولكننا قد نكلمه في بعض المواضع منها ، لكيلا يخلو كتابنا هذا عن مجادلته في هذا الفن بالكلية ، فنقول له : لم قلت إن الضوء نور وزيادة ؟ أمن كتب اللغة أخذت هذا ؟ أم من غيرها ؟ فقد تصفحنا كتب اللغة فلم نَجِدْ ما نُشَاهده بما ذكرت ، ولا الاصطلاح مساعداً لك في عُرْفِ الناس ومواضعاتهم .

وإذا لم يكن موجوداً في أصل اللغة ولا الاصطلاح العربي لم يَجْزُ لك أن تحمل كلام الله تعالى عليه وتفسره به .

وقد قال ابن السكيت في كتاب إصلاح المنطق - وهو عَيْنُ الكتب اللغوية ، ومصنّفه إمامُ الناس كلهم في اللغة ، ومن لا يختلف اثنان في كتبه - في باب فعل وفعل باختلاف المعنى : الثَّيْرُ عَلمُ الثوب ، والنور الضياء (فقد جعلها) ^(٤) شيئاً واحداً .

(١) سورة الملك : الآية ١٩ .

(٢) سورة النحل : الآية ٤٨ .

(٣) سورة النساء : الآية ١١٥ .

(٤) زيارة يتم بها المعنى ، ويستقيم الكلام .

وليس في قوله تعالى (وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا^(١))
ما يدل على اختلاف المعنيين ، ولا قوله : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا^(٢))
ما يدل على اختلاف المعنيين .

قال المصنف : « وإنما قال سبحانه : (ذهب الله بنورهم) ولم يقل أذهب
الله نورهم ، لأن كل من ذهب بشيء فقد أذهبه ، وليس كل من أذهبَ
شيئاً فقد ذهبَ به ، لأن قولنا « ذهب به » يُفْهَمُ منه أنه استصحبه معه ،
وأمسكه عن الرجوع إلى حالته الأولى ، وليس كذلك « أذهبه »^(٣) .

أقول : إن قوله « إن الله تعالى ذهب بنورهم » معناه : أنه استصحبه ومضى ،
كما يقول القائل : مررت بزيد وعنده سيف فذهبت به ، أي أخذته ومضيت ،
وكما قال سبحانه : (فلما ذهبوا به وأجمعوا)^(٤) معناه : أخذوا يوسف
صُحْبَتَهُمْ ومضوا ، فإن قال نعم هكذا تفسير الآية فهذا كفرٌ وتهجم .
فأما قوله : كل من ذهب بشيء فقد أذهبه فهو على إطلاقه غير صحيح ، لأنه
ليس كل من ذهب بشيء فقد أذهبه ، بمعنى أنه أعدّمه عن الوجود أصلاً ،
لكنه قد أذهبه عن موضعه الأول الذي أخذه منه .

واعلم أن الغلط دخل عليه من اشتراك لفظة ذهب ، فإنها تستعمل
في معنيين : أحدهما قولهم : ذهب فلان في الطريق الفلاني ، أي مضى فيه
ونفذ فيه .

(١) سورة الحشر : الآية ٤ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٤٨ .

(٣) المثل السائر ٢/٢٣٠ .

(٤) سورة يوسف : الآية ١٥ (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يحملوه في غيابة الجب) .

ومنه سَمِّيَ السبيل مَذْهَباً ، لأنه يُدْهَبُ فِيهِ أَي يُمَضَى فِيهِ ، وَسَمِّيَ قول الشاعر وغيره مَذْهَباً ، كَأَنَّهُ صَارَ طَرِيقاً فَسَلَكَهُ الْفُقَهَاءُ وَغَيْرُهُمْ .

والمعنى الثاني ذَهَبَ بِمَعْنَى عُدِمَ وَفُقِدَ ، وقولهم : ذَهَبَ الشَّابُّ وَذَهَبَ الْعَمْرُ ، أَي فَتَى وَعُدِمَ .

ولعل هذا الاعتبار الثاني هو الحقيقة الأصلية ، والمَحْمَلُ الأول هو المجاز ، لأنه لما مَضَى زَيْدٌ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ ، فَقَدْ تَقَدَّمَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهَا ، فَسَمِّيَ مُضِيَّهُ ذَهَاباً .

وَإِذَا بَانَ لَكَ اشْتِرَاكُ اللَّفْظِ ظَهَرَ غُلْطُهُ ، لِأَنَّهُ تَوَهَّمَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ) مِثْلُ قَوْلِنَا : ذَهَبَ زَيْدٌ بِثِيَابِ عَمْرٍو وَاحْتِمَالُهَا وَمَضَى ، وَقَدْ صَرَحَ بِتَفْسِيرِ آيَةِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ ، وَهَذَا مَعْنَى لَا يَجُوزُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، لِأَنَّهُ لَا تَصَحُّ عَلَيْهِ الْحَرَكَةُ ، وَلَا اسْتِصْحَابُ الْأَشْيَاءِ وَاحْتِمَالُهَا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، وَعَلَى أَنَّهُ لَوْ صَحَّ عَلَيْهِ سَبْحَانَهُ ذَلِكَ لَكَانَ قَوْلُهُ : أَذْهَبَ اللَّهُ نُورَهُمْ أَبْلَغُ فِي الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِهِ : ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ ، لِأَنَّ إِعْدَامَ النُّورِ بِالْكَلِيَّةِ أَبْلَغُ مِنْ قَوْلِهِ : (وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) مِنْ أَيْنَ يَذْهَبُ بِالنُّورِ بِالتَّفْسِيرِ الَّذِي زَعَمَهُ فَيَكُونُ لِلنُّورِ وَجُودٌ فِي الْجُمْلَةِ ، وَإِنَّمَا نُقِيلَ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ ؟

وَإِذَا ظَهَرَ لَكَ غُلْطُهُ فَاعْلَمْ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ) هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ (أَذْهَبَ اللَّهُ نُورَهُمْ) .

كَلَّا اللَّفْظَيْنِ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدَةٍ ، كَمَا أَنَّ قَوْلَكَ : فَقَدْتُ بَزِيدَ مِثْلُ قَوْلِكَ : فَقَدْتُ زَيْدًا ، لَا فَرْقَ بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ ، لِأَنَّ الْأَفْعَالَ الْإِلَازِمَةَ إِذَا أَرَدْتَ تَعْدِيَّتَهَا عَدَّتْهَا تَارَةً بِحَرْفِ الْجَرِّ وَتَارَةً بِالْهَمْزَةِ ، وَتَقُولُ : ذَهَبَ

الشبابُ ، وذهب الدهر بالشباب ، وأذهب الدهرُ الشبابَ ، كما تقول :
خرجتُ بزيد من البلد ، وأخرجتُ زيداً من البلد ، ولست تعني بقولك :
خرجتُ بزيد من البلد أنك استصحبْتَ زيداً معك .

كلاًّ ليس هذا هو المراد من تعديةِ اللازم ، بل محضُ قولك : أخرجتُ
زيداً ، لا زيادةً على ذلك .

قال المصنف : « فأما الأسماءُ المفردةُ الواقعةُ على الجنس التي يكون
بينها وبين أحدها تاءُ التانيثِ فإنه متى أُريدَ التثنيُ كان استعمالُ أحدها أبلغ ،
ومتى أُريدَ الإثباتُ كان استعمالُها أبلغ ، نحو قوله تعالى في قصة نوح : (وقال
الملأ من قومه إنا لنراك في ضلالٍ مبينٍ ، قال يا قوم ليس بي ضلالةٌ) .

كان أبلغ في نفي كونه ضالاً من أن يقول ليس بي ضلالٌ ، كما لو قيل :
ألك تَمَرٌ ؟ فقلتُ في الجواب : مالي تَمَرَةٌ ، فإنه أنفَى للتَمَرِ ، ولو قلتُ :
مالي تمرٌ لم يؤدَّ المعنى الذي أداه القول الأول .

قال : ولا يظن أنه لما كان الضلالُ والضلالةُ مصدرين من قولك
ضَلَّ يَضِلُّ كان القولان سواء ، لأن الضلالة في هذه الآية ليست عبارةً
عن المصدر ، بل عن المرة الواحدة ، كما يقال ضربتُ ضربةً وأكلتُ
أكلةً ، بمعنى مرة واحدة ، فإذا نفى نوحٌ عن نفسه المرة الواحدة من الضلال
فقد نفى ما فوقها من المراتين والمرّات الكثيرة ^(١) .

أقول : إن الذي ذكره غيرُ صحيح ، لأن كانت لفظة «ضلالة» في الآية
مصدرأ ، ولا إن كانت المرة الواحدة .

(١) المثل السائر ٢/٢٣١ وهنا تفصيل ليس في المثل السائر .

أما الأول: فلأنه إذا كانت هذه اللفظة مَصْدُورًا— وقد وافق على أن «ضلال» مصدر أيضاً— وجب أن تكون دالتهما سواء في نفي كونه ضالاً على الإطلاق، فلا يكون أحَدُ اللفظين أبلغَ في الدلالة من الآخر، لأنهما معاً يدلان على نفي ما هيّة الضلال نفسه، فإن المصدر يدل على الماهية فقط من غير دلالة على شيء آخر، فإذا نُفِيَّ فقد نُفِيَّتِ الماهية نفسها، فلا فَرْقَ على هذا التقدير بَيِّنِ الضلالِ والضلالة.

وأما الثاني: وهو أنه لا يصح ما قاله بتقدير أن يكون المراد بالضلالة المرة الواحدة، لأنه لو قال القائل: ما عندي تَمْرَةٌ بمعنى ثمرة واحدة وعنده تمر كثير يَصِحُّ ذلك، ولم يكن كاذباً.

ألا يرى أنه لو أظهر ما أضمر فقال: ليس عندي ثمرة واحدة فقط، بل عندي تمر كثير، لم يكن فيما قاله متناقضاً؟ فالمثال الذي ذكره بَدُلٌ على عَكْسِ ما أراد.

وقول نوح (ليس بي ضلالة)، لو كان يريد به العدد بمعنى ليس بي ضلالة واحدة كما زَعَمَ هذا الرجل، ثم تركناه وظاهر اللفظ، لم يكن نافياً لكونه ضالاً، لأنه إذا كانت الضلالة مختلفة الأنواع، وقال: ليس بي ضلالة واحدة فقط، لم يكن هذا اللفظ مُفِيداً لانتفاء كونه ضالاً، لجواز ألا تكون ضلالة واحدة، بل ضلالاته مختلفة متنوعة، فاللفظ لو تركناه وظاهره لم يدل على انتفاء كونه ضالاً، بتقدير أن يراد بالضلالة المرة الواحدة على ما قد تَوَهَّسَهُ هذا الرجل.

وأما قوله: إذا نَفَى عن نفسه المرة الواحدة من الضلالة فقد نَفَى ما فوقها من المرتين والمرات الكثيرة، فكلام من لم يُسَمِّنِ النظر في قوله:

المرة الواحدة ، لأنه إذا أخذ في تفسير الضلالة أن تكون واحدةً وجعلت الضلالات أشياءً متعددة كالضربات المختلفة والأكلات المتنوعة ثم نفى عن نفسه ضلالةً واحدةً مشروطاً فيها أن تكون واحدةً ، لم يلزم من انتفاءها بهذا القيد أن تنتفي عنه ضلالات كثيرة ، لأن وجود الضلالات الكثيرة ، ملحوظاً فيها كونها كثيرة ، لا يُنافي اقتضاء الضلالة الواحدة عنده ، لأن معنى الواحدة ليس معها غيرها ، ومن وُجِدَتْ عنده ضلالات كثيرةٌ ، فقد صدّقَ عليه أنه وُجِدَتْ عنده ضلالة واحدة ، بمعنى أنه ليس معها غيرها .

واعلم أن مراده تعالى بقوله حاكياً عن نوح (ليس بي ضلالة) نَقْيُ الضلالة الذي هو المصدر ، لأنه هو الذي بانتفائه ينتفي كون نوح ضالاً انتفاءً مطلقاً ، لا كما توهمه هذا الرجل من أنه عبارةٌ عن المرة الواحدة ، واللفظ واضح ، والمعنى ظاهر ، وعند التعمق الزلل .

قال المصنف : « واعلم أن القياسَ يقتضي أن يقال : (ما لهذا الكتاب لا يُغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها) لأنه إذا قَدَّمَ الصغيرةَ لم يَحْتَجْ إلى أن يقولَ « ولا كبيرة » ، لأن وجود المؤاخذه على الصغيرة يلزمُ منه وجودُ المؤاخذه على الكبيرة ، وإذا لم يَعْفُ عن الصغيرة لم يَعْفُ عن الكبيرة .

وإذا قدم في اللفظ الكبيرة احتاج إلى أن يقولَ « ولا صغيرة » ، لأنه لم يَعْفُ عن الكبيرة فيجوز أن يعفو عن الصغيرة ، فاحتاج إلى أن يذكر ما قال .

غير أن الكتاب العزيز أحقُّ أن يُتَّبَعَ فيقاسُ عليه ، فوجِبَ تركُ
القياس لأجلِ هذه الآية ^(١) .

أقول : أمّا أولاً : فإن هذه الآية لم تذكر ليّبان المؤاخذه والعفو ، ولا أن
معنى قوله « لا يغادر صغيرة ولا كبيرة » العقابُ والغفرانُ ، بل معناه
الإحصاء والعَدُّ .

ألا ترى إلى قوله سبحانه : (وَوَضَعَ الْكِتَابُ قَرْنَ الْمُخْرِمِينَ مُشْفِقِينَ
مِمَّا فِيهِ ، وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً) ^(٢)
[ليس المراد فيه [العقاب والغفران ، بل معناه الإحصاء والعَدُّ ؟ ألا ترى
قوله « إلا أحصاها » فهو أمرٌ راجعٌ إلى إحاطة عِلْمِ الباري سبحانه بأفعال
العباد خَفِيَّيَها وظَاهِرَيَها ، وجليلها وحقيقها ، فالذي تَوَهَّمَهُ هذا الرجل
من كَوْنِ هذه الآية لتفصيل أحوال المؤاخذه تَوَهَّمٌ باطل .

وأما ثانياً : فلأن هذه الآية وَرَدَتْ لبيان أنه تعالى يعلم الكبائر من
الذنوب والصغائر ، وللناس خلافٌ مشهورٌ في الكبائر والصغائر من الذنوب
ما هي ؟ فمعنى الآية أنه تعالى يَعْلَمُ كِبَائِرَ الذنوبِ وصغائرها .

وعلى هذا التفسير إذا قَدَّمَ الصغيرة لا يلزمُ منه أن يَسْتَفْتِي عَنِ
ذكر الكبيرة ، لأنه ليس إذا عِلِمَ الصغائر كان بأن يعلم الكبائر أولى ،
كما يقول القائل : إذا أبصرتُ من عشرة فراسخ كنتُ بأن أبصرَ من فرسخ
واحد أولى ، لأنه ليس أحدُ تَوْعِي الكبائر والصغائر بالنسبة إلى عالميته تعالى
أجلُّ من الآخر على جميع مذاهب العقلاء ، والإبصارُ على حَدِّ فرسخٍ
واحد أولى لمن يبصر على حد عشرة فراسخ .

(١) المثل السائر ٢/٢٣٣ .

(٢) سورة الكهف : الآية ٤٩ .

وأما ثالثاً : فلوسلّمنا أنه لم يَعرَ كباثر الذنوب وصغائرهما ، بل عَتَى الخَفِيِّ من أفعال العباد وهي أفعال القلوب ، والجليّ الظاهر منها وهي أفعال الجوارح ، فإنه لا يَكن حَمَلُ الآية إلا على أحد هذين المحملين ، ولا ثالث لهما ، فلم يَقتَضِ القياسُ أن يقولَ لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً ، لأنه قد قال : التفسير عوض ، وذلك بأن يقول ما لهذا الكتاب لا يغادر خفياً ولا جلياً إلا أحصاه ، لأن كل من أثبت أن الباري تعالى عالم بأفعال الجوارح أثبت علماً بأفعال القلوب ، كدلالة على أنه تعالى يعلم الجزئيات عامة في القسمين ، وليس أحدهما أولى بالتقدّم من الآخر .

فإن قلت : أليس قد ثبتَ في الإنس أن الجليّ أولى بالمعلومية من الخفيّ ، والقرآن العزيز يدلُّ على ما يتعارفه الناس وخطبوا به على قدر أذهانهم ؟ قلت : إنه لو قال تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرةً إلا أحصاها ، فربما يَتَوَهَّمُ أن الكتابَ موضوعٌ لإحصاء فعل القلوب فقط ، لا بمعنى أنه تعالى يعلم أفعال القلوب فقط ، بل بمعنى أنه قد يَتَوَهَّمُ أن الكتابَ الذي فيه ذنوبُ بني آدم وحسناتهم موضوعٌ لإحصاء أفعال قلوبهم خاصة ، ولا يكون فيه شيء هي معدودة مضبوطة فيه . والمراد من هذه الآية وأمثالها إرهابُ العصاة ، وهم إذا سمِعُوا أن أعمالهم كلّها مضبوطة مكتوبة في كتاب يشتمل عليها كما يشتمل على سائر الحساب لا على ما فيها ، كانوا أخوف وأشدّ تباعداً من المعاصي .

فعلى هذه الطريقة قال « ولا كبيرة » لتكون الآية بعيدة عن التوهم الذي يُخلِلُ نظامَ الزجر ..

قال المصنف: «وكذلك قد كان القياسُ أن يقول «فلاتنهرها ولا تنقلُ لها أفٌ» لأنه إذا لم يقل لها أفٌ فقد امتنع أن ينهرها .

قال : نظير ذلك في الترتيب الواقع على وفقِ القياسِ قول البحري يصف نُحولَ الركائب :

كالقِسيِّ المعطَّفات بل الأسهم مَبْرِيَةٌ بل الأوتار ^(١)

فشبهها أولاً بالقسي ، ثم قال بل كالأسهم ، لأنها أبلغ في النحول من القِسيِّ ، ثم قال بل كالأوتار ، لأنها أبلغ في النحول من الأسهم .

قال : لكني قد رفضتُ القياسَ ، وقدَّمْتُ ما استعمل في الكتاب العزيز عليه ^(٢) .

أقول: إن الله تعالى لو قال : « فلا تقل لها أف بل لاتنهرها » لكان على خلاف القياس ، لأن لفظة بل للاستدراك ، فيُعطي في الثاني معنى لم يكن في الأول ، فيصح أن يقال: لاتنهر السائل بل لاتضره ، ويقتضي القياس أن يقال: لاتضر السائل بل لاتنهره .

وبيت البحري إنما وقع موافقاً للقياس لاستعماله لفظة بلٌ ، فأما الآية فوردت بالواو العاطفة ، وهي غير مقتضية للترتيب ، فلا فرقَ بَيِّنَ أن

(١) من قصيدة له في مدح أبي جعفر بن حميد ، مطلعها :
أبكاه في الدار بعد الدار وسلو بزينب عن تسوار
ثم يصف نحول القلائص ، فيقول قبل هذا البيت :
يترققن كالسراب وقصد خضد ن غماراً من السراب الجاهري
وكان بالأصل (الأسهم ميزته) وهو خطأ .

(٢) المثل السائر ٢/٢٣٣ بتصرف .

يقول : « فلا تَنْهَرها ولا تَقُل لها أف » ، وأن يقول « فلا تَقُل لها أف ولا تَنْهَرها » ..

قال المصنف : « وقد أغفل كثير من الشعراء التَّرَقِّي من الأدْنَى فالأدنى إلى الأعلى ، كالمتنبي في قوله :

يا بَدْرُ يا بَحْرُ يا غَمَامَ يا لَيْثَ الشَّرَى يا حِمَامُ يا رَجُلُ
فإن الواجب أن يقول يا بَدْرُ ، لأنه اسم الممدوح ، ثم يقول بعده يا رجل ،
يا لَيْثَ الشَّرَى ، يا غَمَامَ ، يا بَحْرَ ، يا حِمَامَ ، لأن البدر أعظم من الليث ،
والبحر أعظم من الغمامة ، والحمام أعظم من البحر ، فيرتفع من شيء إلى ما هو
أعلى منه ، لأنه مقام مدح ، ولو كان مقام ذم لعكس القضية » ^(١) .

أقول : إن أبا الطيب لم يقصد إلا مقصداً صالحاً ، ولكن هذا الرجل
لم يَتَقَطَّنْ له ، لأنه مدَّحه بالسَّخاء والشَّجاعة ، وهما المعنيان الشريهان
الجليلان ، فقال في القسم الأول وهو قسم السَّخاء : يا بَحْر يا غَمَامَ ، وابتدأ
بالبحر ، لأنه دُونَ الغمامة مكاناً ، لأنه تحتها وهي رَبَّتُهُ ، لأنه منها يَتَكَوَّنُ ،
ولولا الغمامة لم تكن مياهُ الغدران والأمطار ، وما يتكون منها كالأنهار ،
فإن هذه الأشياء هي التي يَغْنِيها بالبحر لا البحر الذي هو الماء المِلْحُ ،
ولا الأَسْطَقْسُ الكلي ^(٢) .

ثم قال في القسم الشَّجاعة : يا لَيْثَ الشَّرَى يا حِمَامَ ، فابتدأ بالليث وانتقل
إلى الحِمَامَ بعده ، لأن الليث لولا الحِمَامُ لم يُرْهَبْ ، فالحِمَامُ أشدُّ رهبةً

(١) المثل السائر ٢/٢٣٤ يتصرف .

(٢) الأسطقس : والأسطقس هو الشيء البسيط الذي يتركب منه الشيء المركب مثل
الحجارة والقرايد والخشب التي يتركب منها البناء ، والحروف التي يتركب منها الكلام ، والواحد
الذي يتركب منه العدد . والأسطقسات الأربعة هي النار والهواء والماء والتراب (مقاييس السوالم
للخوارزمي ٨٢) .

في الصدور من اللث ، ثم ختم البيت بقوله : يا رجل ، أي أنت هذه الأشياء كلها ، وأنت مع ذلك إنسانٌ من البشر ، وذلك أعجبُ وأطرف .

وإنما قدّمَ السخاء على الشجاعة ، لأن حاجة جمهور الناس إلى السخاء أكثر من حاجتهم إلى الشجاعة ، والناسُ إلى رئيس عظيم السخاء أميلُ منهم إلى رئيس عظيم الشجاعة ، لأن انتفاعهم به أكثر ، فأبو الطيب قصدَ هذا المقصِدَ ، أو يصحُّ أنه يقصد هذا المقصد ، ولو أتى بالبيت على الترتيب الذي ذكره المصنف لم يحصلُ له هذا المعنى .

قال المصنف : « ونظيرُ هذا قول أبي تمام في الافتخار بقوله :

نجومٌ طوالعٌ جبالٌ فوارعٌ غيوثٌ هوامعٌ سيولٌ دواعٍ
فإن السيول دون الغيوث ، والجبال دون النجوم ، ولو قدّمَ ما أخر
لما اختلَّ النظم ، بأن يقول :

سيولٌ دوافعٌ غيوثٌ هوامعٌ جبالٌ فوارعٌ نجومٌ طوالعٌ^(١)
أقول : إن في بيت أبي تمام لسراً خفياً إما أن يكون قد قصده ، أو يمكن
أن يقصده ، وذلك أن قبله :

سمّا بي أوسٌ في السّماء وحاتمٌ وزيدٌ القنا والأثرمان ورافعٌ^(٢)
فأوس هو أوسُ بن حارثة الطائي ، وكان وضيئاً جميلاً ، وحليماً
ذكياً ، فضربَ به المثل في وضاءته ورصانته ، فهو المراد بقوله « نجوم
طوالع جبال فوارع » .

(١) المثل السائر ٢/٢٣٥ .

(٢) البيت في المثل السائر والديوان (سها بي أوس في الفخار) .

وحاتم بن عبد الله الجواد هو المراد بقوله « غيوث هوامع » ، وأما زيدُ القنّا ، والأثرمان ، ورافع — وهو رافع بن عُمَيْرَة بن جابر — فهم بالشجاعة أشهر ، وهم المراد بالسيول التي تهلك وتُحترق ما تأتي عليه ، فهذا هو وجه ترتيب البيت .

قال المصنف : « فأما تقديمُ المفعول على الفعل ، فهو كقولك : زيداً ضربت ، وضربت زيداً ، لأن اللفظَ الأول يفيد أنك لم تضرب إلا زيداً خاصةً ، والثاني لا يقتضي ذلك .

قال : وذلك لأنك إذا قَدَّمْتَ الفعل كنت بالخيار في إيقاعه على أي مفعول شئت ، بأن تقول : بَكْرًا أو عَمْرًا أو خالدًا ، وإذا أَخَّرْتَ الفعل لَتَرِمَ الاختصاصُ بزيد وحده^(١) .

أقول : إننا لا نُشْكِرُ أن قوماً من أهل العربية قد ذهبوا إلى هذا المذهب ، ولكن أربابَ النظر في هذه المباحث ، وهم الأصوليون ، لا يعرفون هذا ، وقولهم فيه هو الصحيح المُفسَّر ، ولا فَرْقَ عندهم بين قولك : ضربت زيداً وزيداً ضربت ، في أن كِلَا اللفظين لا يَدُلُّ واحدٌ منهما على اختصاص الضرب بزيد وحده^٢ .

وكذلك لو قلت : زيداً ضربتُ وعَمْرًا ألم يكن الكلام متناقضاً ؟ ولو كان قولك : زيداً ضربت يدل على أن الضربَ مقصورٌ على زيد وحده لكان قولك : وعمرًا نَقْضاً لذلك .

فأما قوله : لأنك إذا قدمت الفعل كنت بالخيار في تعيين المفعول ، وإذا أخرته لزم الاختصاص ، فيقال له : أ يكون الخيار إذا قدّم الفعل وإن كان قد تَلَفَّظَ بالمفعول أو قَبْلَ أن يتلفظ بالمفعول ؟ الأولُ ممنوعٌ ، لأنه بعدَ تَعْيِينِ المفعول لا يبقى خيار ، والثاني مُسَلَّمٌ ، لكن مثل هذا موجودٌ في تأخير الفعل ، لأنك إذا قدّمتَ المفعول فأنت بالخيار قبلَ أن تَتَلَفَّظَ بالفعل ، فيمكن أن تقول : أكرمت وضربت أو رأيت ، فليست مضطراً عند ذكر المفعول وقبل ذكر الفعل إلى أن تقول : زيداً ضربت لا غير ذلك من الألفاظ .

فالحاصل أن الصّورتين سواء في التّخيير وعدم التّخيير ، لكن تقدّر المفعول يُتَخَيَّرُ فيه في الفعل لا في المفعول ، لأنك قد ذكرته وسبق منك تعيينه ، فإن قولك : زيداً ضربت يفيد في اللغة أنك لم تضرب إلا زيداً ، كأن قولك : ضربتُ زيداً يفيد أنه لم يقع منك في حقّ زيد إلا الضرب فقط ، وهذا محال ، لأنك لا تَعْنِي بِقَوْلِكَ ضربتُ زيداً ألا تكون قد شتمته ولا رأيته ولا أصبته ولا اعترضته ، كما لم يدلّ تعيينُ الفعلُ أولاً والابتداء به على انتفاء غيره من المفعولين .

ويُدلُّ على فساد هذا الكلام قوله تعالى : (ووهبنا له إسحاق ويعقوبَ كُلًّا هدينا ونوحاً هدينا من قبل) ^(١) فإن ذلك لا يدل على اختصاص إسحاق ويعقوب بالهداية ، لأنه قد هدَى غَيْرَهُ مِمَّنْ كان في زمانِهِ .

قال المصنف : وعلى هذا ورد قوله تعالى : (بل الله فاعْبُدْ وَكُنْ مِنْ

(١) سورة الأنعام : الآية ٨٤ .

الشاكرين) فإنه يفيد الأمر باختصاص العبادة به دون غيره ، ولو قال :
اعبد الله وكن من الشاكرين لم يفيد الاختصاص^(١) .

أقول : إن الاختصاص ما استفيد في هذه الآية من مجرد تقديم المفعول ،
بل من القرينة ، لأنه تعالى قال : (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك
لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين . بل الله فاعبد)
وهذا تصريح بالاختصاص ، لأنه قال : لا تُشرك بالله في العبادة فتحسر ،
بل وحد الله في العبادة .

فالاختصاص مفهوم من سياق الكلام ، لا من تقديم المفعول .
ولو قال في هذا السياق : بل اعبد الله لأفاد الاختصاص لا محالة ،
فلا تأثير لها هنا في الاختصاص المعلوم ، لا لتقديم المفعول ولا لتأخيره .

قال المصنف : « وقد قال الزمخشري إن قوله تعالى : (إياك نعبد وإياك
نستعين) لاختصاص العبادة والاستعانة به سبحانه دون غيره .

قال : وليس الأمر كذلك ، بل ها هنا مراعاة السجع الذي جاء
في الآيات السابقة على حرف النون ، فلو قال : نَعْبُدُكَ ونَسْتَعِينُكَ زالت
طلاوة السجع^(٢) .

أقول : إن كان تقديم المفعول يقتضي الاختصاص كما يراه الزمخشري
وجماعة من أهل العربية ، فلا مانع من أن يكون المراد من قوله : إياك نعبد

(١) المثل السائر ٢/٢٤٠ .

(٢) المثل السائر ٢/٢٤١ .

وإياك نستعين كلا الأمرين : الاختصاص والسجع ، ولا منافاة بين هذين المطلوبين .

قال المصنف : « وكذلك قوله تعالى : (ثم الجحيم صلّوه) ليس تقديم المفعول ها هنا للاختصاص ، بل للفضيلة السّجّية فقط ، فإنه لو قال : خذوه فغلّوه ثم صلّوه الجحيم لم يكن في الحسن كالأول .

قال : فإن قلت : بل تقديم المفعول ها هنا للاختصاص ، لأنها نار عظيمة ، ولو أخرت بلّاز وقوع الفعل على غيرها ، فالجواب عن ذلك أن الدرك الأسفل أعظم من الجحيم ، فكان ينبغي أن يخص بالذكر دون الجحيم ، على ما ذهب إليه ، لأنه أعظم ، لكن استعمال هذه اللفظة هنا أحسن من استعمال غيرها من الألفاظ نحو « لظى ، وجهنم » ونحوها ، والطلاوة عليها دون غيرها أكثر^(١) .

أقول : إن كان تقديم المفعول يقتضي الاختصاص كما قد قال قوم فلا مانع أن يكون الاختصاص مراداً في قوله : (ثم الجحيم صلّوه) لأن الجحيم والجاحم في اللغة هو أشد النار ، قال أبو تمام :

إن يَعدُّ مِن حَرِّها عَدُوّ الظّليم فَقَدْ

أوسَعَتْ جاحِمَها من كَثَرَةِ الحَطَبِ^(٢)

(١) المثل السائر ٢/٢٤٢ ومنه أصلنا النص .

(٢) من قصيدته في مدح المنتصم بعد فتح صورية التي مطلعها :
السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

والبيت من أبيات يصف فيها فرار توفلس القائد الرومي .

(الديوان ١/٧٤) .

ولا منافاة بين أن يُراد الاختصاص وتُراد الفضيلة السَّجعية معاً .
وأما قوله : فهلا ذكرَ الدركَ الأسفلَ من النار ؟ فيقال له : لم لا يكونُ
الدركُ الأسفلُ هو الجحيم بعينه أيضاً ؟ ولم يكون الجحيم أشدَّ إحراقاً
وتعذيباً من الدرك الأسفل ؟ وليس في قوله : إن المنافقين في الدرك الأسفل
ما يقتضي أن يكون هذا الموضع أشدَّ المواضع النَّارِيَّةَ إحراقاً ، فالجوازُ
أن يكونَ غيرُ المنافقين أشدَّ عذاباً منهم ، وأيضاً فلو كان الدركُ الأسفلُ
أهولَ وأصعبَ لم يلتزم ما ذكره ، لأن التَّرهيباتِ والتَّرهيباتِ تُذكرُ
على حَسَبِ ما يراه المتكلم من المصلحة ، وقد رَهَّبَ ورَغَّبَ بأشياء غيرها
أبلغَ في التَّرهيبِ والترغيبِ منها .

ألا ترى أنه لو قال عيوضُ قوله تعالى : (في جِيدِها حَبْلٌ من
مَسَدٍ)^(١) في جِيدِها ثعبانٌ من نار لكان أَرْهَبَ وأزْعَجَ ، ولم يَقُلْ
ذلك .

وأما قوله : إن الطَّلَاوةَ في لفظةٍ فقط دُونَ غيرها من الألفاظ فإنه
يقال له : قد قلتَ ذلك ، ومعلومٌ أنه لو بَدَّلَ عيوضُ الجحيم السَّعِيرَ
لكان على عَدَدِ حروفها أو وَزْنِها ، ولا يتغير انتظامُ الكلامِ وأسلوبُهُ
باستعمالها حسب استعمال لفظ الجحيم حَذْوِ القُدَّةِ^(٢) .

قال المصنف : « ومن مقتضيات الاختصاص أيضاً تقديم خبر المبتدأ
عليه ، فإنك إذا قلت : قائمٌ زيدٌ فقد أثبتتَ له القيامَ دُونَ غيره ، وإذا

(١) سورة المد

(٢) القُدَّة بضم القاف الريشة المقذوفة ، يقال حذو القُدَّة بالقُدَّة (أساس البلاغة مادة قد)

قلت زيد قائم لم تكن قد خصصته بالقيام دون غيره من الناس ، والعلة فيه ما ذكرناه في تقديم المفعول ، فإنك إذا قلت : زيد قائم كنت بالخيار ، حيث ابتدأت بذكر زيد ، إن شئت قلت جالس أو ضاحك أو غيرها . وإذا قدمت قولك قائم حصل الاختصاص لزيد بالقيام دون غيره من الناس ^(١) .

أقول : إننا لا نعرفُ ذاهباً ذهب إلى أن قولنا : قائم زيد يقتضي اختصاص زيد بالقيام دون غيره من الناس .

لكن جماعة من النحاة الذاهبين إلى أن تقديم المفعول يقتضي الاختصاص ، يقولون إن قولنا « القائم زيد » بالألف واللام يقتضي اختصاص زيد بالقيام ، كما نقول « الشجاع علي » و « الجواد حاتم » أي لاشجاع إلا ذاك ، ولا جواد إلا هذا .

فأما تقديم خبر المبتدأ عليه مع بقاءه على التنكير فإنه لا يُعرفُ ذاهبٌ ذهب إلى أنه يقتضي الاختصاص .

والعلة في اختصاص زيد بالقيام إذا قلت « القائم زيد » علة تعود إلى دخول الألف واللام على الخبر ، وهي أن قولك « القائم » معناه الذي له القيام ، فكأنك قلت : الذي له القيام هو زيد ، وقولك : الذي له القيام هو زيد من طريق الاصطلاح العرفي في قوة ذلك الذي يختص بالقيام ، أو الذي ينفرد بالقيام ، ونحو ذلك .

والقائلون بهذا القول يكتزهم عليه أن يفيد قولنا « زيد القائم » اختصاص الذي يذكرونه أيضاً ، لأنك إذا أرلّت عن نفسك الوهم في كون القائم صفة زيد ، وأطبقت ذلك بالمبتدأ والخبر ، صار تقديره زيد

الذي له القيام ، وذلك في قُوَّة قولك : زيد هو الذي يختص بالقيام ،
فلو كان غيره قائماً لما صدَّق قولك : زيد هو الذي له القيام .

فقد ظهر أنه لا فرق بين تقديم قائم وتأخيره ، وأن هذا لو صح
لكان في الأخبار المعرَّقة باللام لا في الأخبار المنكَّرة ، كما توهمه هذا الرجل .

وأما احتجاجة بأنك تكون مخبراً إذا أخبرت الخبر ، ولا تكون مخبراً
إذا قدَّمته ، فاحتجاجٌ ضعيف قد تكلمنا عليه في تقديم المفعول .

قال المصنف : « ومن باب تقديم خبر المبتدأ الذي يفيد الاختصاص قوله
تعالى : (وَظَنُّوا أَنَّهُم مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ) قال سبحانه ذلك ،
ولم يقل : وَظَنُّوا أَن حُصُونَهُمْ تمنعهم أو مانعهم ، لأن في تقديم الخبر الذي
هو « مانعهم » على المبتدأ الذي هو « حصونهم » دليلاً على قرطٍ اعتقادهم في
حصانتها ، وزيادة وثوقهم بمَنَعِهَا إياهم ، وفي جعل ضميرهم اسماً لأن ،
وفي إسناد الجملة إليه دليلٌ على تقريرهم في أنفسهم أنهم في عِزَّةٍ وامتناع
لا يَبْأَلِي معهما بقصدٍ قاصدٍ ولا تَعَرَّضٍ مُعْتَرِضٍ »^(١) .

أقول : إن حصونهم لا تُرْفَعُ بأنه مبتدأ كما ظنه إلا على وجهٍ ضعيف ،
والصحيح أنه فاعل ، تقديره : وظنوا أنهم تمنعهم حصونهم ، فمانعهم اسم
فاعلٍ معتمد على ما قبله ، لأنه في الحقيقة خبرٌ مبتدأ ، من حيث كان خبراً
لأن ، وأن من شأنها أن تدخل على المبتدأ والخبر ، ومتى كان اسم الفاعل
خبراً لمبتدأ كان معتمداً عليه ، فعَمِلَ فيما بعده عَمَلَ الْفِعْلِ ، كقولك
« زيد قائمٌ أبوه » فأبوه رفع بالفاعلية ، وليس بمبتدأ على القول الصحيح
في صناعة العربية .

وكذلك إذا اعتمد اسم الفاعل على همزة الاستفهام أو حرف النفي ،
أو وقع حالاً لذي حال ، أو صفةً لموصوف ، أو صلةً لموصول .

وَحُكْمُ الظَّرْفِ حُكْمُ اسم الفاعل إذا وقع معتمداً أيضاً في كونه
يَرْفَعُ ما بعده بالفاعلية لا غَيْرُ ، كقوله تعالى : (فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ
الضَّعْفِ)^(١) وقوله : (أَفِي اللَّهِ شَكٌّ)^(٢) وقوله : (وَمَنْ عِنْدَهُ
عِلْمٌ الْكِتَابِ)^(٣) فجزاء ، وشكّ ، وعلم ، كلّها مرفوعة بالفاعلية ،
لإعتمادِ الظرف تارةً على المبتدأ ، وتارةً على همزة الاستفهام ، وتارةً
لوقوعه صلةً .

ومما جاء في ذلك شعراً قول حَسَّان :

ظَنَنْتُمْ بَأَنِّ يَخْفَى الَّذِي قَدْ صَنَعْتُمْ وفيكم نَبِيٌّ عِنْدَهُ الْوَحْيُ وَاضِعُهُ^(٤)

فالوحي فاعل . وقول الشاعر :

أَحَقُّا بَنِي أَبْنَاءِ سَلَمَى ابْنِ جَنْدَلٍ تَهْدُكُمْ إِيَّايَ وَسَطَ الْمَجَالِسِ ؟

فَتَهْدُكُمْ فاعل ، وليس بمبتدأ .

فأما قوله : إن في تقديم مانعهم زيادة معنى فقد تكلمنا عليه فيما سبق .

قال المصنف : « ومن باب قوله تعالى : (أَرَأَيْتُمْ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي
يَا إِبْرَاهِيمَ) فَقَدْ مَّ خَبَرَ المبتدأ عليه .

(١) سورة سبأ : الآية ٣٧ .

(٢) سورة إبراهيم : الآية ١٠ (قالت رسلهم : أفى الله شك فاطر السموات والأرض ؟) .

(٣) سورة الرعد : الآية ٤٣ .

(٤) ديوان حسان ٧٢ وفي الفلك الدائر (وفيثنا نبي) .

ومثل قوله : (فإذا هيَ شاخصةٌ أبصارُ الذين كفروا) ، قال : فهذا يَدُلُّ على تخصيص الشخص بالابصار دون غيرها ، وعلى تخصيص الكفار بالشخص دون غيرهم .

أما الأول : فلأنه لو قال : فإذا أبصارُ الذين كفروا شاخصةٌ جاز أن يَضَعَ موضع شاخصة حائِرة أو مطموسة أو غير ذلك ، فلما قدم الضمير اختصت الأبصارُ بالشخص دون غيرها .

وأما الثاني : فلأنه لما أراد أن الشخص خاصٌ بالكفار دون غيرهم دلَّ عليه بتقديم الضمير أولاً ، ثم بصاحبه ثانياً ، كأنه قال : فإذا هم شاخصون دون غيرهم ، ولولا أنه أراد هذين الأمرين المشار إليهما لقال : أبصار الذين كفروا شاخصةٌ ، لأنه أخصُّ بحذف الضمير من الكلام .

قال ومن هذا النوع قول النبي صلى الله عليه وسلم في البحر : « هو الطَّهَّورُ ماؤه ، الحِلُّ مَيْتَتُهُ » وتقدير الكلام هو الذي ماؤه طهور ، ومَيْتَتُهُ حِلٌّ ، لأن الألف واللام ها هنا بمعنى الذي ^(١) .

أقول : لا يَخْلُو إمَّا أن يكون الضمير وهو « هي » في قوله تعالى « فإذا هي » ضمير الشأن والقصة أو ضمير الأبصار ، وقد قُدِّم بشرطِ التفسير ، فإن كان ضمير الأبصار لم يكن قوله « أبصار الذين كفروا » مرفوعاً بالابتداء ، بل كان فاعلاً ، لأن « شاخصة » اسمٌ فاعل معتمدٌ على ما قبله ، وهو « هي » الذي موضعه رَفَعٌ بالابتداء ، وقد تقدم أن اسم الفاعل إذا وقع خبراً لمبتدأ يَرْفَعُ ما بعده على القول الصحيح ، كما يرفعه الفعلُ الصَّرِيحُ ، نحو قولهم : زيد قائمٌ أبوه ، وقوله تعالى : (يَخْرِجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ) ^(٢)

(١) المثل السائر ٢/٢٤٤

(٢) سورة النحل : الآية ٦٩ .

فعلى هذا التقدير بَطُلَ قولهم : إنَّ شاخصة خبرٌ مقدَّمٌ .

وإن كان «هي» في قوله تعالى : « فإذا هي » ضمير الشأن والقصة كان شاخصة خبراً مقدماً كما ذكره ، وبصير تقديره فإذا الشأنُ والأمْرُ أبصارُ الذين كفروا شاخصةٌ ولا يكون على هذا التقدير شاخصة اسم فاعلٍ معتمداً على ما قبله ، لأن ضمير الشأن والقصة لا تعتمد عليه اللفظة الواقعة بعده ، لأنه موضوع لأن يقع بعده جملة مركبة من المبتدأ والخبر ، أو لأن تقع بعده لفظة مفردة تعتمد عليه ، وتصير هذه الآية كقوله تعالى : (إنه مُصِيبُهَا ما أصابهم) ^(١) فإن الضمير في إنه للشأن ، وبعده جملة مركبة من مبتدأ وخبر ، والمبتدأ مؤخر والخبر مقدم . وكل موضع جاء فيه ضمير الشأن والقصة وبعده مثلُ هذه الجملة فهي ليست فاعلاً لعدم الاعتماد الذي هو شرط الفاعلية ، لكن على هذا التقدير يَبْطُلُ قوله : إنه لما أراد تعالى أن الشخصَ خاصٌ بالكفار دون غيرهم دل عليه بتقديم الضمير أولاً ، ثم بصاحبه ثانياً ، كأنه قال : فإذا هم شاخصون دون غيرهم ، لأن هذا الكلام يقتضي أن الضمير وهو «هي» في قوله تعالى « فإذا هي » ضمير الأبصار لا ضمير الشأن ، ألا تراه كيف قال : دل عليه بتقديم الضمير أولاً ثم بصاحبه ثانياً ؟

فالخلاص أن كلام هذا الرجل لا يستقيم ، سواء جعلنا الضمير للشأن أو للأبصار .

فأما قوله : إن قوله تعالى : (أرأيت أنت) قد قدَّم فيه خبر المبتدأ عليه فغير صحيح أيضاً ، لأن قوله : (أرأيت) اسم فاعل معتمد على همزة الاستفهام

(١) سورة هود : الآية ٨١ .

فيكون قوله « أَنْتَ » في موضع الرفع بالفاعلية ، إلا على القول الضعيف المتروك ، والمسألة مشهورة .

ففي نحو أذاهبُ وأقامُ الزيدان ، يرتفع قائمٌ وذاهبٌ بالابتداء ، ويسدُّ كل واحدٍ من الفاعلين مَسَدَّ الخبر .

قال النحاة إن همزة الاستفهام تستدعي الفعل بذاتها ، لأن الاستفهام إنما يكون من فعل ، ألا تَرَى أنك إذا فرضت شيئاً مُجَرِّداً عن فعل لم يستفهم عنه ، فأجروا قوله « أَرَأَيْب » مجرى أترغب ؟

لذلك قلنا إن قوله تعالى : « إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ »^(١) السماء مرفوع بالفاعلية بتقدير فعل دَلَّ عليه انشقت ، لأن «إِذَا» تستدعي الفعل ، وكذلك ما جرى مجرى « إِذَا » في المعنى ، نحو قولهم : لو ذاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي^(٢) ، وإن الله أُمَكِّنِي من فلان .

فأما قوله في البحر : « هو الطهور ماؤه ، والحل مَيِّتُهُ » وتوهمه أن ذلك من باب تقديم الخبر على المبتدأ فمِثْلُ الوهم الأول في الخلط ، بل هما مرفوعان بالفاعلية ، كأنه قال هو الشيء الذي طَهَّرَ ماؤه ، وحَلَّتْ مَيِّتُهُ ، فحذَفَ الموصوف وأقام الصِّفَّةَ المركَّبة من الموصول والصلة مقامه ، والصفة تعمل كالفعل في هذا الموضع ، فيكون ماؤه وميته فاعلين .

(١) سورة الانشقاق : الآية ١

(٢) لو ذات سوار لطمتني : أي لو لطمتني ذات سوار ، لأن لو طالبة للفعل داخله عليه . والمعنى لو ظلمني من كان كفاً لي لمان علي ، ولكن ظلمي من هو دوني . وقيل أراد لو لطمتني حرة ، فجعل السوار علامة للحرية ، لأن العرب قلما تلبس الإماء السوار ، فهو يقول لو كانت اللاطمة حرة لكان أخف علي ، وهذا كما قال الشاعر :

فلو أني بليت بهاشمي غثولته بنو عبد المदान

لمان علي ما أتق ولكن تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

(مجمع الأمثال للسيد في ٨١/٢) .

ومثله في التنزيل : (عَلَيْهِمُ قِيَابُ سُتُودٍ) ^(١) في قول من جعل عليهم صفة لقوله تعالى : (وَلَدَانٌ مَّخْلُودُونَ) فأما استنباطه زيادة المعنى في التقديم والتأخير فشيء قد تكلمنا عليه .

قال المصنف : ومن المواضع التي تفيد الاختصاص تقديم الظرف إذا كان الكلام إثباتاً ، كقولك : إن إليّ مصيرَ هذا الأمر ، فإنه يدل على أنه ليس مصيرُ هذا الأمر إلا إليك ، بخلاف ما إذا أخرتَ الظرف ، فقلت : إن مصيرَ هذا الأمر إليّ ، فإنه لا يفيد الاختصاص ، لأنه يحتمل أن توقعَ الكلام [بعد الظرف] على غيرك فتقول عيوضَ ضميرك إلى زيد أو عمرو .

ومنه قوله تعالى : (إِنْ إِلَيْنَا لِمَبَاسُهُمْ ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا لِحِسَابُهُمْ) ^(٢) .

أقول : إنه إنما فهمَ أن الإيابَ والحسابَ إلى الله تعالى من دليل آخر لا من مُجَرَّدِ هذا اللفظ ، ولو خُلبِنا ومجرّدَ هذا اللفظ لم يدُلْ على أن الإيابَ والحسابَ ليس إلا إليه وعليه سبحانه ، فإنك لو قلت : إن في الدار زيدا ، لم يدُلْ ذلك على أن غيره ليس في الدار ، وكذلك لو قلت وعمراً لم يتناقض الكلام .

وقد قال سبحانه : (وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيً) ^(٣) ولا يدل ذلك على أن غير الرواسي لم يجعله تعالى في الأرض .

وقال لآدم : (إِنْ لَكَ إِلَّا تَجَرَّعُ فِيهَا) ^(٤) ولم يكن ذلك مختصاً به ، فقد كانت حواءَ مثله .

(١) سورة الإنسان : الآية ٢١ .

(٢) المثل السائر ٢/٢٤٦ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٣١ .

(٤) سورة طه : الآية ١١٨ .

وقال تعالى : (إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمَ الْقَوْمِ)^(١) ، ولا يدل ذلك على أنها ما نَفَسَتْ إلا فيه ، لأن النَفْسَ هو انتشار الغم من غير راعٍ ، سواء كانت في حرث ، أو في غير حرث .

وقال تعالى : (وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ)^(٢) فقدم الظرف ، ولا يدل ذلك على أنه لم يَشْهَدْ إلا حكمهم .

وقال : (فَوَهَبْنَا لَهُ يُجَنِّبُ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ)^(٣) ولا يدل ذلك على أنه ما أصلح زَوْجَ أَحَدٍ قط إلا زوج زكريا .

وفي الكتاب العزيز ألف آية مثل هذا تُبْطَلُ دَعْوَى الْحَصْرِ والاختصاص .

فأما قول القائل : إن إليّ مصير هذا الأمر ، فإما ألا يدل ذلك على الاختصاص وهو الصحيح ، أو يدل لكن كما يَدُلُّ مع تقديم الظرف يدل مع تأخيره إذا قلت إن مصير هذا الأمر إليّ . ولا فرق بين الموضعين .

والصحيح أن القرينة تدل على الاختصاص ، وهو الصحيح في هذا الموضع ، لا مُجَرَّدُ الصِّغَةِ ، لأنه ما جرت العادة أن الولاية وما يجري مجراها لا تنتقل إلا إلى واحد فقط .

وأما قوله : إنك إذا أَخَرْتَ احْتُمِلَ تَوْقِيعَ الْكَلَامِ على غيرك فضعيف ، وقد تكلمنا عليه في تقديم المفعول .

قال المصنف : « فأما إذا كان الكلام نَفْيًا فقد يتقدم الظرف ويكون

(١) سورة الأنبياء : الآية ٧٨ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٧٨ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٩٠ .

الْقَصْدُ بِهِ تَفْضِيلُ الْمُنْفِيِّ عَلَى غَيْرِهِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (لَا فِيهَا غَوْلٌ)
والمراد تفضيلها على خمور أهل الدنيا .

وقد يتأخر الظرف ويكون القصد به النفي فقط لا التفضيل، كقوله
تعالى : (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ) .

فإن القصد في إيلاء حَرْفِ النِّفْيِ الرَّيْبَ نَفْيُ الرَّيْبِ عَنْهُ ، وإثبات
أنه حق، ليس كما يزعم المشركون ، ولو أولاهُ الظرفَ وقال «لَا فِيهِ رَيْبٌ»
لكان قد قَصَدَ أن كتاباً آخر فيه الرَيْبُ لا في هذا الكتاب ، كما قلنا في قوله :
(لَا فِيهَا غَوْلٌ) قال ومثل ذلك أن يقال : لَا عَيْبَ فِي الدَّارِ ، ويقال : لَا فِيهَا
عَيْبٌ ، في أن الأول يقتضي نَفْيَ الْعَيْبِ عَنِ الدَّارِ فقط ، والثاني يقتضي
تفضيلها على غيرها ، أي ليس فيها ما في غيرها من العيب »^(١) .

أقول : إن هذا الذي ذكره شيء لا يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ ، وَلَا أَهْلُ
الْفِقْهِ ، وَلَا فَرَّقَ عَنْدهم في النفي المطلق بين قولهم لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَا فِيهِ
رَيْبٌ ، إلا من جهة أخرى ، وهي أَنَّهُ يَنْقَبُحُ الْاِخْتِصَارُ عَلَى قَوْلِهِ «لَا فِيهِ رَيْبٌ»
في القواعد النحوية ، حتى يُضْمَ إِلَيْهِ شَيْءٌ آخَرُ ، فيقول : وَلَا شَكَّ مِثْلًا
أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ .

فأما ما يعود إلى نَفْيِ الرَّيْبِ فَالْإِظْهَارُ بِدَلَالَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَلَعَلَّهُ
ظَنَ أَنَّ حَرْفَ النْفْيِ إِذَا شَافَهُ الْمُنْفِي بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ كَانَ أَبْلَغَ فِي النْفْيِ مِنْ أَنْ
يَتَخَلَّلَ بَيْنَهُمَا وَاسِطَةٌ ، وَيَجْرِيهِ مَجْرَى الْمُؤَثَّرَاتِ الْحَسِيَّةِ ، فَإِنَّ السِّيفَ إِذَا
شَافَهُ الْجَسَمَ بِلَا وَاسِطَةٍ كَانَ أَبْلَغَ فِي الْقَطْعِ مِنْ أَنْ يَتَخَلَّلَ بَيْنَهُمَا ثَوْبٌ أَوْ دَرَعٌ ،
فَيُظَنُّ أَنَّ هَذَا مِثْلُ ذَلِكَ ، وَهَذَا وَهَمٌّ عَامٌّ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ مُحَصِّلٌ .

(١) الملل السائر ٢/٢٤٨ .

وما نعلم كيف وقع له أنه قال : لو أنه قال ليس فيه ريب لدلّ على أنه ليس كغيره من الكتب التي فيها ريبٌ ، وأنه لو قال : ليس في الدار عيب لدلّ على أنها ليست كغيرها من الدُورِ المعيبة ، وأنه إذا قال : ليس في خمر الجنة غَوْلٌ يدلّ على أنه ليس كخمر الدنيا التي فيها غَوْلٌ ، فإنه ليس في اللفظ تعرّضٌ لذلك لا بصريحه ولا فحواه . ولو جاز أن ينسب إلى الألفاظ دلالة لا تقتضيها لا بصريحها ولا فحواها لحاز أن يُنسبَ إليها أمورٌ لا تتنَاهَي ، وذلك محالٌ .

وقال سبحانه : « يتنازعون فيها كأسا لا لغوٌ فيها ولا تأثيمٌ »^(١) وليس تفسير هذا الرجل لقوله تعالى « لا فيها غَوْلٌ » بأن المراد تفضيلها على الخمر التي فيها غَوْلٌ بأولى من أن تُعكس القضية عليه ويُفسّر نحو قوله تعالى « لا لغوٌ فيها » بأنه يدلّ على تفضيلها على خمر الدنيا التي فيها اللغو والتأثيم ، فيجعل حرف النفي إذا باشر المنفي وتأخر الظرف دالاً على الأفضلية ، وإذا تقدّم الظرف دالاً على النفي المطلق على مناقضة ما ذكره ، فإنه لا فضل بين القولين إلا مُجرّد التسمي والتحكيم .

قال المصنف : « وتقديم الحال على ذي الحال يفيد الاختصاص ، نحو قولك : جاء ركباً زيدٌ ، بخلاف ما إذا قلت : جاء زيد ركباً ، فإنه لا يدلّ على ذلك ، لجواز أن يكون صاحكاً أو ماشياً أو غير ذلك »^(٢) .

أقول : أترجم أنك إذا قلت : جاء ركباً زيدٌ فإنك قد قصرت زيداً من دون سائر الأحوال والهيئات على الركوب فقط ، وأن ذلك ينفي كونه لابساً

(١) سورة الطور : الآية ٢٣ .

(٢) المثل السائر ٢/٢٤٨ .

وضاحكاً، وجائعاً، وغير ذلك من الأمور التي يُحتمل أن يكون عليها ؟ فإن قيل : نعم ! قيل له : كيف زعمت ذلك ، ولا منافاة بين كونه راكباً وكونه على هذه الأوصاف ؟ ، وأي دلالة في تقديم الحال على انتفاء غيرها ؟ وهذا لغو من القول .

قال المصنف : « والاستثناء المتقدم جارٍ هذا المجزئ ، نحو قولك : ما قام إلا زيداً أحدٌ ، وإنه يدل على الاختصاص بخلاف قولك : ما قام أحدٌ إلا زيداً^(١) .

أقول : لعمري إن قولك : ما قام إلا زيداً أحدٌ يدل على اختصاص زيد بالقيام ، لا لأجل تقديمه على الفاعل ، بل لأجل الاستثناء الذي يدل على إخراج ما حكم به على غيره ، فلولا اختصاصه بذلك لبطلت فائدة الاستثناء ، ولكن هذا المعنى مطردٌ في حالتَي تقديم زيد وتأخيره ، لأن الاستثناء يدل في كلا الموضعين دلالةً واحدةً على اختصاص زيد بالقيام دون غيره ، لأنه لو قام غيره لكذب في قوله : إلا زيداً .

ألا ترى أن من تُحاول تكذيبه تقول له : كذبت ، لأن خالداً قد قام أيضاً ؟ فلا فرق في هذا الاختصاص بين تقديم المستثنى وتأخيره .

فإن كان هذا الرجل بدوقه وحسّه قد تَمَطَّن لاختصاص زائدٍ على هذا المعنى عند تقديم المستثنى لا يُؤخذُ عنده تأخيره ، فهذا الرجل قد أدرك ما غفل عنه الأولون والآخرون ، ورزق حساً وذوقاً وقَفَ على ما لم يقِفْ عليه غيره ، ولا كلام لنا مع من هو بهذه الصفة ، وإنما نتحدث

مع أمثالنا وأشكالنا ، وأما مَنْ تَرَفَّقِي إلى طبقةٍ أخرى فإن أمره بِسَجِلٍ
عن ذلك ..

قال المصنف : « وقد اختلف الناسُ في حَمَلِ مَرِيَمَ عليها السلام
كم مُدَّتُهُ ، فقال قوم كَحَمَلِ غيرها من النساء ، وقيل ثلاثة أيام ،
وقيل أقل ، وقيل أكثر . قال : والصحيح أن حملها ووضعها كانا متقاربين
على الفور من غير مُهْلَةٍ ، وربما كان ذلك في يوم واحد أو أقل ، لقوله
تعالى : (فحَمَلَتْهُ فَاِنتَبَذَتْهُ بِهٖ مَكَانًا قَصِيًّا ، فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ
النَّخْلَةِ) لأنه عطف بالفاء وهي للفَوْر ، ولو كان هناك تراخٍ ومُهْلَةٌ
لعطف بِثم التي هي تفيد المهلة »^(١) .

أقول : إن الفاء ليست للفَوْر ، بل هي للتعقيب على حَسَبِ ما يَصِحُّ
إمّا عقلاً أو عادةً ، ولهذا صح أن يقال دخلت البصرة فبغداد ، وكان
بينهما زمانٌ كثير ، لكن تعقيب دخول هذه عن دخول تلك على ما يمكن ،
بمعنى أنه لم يمكث بواسط مثلاً سنة أو مدةً طويلةً ، بل طَوَى المنازل
بَعْدَ البصرة ولم يُقَسِّمْ بواحد منها إقامةً يخرج بها عن حَدِّ السفر إلى أن
دَخَلَ بغداداً ، وهذا هو الذي يقوله أهلُ اللغة وأهلُ الأصول ، وليست
الفاء للفَوْر الحقيقي .

أقول : معناه حصول هذا بعد هذا^(٢) بغير فَصْل ولا زمان كما توهمه
هذا الرجل ، ألا ترى إلى قوله تعالى : (لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ
هذا الرجل ، ألا ترى إلى قوله تعالى : (لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ

(١) المثل السائر ٢/٢٦١ .

(٢) يريد حدوث الوضع بعد الحمل .

بعذاب (١) والعذاب مترائح عن الافتراء .

وقال : (فلا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ — فَتَرَدَّى) (٢) والردى مترائح عن الصد عنها . وقال : (وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نباتٍ شَتَّى) (٣) وليس خروج النبات عَقِبَ أنزال المطر ، بل هو مترائح عنه . وقال : (ولقد عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ) (٤) ولم يكن النسيان عَقِبَ العهد ، فإنه قد دام مَكُثُهُ متجنباً للشجرة التي نُهيَّيَ عن أكلها مائة عام ، ثم أكلها .

وفي القرآن من هذا الجنس الكثير الواسع ، فإذا ن لا يدل قوله تعالى : (فانتَبَذَتْ به مكاناً قصياً فأجاءها المخاض) ، أن ذلك كله كان في يوم واحد أو أقل ، كما اعتقده هذا الرجل .

قال المصنف : « ومن هذا الباب قوله تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان من سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثم جعلناه نطفةً في قرارٍ مَكِينٍ ، ثم خلقنا النطفة عَلَقَةً ، فخلقنا العلقَةَ مُضْغَةً ، فخلقنا المضْغَةَ عِظَاماً ، فكسونا العِظَامَ لحماً ، ثم أنشأناه خَلْقاً آخر) قال فذكر الخلق الأول من الطين وهو آدم ، ثم عطف عليه الخلق الثاني بضم ، لما بينهما من التراخي ، ولما صار إلى القدر الذي يتبع بعضه بعضاً من غير تراخ عطفه بالفاء ، ولما انتهى إلى جعله ذكراً أو أنثى ، وهو آخر الخلق ، عطفه بضم .

(١) سورة طه : الآية ٦١ .

(٢) سورة طه : الآية ١٦ .

(٣) سورة طه : الآية ٥٣ .

(٤) سورة طه : الآية ١١٥ .

ثم اعترض على نفسه فقال قد وَرَدَتْ آيَةٌ أُخْرَى بلفظة ثم لهذه التقلبات بعينها ، وهي قوله تعالى : (إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ بَيْعِنَا فَأِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ، ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ) ثم أمسك عن الجواب ^(١) فلم يقل شيئاً هكذا وجدته في نسخة هذا الكتاب التي وصلت إلينا من الموصل فطلبت نسخة أخرى ، ثم تأملتها فوجدته أيضاً قد أدخل بياضاً للجواب .

أقول : قد كان الواجب عليه أن يتفطن من ها هنا لحقيقة الفاء ، وأنها ليست كما يظن أنها تقتضي الفَوْرَ الحقيقي ، وإن وُجد أحدها في الزمان الأول ، والآخر في الزمان الثاني بلا فصل ، بل تقتضي التعقيب على ما يصح ويمكن كما قدمنا ، فأما ثم فتقتضي تراخياً ومُهْلَةً أكثر مما في الفاء .

ومن العجب ظنه أن الفاء في قوله تعالى : (فخلقنا العَلَقَةَ مُضْغَةً ، فخلقنا المضغَةَ عظاماً ، فكسونا العظامَ لحماً) للتعقيب الذي يتوهمه ، وهو عَدَمُ الزمان المحسوس بين الحالتين ، وكيف يمكن أن نعتقد هذا ، وبين صيرورة العَلَقَةِ مضغَةً زمانٌ طويل ، وبين صيرورة المضغَةَ عظاماً مِثْلُ ذلك ، ولو كان الأمر كما تصوره هذا الرجل لوجب القول بأن الزمان الذي تتكون فيه النطفة علقية ، تتكون في الزمان الثاني منه بلا فصلٍ مُضْغَةً ، وتتكون في الذي يليه بلا فصل عظاماً ، وتتكون في الزمان الذي يليه على تلك العظام لحم ، وتتكون هذه المراتب كلها ، وتقع جميعها في أقل من عشرة من عواشر الدقائق ، وهذا أمرٌ ما قاله مخلوق قط .

وهو مع ذلك مخالفٌ للحس والوجدان ، فالآية الثانية الواردة بلفظة

(١) المثل السائر ٢/٢٦٢ وليس في الكتاب جواب عن السؤال .

«ثُمَّ» غَنِيَّةٌ عن التأويل محكمة واضحة، لأن لفظة «ثُمَّ» واقعة موقعها .

فإننا إذا استقبحنا على سياق كلامه أن يقول: قام زيد يوم السبت ، فقام عمرو يوم الأحد ، لأجل أن بينهما يوماً واحداً ، وأوجبنا أن يقول: ثم قام عمرو يوم الأحد ، وجعلنا مدة اليوم فقط مهلةً وتراخياً يليق أن يؤتى بثم لأجلها ، فالأولى أن يؤتى بثم في أطوار الحلقة التي لا ينتقل طور منها إلى طور آخر إلا في الأيام الطويلة التي تتجاوز الشهر .

فأما قوله: ولما صار إلى جعله ذكراً أو أنثى ، وهو آخر الخلق، عطفه ، بثم ، فنقول له : أين في الآية ذكرُ جعله ذكراً وأنثى ؟ فإن كنت تعني قوله (ثم أنشأناه خلقاً آخر) فإن تقسيم الحيوان المخصوص إلى ذكر أو أنثى ما كان في آخر المراتب كما يتوهم ، بل إما في أول التكوين وابتداء الأطوار على ما يعتقده قوم ، أو عند جعله عظماً ولحماً ، لأنه لا يغيّره أن يجعله لحماً وعظماً ، فيكون إنساناً كاملاً ، ومع ذلك فليس بذكر ولا أنثى .

فالذي سبق إلى ذهر هذا الرجل من أن المراد بقوله «ثم أنشأناه خلقاً آخر» الذكورة والأنوثة قد سبق قبله إلى أذهان قوم من صنعة المفسرين ، وهو غلط ، بل المراد بذلك أننا أخرجناه من ذلك الوعاء إلى خارجه ، وجعلناه مستقلاً بنفسه بعد أن كان جزءاً من أمه ، لأنه كان يَحْتَذِرُ باغْتِذَائِهَا ، كما يَحْتَذِرُ عَضْوً من أعضائها ، فلما استقل بنفسه في الغذاء وغيره وجميع صورته ، وظهر شخصه صار خلقاً آخر .

قال المصنف: «ومن الألفاظ ألفاظٌ يراد بها المبالغة والتكثير ، كالألفاظ التي يجيء على وزن فَعَالٍ كَسَوَابٍ وَغَفَارٍ فإنهما يفيدان كثرة التوبة

والمغفرة وتكررها من الفاعل ، وليس ككاتب وغافر ، فإنهما يدلان على وقوع المغفرة والتوبة من الفاعل ، ولو مرة واحدة .

قال : وقد وهمَ بعضُ شعراءِ الحماسة في هذا الموضع فقال :
 لِلّهِ تَيْمٌ أَيُّ رُمُحٍ طَرَادٍ لَاقِي الْحِمَامِ وَأَيُّ نَصْلِ جِلَادٍ ؟
 وَمَحِشُّ حَرْبٍ مُّقَدِّمٍ مُنْعَرِضٍ لِلْمَوْتِ غَيْرِ مُكْذَبٍ حَيَّادٍ
 قال : فانعكس عليه القصد ، لأنه إذا نفى كونه حَيَّاداً فقد نفى عنه كونه كثير المزيمة والانحراف عن قرينه ، وذلك أن يكون قليلهما ، ولا شبهة أن يكون غير حَيَّاد ولكنه حائد ، أي وجدت منه الحيثودة مرة واحدة ، وإذا وجدت منه مرة كان ذلك جُبْناً ، ولم يكن شجاعة ، والأولى أن كان قال : غير مكذب حائد « (١) » :

أقول : فعلى هذا القياس يكون قوله تعالى : (وما ربك بظلامٍ للعبيد) (٢) يقتضي أن يكون دالاً على نفي تكرار الظلم ، ويكون مفهوم ذلك وفحواه أنه يظلمُ العبادَ ظملاً قليلاً ، كما كان فحوى بيت الشاعر أن هذا المرئيَّ يَجْبُنُ نادراً ، وأن يكون قوله صلى الله عليه وسلم لعليّ عليه السلام : « لأعطينَّ الرايةَ غداً لرجلٍ يحبُّ اللهَ ورسولَهُ ، ويحبهُ اللهُ ورسولُهُ ، كَرَّارٍ غيرِ فَرَّارٍ » أي لا يكثرُ الفَرَّ بل يَتَقَرُّ أحياناً في النادر ، مع أن علياً لم يَتَقَرَّ قطُّ على ما نقل عنه المخالفُ والمؤلفُ ، وأن يكون قول سَطِيحٍ (٣) في كَهَانَتِهِ على رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس

(١) المثل السائر ٢/٢٨٠ ومنه أصلنا النص .

(٢) سورة فصلت : الآية ٤٦ .

(٣) سطيح كاهن بني ذئب ، كان يتكهن في الجاهلية ، وأخبر ببعثه صلى الله عليه وسلم . ومات بعد مولد النبي . قالوا إنه سبي بذلك لأنه كان إذا غضب قعد منبسطاً فيها زعموا ، وقيل إنه سبي بذلك لأنه لم يكن بين مفاسله نصب تمتدته فكان أبداً منبسطاً منطحاً على الأرض لا يقدر على قيام ولا قعود . وهو خال عبد المسيح بن عمرو بن بقلية الفسائي ، وابن خالة شق الكاهن (هاشم القاموس مادة سطيح) .

بِفَطْرٍ وَلَا صَحَابٍ» يقتضي ألا يَصْحَبَ كثيرٌ. بل يَصْحَبُ في وقتٍ بَعِيدٍ .
واعلم أن العرب إذا استعملت هذه اللفظة في النفي فإنهم لا يَعْنُونَ
بها إلا ما يعنون بالصفة فاعل فقط ، ولو شئتُ أن أذكر من ذلك الأمثلة
الكثيرة لذكرتها ، فأما في الإثبات فإنهم قلَّ أن يستعملوها إلا في الكثرة
والتكرير كما ذكره هذا الرجل ، وكان الواجب أن يَتَصَفَّحَ كلامهم ،
ويُفَرِّقَ بَيْنَ استعمالهم لها تَقْبِيًّا واستعمالهم لها إثباتاً .

قال المصنف : « وينبغي أن يُعْلَمَ أنه إذا وردت لفظةٌ من الألفاظ ،
ويحوز حملها على التَّضْعِيفِ الذي هو طريقُ المبالغة ، وحملها على غيره ،
أن يُنْظَرَ فيها . فإن اقتضى حملها على المبالغة ، فهو الوجهُ .

وذلك أن قوة اللفظ لقوة المعنى لا تستقيم إلا في نقل صيغةٍ إلى صيغةٍ
أكثر منها ، كنقل الثلاثي إلى الرباعي .

وإلا فإذا كانت صيغة الرباعي مَثَلًا موضوعةً لمعنى ، فإنه لا يُراد
بها ما أُريد مِنْ تَقْلِيلِ الثلاثيِّ إلى مثل تلك الصيغة .

ألا ترى أنه إذا قيل في الثلاثي (قَتَلَ) ثم نقل إلى الرباعي فقيل
(قَتَّلَ) بالتشديد ، فإن الفائدة من هذا النقل هي التكرير ، أي أن القتل
وُجِدَ منه كثيراً ؟ .

وهذه الصيغة الرباعية بعينها لو وردت من غير نقل لم تكن دالةً على
التكرير ، كقوله تعالى : (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) ، إذ أنه لا ثلاثي
لهذه اللفظة » ^(١) .

(١) المثل السائل ٢٨٣/٢ - ٢٨٤ ومنه نقلنا النص وصحناه .

أقول : إنه لا يصحُّ أن يقال على الإطلاق متى كان لهذه الصيغة وهي فعَلٌ بالتشديد ثلاثيٌ ، فإنها تُعطِي معنى التَكثيرِ والقوَّةِ ، وذلك أنا قد وجدناها في مواضع بخلاف هذه الصفة ، نحو قولك : قلَّصَتْ شفته إذا انزَوَتْ بالتخفيف ، ومثله قلَّصَتْ بالتشديد ، ولا فَرْقَ بينهما عند أهل اللغة في كثرةٍ ولا قلةٍ ، وقد نصَّوا عليه ، وذكر صاحب ديوان الأدب فقال : قَصَّرَ من الصلاة وقَصَّرَ منها ^(١) .

فأما قوله : إن فعَلٌ مشدداً إذا لم يكن له ثلاثي قد نُقِلَ عنه فإنه لا يَدُلُّ على الكثرة فصحيحٌ ، لكن تمثيله بقولهم : رَتَّلَ القراءة غير صحيح ، لأن هذه اللفظة لها فعلٌ ثلاثيٌ وهو رَتَّلَتْ قراءته بالكسر رَتَّلًا أبضاً ، ويقال منهما نَغَرَّ مُرَتَّلٌ ، وكلام مُرَتَّلٌ .

فأما تمثيله بكَلَّم فتُمثِلُ صحيح لا نزاع فيه .

قال المصنف : « وقد ذهب جمهورُ علماء العربية إلى أن عليماً أبلغُ في معنى العلم من عالم .

قال : ولا أرى ذلك صواباً ، لأنك تجد الحروف في الموضعين على عِدَّةٍ واحدةٍ لم ينتقل فيها الأدنى عدداً إلى الأعلى ، بل الذي يُوجبه القياس يقتضي عكس ما قالوا ، لأن فعلاً في وزن طريق وكريم وأمثالها من أمثال الأخلاق والطبائع التي لا تقع إلا قاصرة ^(٢) ، وفاعلها على هذا الوزن هو

(١) في أساس البلاغة : قصر من الصلاة قصرأ وأقصر وقصر (بتشديد الصاد في الأخيرة) .

(٢) يريد بالقاصرة اللازمة .

فعليل^(١) لا غير ، وليس بناء فاعلٍ كذلك ، لأنه يجيء من المتعدى كضارب ومن اللازم كقائم ، وما يشبه مالا يكون إلا للقاصر أضعف مما يكون بناؤه للمتعدّي والقاصر معاً^(٢) .

أقول : إن فعيلًا وإن لم يَنْصُصْ العرب على أنه للمبالغة فقد نهوا على ذلك باستعمالهم إياه خبراً عن الجماعة ، وإجراء صفته على المذكر والمؤنث ، أما كونه خبراً عن الجماعة فنحو قول جرير :

جَلَوْنَ العيونَ النَّجَلَ ثُمَّ رَمَيْنَا بِأَعْيُنٍ أَعْدَاءَ وَهْنٍ صَدِيقٍ^(٣)

ومثله في الخبر قوله تعالى : (إن رحمة الله قريبٌ من المحسنين)^(٤) ، ولم يقل قريبة .

وإذا وُصِفَ به المذكر والمؤنث ووقع خبراً عن الجماعة صار كالمصادر الواقعة للأجناس المشتركة في الوصف بها المفرد والجمع والمذكر والمؤنث ، نحو قولهم : رجل فِطْرٌ وامرأة فِطْرٌ ورجال فِطْرٌ ونساء فِطْرٌ ، ومثل هذا لم يجيء في وزن فاعل ، وعلة ذلك أن فعيلًا أشبه فعولًا ، لأنه صفة مثله وثالته حَرَفٌ مدٌّ ، وفعول قد وقع للجمع والمفرد والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ، قال الله تعالى : (فلنهم عدوٌ لي إلا ربّ العالمين)^(٥) فعَدُوٌّ

(١) قال ابن الأثير : عالم اسم فاعل من علم وهو متعد ، وعليم اسم فاعل من علم (بضم اللام) إلا أنه شبه وزن الفعل القاصر ، نحو شرف فهو شريف وكرم فهو كريم ، فهذا الوزن لا يكون إلا في الفعل القاصر . فلما شبه (عليم) انحط عن رتبة (عالم) الذي هو متعد .

(٢) المثل السائر ٢٨٥/٢ بتصريف .

(٣) البيت في الديوان (٣٩٨) :

دعونا الهوى ثم ارتمين قلوبنا
من قصيدته في ملح الحجاج التي مطلعها :

وبت أرائي صاحبي تجلدا

(٤) سورة الأعراف : الآية ٥٦ .

(٥) سورة الشعراء : الآية ٧٧ .

بأسهم أعداء وهن صديق

وقد علقني من هواك علوق

فَعُول ، وقد أُخْبِرَ به عن الجماعة : أي أنهم لي أعداء .

وقالوا: امرأة شَكُورٌ كما قالوا : رجل شكورٌ ، وإنما استعملوا فعولاً للمبالغة والكثرة ، لأنه على لفظ فعول الذي يقع مصدرًا ، نحو الدُّخُول وليس بينه وبينه إلا ضَمٌّ هذا وفتح هذا .

وقال أبو الفتح رحمه الله: سَرَى التذكير من فعُول المصدرِيَّ إلى فعول الوصفي ، يعني أن المصدرَ للجنس ، والغالبُ على الجنس التذكير ، فلذلك لم يؤنث فعول إذا وقع للمؤنث بمعنى فاعل ، نحو امرأة صبورٌ ، وامرأة شكورٌ ، وشذ قولهم : امرأة عدوَّةٌ ، حملوه على قولهم : امرأة صديقةٌ بالهاء الفارقة في الواحد بين المذكر والمؤنث .

فأما قوله: إن فعلياً يجيء من أفعال الغرائز فذلك لاينافي وقوعه للمبالغة، لأن قولنا: قَدُمَ فهو قديمٌ فيه مبالغة ، وكذلك عَتَقَ فهو عتيقٌ بمعنى قَدُمَ في الزمان على جهة المبالغة ، وقال سبحانه : (حتى عاد كالعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) (١) .

قال المصنف : «ومن التطويل الذي لا حاجة إليه قول العُجَيْرِ السَّلُولِيِّ من شعراء الحماسة :

طَلَوْعُ الثَّنَايا بالمطايا وسابقٌ إلى غايةٍ مَنْ يَبْتَذِرُهَا يُقَدِّمُ
قال : فالزيادة قوله بالمطايا ، لأنه أراد ما أراد الحاجج بقوله : « أنا ابن جَلَا وطلاعُ الثنايا » أي سامي الهمة إلى معالي الأمور ، فالمطايا فضلةٌ ،

لأن معالي الأمور لا يُرْفَى إليها بالمطايا ، وإن أراد به أنه كثير الأسفار فتخصيصه الثنايا بالذكر دون سائر الأرض من المقاوز وغيرها لا فائدة فيه .

وعلى كلا الوجهين فذكر المطايا فضيلة لا حاجة إليها ، وهو تطويل بارد غث^(١) .

أقول : إن هذا الكلام مدخول من ثلاثة أوجه :

الأول أنه لو أراد ما أراده الحجاج من سمو همته إلى معالي الأمور ، وإحاطة علمه بالخفايا كما يحيط علم الربيئة الذي يطلع الثنايا بأحوال الأرض ومن يصير فيها ، لم يكن قوله : « بالمطايا » زيادة لا معنى تحتها ، لأنه كنى بالمطايا عن مساعيه وآثاره ومقاماته التي تقدم بها في معالي الأمور ، واكتسبها ، وسمّاها مطايا لأنها هي التي أوصلته إلى المعالي ، كما يصل الإنسان بالمطية إلى مقصده .

ولهذه العلة استعاروا هذه اللفظة ، فقالوا : الليل والنهار مطيبتان تُقَرَّبَانِ البعيد ، وسمّى أبو الطيب نعله ناقة^(٢) ، فقال :

لا ناقتي تقبلُ الرديفَ ولا بالسَّوطِ يومَ الرَّهَانِ أجهدُها^(٣)

فمرادُ الشاعر إذن أنني نلتُ معالي الأمور بالسَّعي والآثار والتوصل ، لا بالميراث ولا بالاختصار على شرف الأنساب .

والوجه الثاني لو أراد الإبانة عن كثرة الأسفار لكان لقوله : « الثنايا » مزية

(١) الملل السائر ٣٠٧/٢ .

(٢) من قصيدته في ملح محمد بن عبيد الله العلوي التي مطلعها :

أهلاً يدار سباك أغيداً أبعد ما بان عنك غردها

الديوان ١٩٥/١ .

والبيت في الفلك الدائر هكذا :

لا ناقتي تقبلُ الرديفَ لما كانت توصله إلى مقصوده

ظاهرة" على غيرها من الأرض ، لأن الثنايا والعِقاب والروابي أشقُّ
الأرض سيراً ، قال الشاعر :

وَتَنْيِيَّةٍ قَدْ ذُفِرَ بِحَارِبِهَا الْقَطَا

وَيَضِلُّ فِيهَا حِينَ يَغْدُو الْأَحْقَبُ (١)

وقال :

وَمَزْنَاءٌ لَا تَسْتَطَاعُ قَطْعَتُهَا

بِهَيْتٍ كَنَابُوتِ النَّصَارَى شَمَرْدَل (٢)

وأشعارهم في هذا الباب كثيرة جداً .

الوجه الثالث أنه أدعى أن لفظة المطايا هي الفضلة الزائدة ، ثم برهن
على ذلك بأن قَسَمَ المعنى إلى قسمين ، ثم بيّنَ أن أحد القسمين إن كان
هو المراد فالمطايا فضلةٌ زائدة ، وهو المطلوب ، ثم قال : وإن كان القسم
الثاني هو المراد فالثنايا فضلةٌ زائدة ، فإذا استدلاله لا ينتج المطلوب ، لأنه
إنما كان ينتج المطلوب لو ثبتت زيادة قوله بالمطايا على كلا القسمين ، فأما إذا
كان أحد القسمين لا يقتضي زيادتها ، بل زيادة غيرها ، فقد بطلَ قوله
أن ذكر المطايا فضلةٌ لا حاجة إليها ، على كلا الوجهين .

قال المصنف : « فأما بيتُ أبي تمام وهو :

(١) الأحقَب : الحمار الوحشي الذي في بطنه بياض .

(٢) المزناة : مكان الصمود في الجبل ، زناً في الجبل أي صعد .

الحقيق : ذكر النعام ، شبه به الجبل .

الشمردل : القوي السريع الحسن الخلق الفتي من الإبل وغيرها .

والبيت بالأصل (ومزناة) وقد رجحنا أن يكون تصويهاً (ومزناة) أو (ومنقبة) لأن
المنقبة الطريق الظاهر على رموس الجبال والآكام والربا .

يَتَجَنَّبُ الْآثَامَ ثُمَّ يَخَافُهَا فَكَأَنَّمَا حَسَنَاتُهُ آثَامٌ

فإنه قد جاء في بعض النسخ :

يَتَجَنَّبُ الْآثَامَ خِيفَةً غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا حَسَنَاتُهُ آثَامٌ

وليس بشيء ، لأن المعنى لا يصح به ، والوجه الرواية الأولى .

وقد خطر لي في معناه أنه نظير قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ) وتقديره أنه يتجنب الآثام ، فيكون قد أتى بحسنة ، ثم يخاف تلك الحسنة ، فكأنما حسناته آثام ، وهو على طباق الآية سواء^(١) :

أقول : إن هذا التفسير يكاد يكون التفسير ، ولكنه لم يوضحه ، لأنه قال : ثم يخاف تلك الحسنة ، ولا ريب أن الحسنة التي صَدَرَتْ منه هي تجنب الآثام ، وهي طاعة لا يخافها أحد ، فما باله خاف التجنب حتى صار كأنه من الآثام ؟ فقد بان أنه قد أعوزته كلمة لم يذكرها ، وهو أنه لا يخاف تجنب الآثام ، بل يخاف ألا يُقْبَلَ منه وألا يُثَابَ عليه ، فيكون خَوْفُهُ من ذلك خَوْفُهُ من الآثام نفسها ، ويكون هذا من باب حَدْفِ المضاف ، كأنه قال : يتجنب الآثامَ ثم يخاف رَدَّهَا أو يخاف إحباطها ، والضمير يرجع إلى مصدر قوله : يَتَجَنَّبُ ، لأن يتجنب قد دل على التجنب .

فإن قلت : ضمير المؤنث ها هنا كيف جاء والتجنب مذكر ؟ قلت : هو محمول على المعنى ، لأن التجنب كالجفوة والهجرة والمفارقة ، وإعادة الضمير على المعنى في باب التذكير والتأنيث كثيرة مشهورة .

وعلى هذا التحقيق ظهرت مطابقتها بالآية على أحسن تفسيرينها .

فأما قوله : إن رواية « خيفة غيِّها » لا يصح المعنى بها ، فإن بعض المفسرين قال إن هذا البيت محمولٌ على القلب ، وتقديره : فكأنما آثامه حسنات ، قال : ومعناه كأن آثامه حسنات غيره ، لأنه من الأبرار الأولياء الذين حسناتُ الناس سيئاتٌ بالنسبة إلى عباداتهم ، ومن كلامهم : حسناتُ الأبرارِ سيئاتُ المقربين ، يَعْنُونَ عُلُوَّ طبقةِ المقرِّين على طبقةِ الأبرار .

والقلب قد جاء في الكلام كثيرٌ نحو قولهم : أدخلتُ الخاتمَ في إصْبَعِي ، والتحقيقُ أدخلتُ إصْبَعِي في الخاتم ، لأن الإصبعَ هي التي أَدْخِلْتَ في الخاتم ، وقولهم : كأن الزُّنَّا فريضةَ الرجم ، وقال الآخر : وبكسدرٍ عاميةٍ أعْمَاؤُهُ كأن لونَ أرضه سَمَاؤُهُ^(١)

وقد جاء في التزويل شيءٌ من ذلك قال : (فإنهم عَدَوْوْني)^(٢) أي فإني عَدَوْوْ لهم ، وعداوتُه تعالى لهم براءته منهم ولعنته لهم ، وإذا ثبت هذا فالروايةُ التي أفسدها وزعم أنها لا تصح صحيحةٌ غير منكورة .:

قال المصنف : « فأما بيت أبي نواس ، وهو قوله :
سُنَّةُ العُشَّاقِ واحدةٌ فإذا أَحْبَبْتَ فاستكينِ

ومن الناس من يرويه « فاستسْتَنِ » بالنون ، وهذا لا معنى له ، لأنه إذا لم يُبَيِّنْ سُنَّةَ العُشَّاقِ ما هي ، فبأي شيءٍ يَسْتَنُّ المستنُّ منها^(٣) ؟ .
أقول : إن البيت الذي قبله يوضحُ سنةَ العشاق التي أمره أن يَسْتَنَّ

(١) البيت لرؤبة ، والأعْماء المجاهل ، وأعْماء عامية على المبالغة ، على حد قولهم : ليل لائل ، وشغل شاغل . وقال الأزهري : عامية دأرة وأعْماء مجاهله (لسان العرب مادة عسى) .

(٢) سورة الشعراء : الآية ٧٧ .

(٣) المثل السائر ٢/٢٢٥ .

بها ، ألا ترى أن مَنْ قال لغيره : إذا دخلت على الملك فاسْجُدْ ، ثم قال عَقِيبَ ذلك : عادةُ عَبِيدِ الْمَلِكِ وخَوَالِهِ مشهورةٌ ، فإذا أَحْبَبْتَ أن تكون منهم فاعمل بها ، فإنه يفهم من هذا الكلام أنه إشارةٌ بالعادة إلى ما قدَّمه أولاً من السجود للملك ؟ .

قال المصنف : « بعد أن ذكر آياتٍ كثيرةً من الكتاب العزيز تتضمن حذف جملٍ مفيدة وغير مفيدة : ومن هذا الباب قوله تعالى : (قال الذي عنده علمٌ من الكتاب أنا آتيتك به قبلَ أن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ، فلما رآه مُسْتَقِرًّا عنده قال هذا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ؟ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ . قال نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا) لأن الأمر بتنكيره لا يكون إلا بعد أن جيء به إليه »^(١).

أقول : تقديرُ هذا الحذفِ غَيْرُ محتاجٍ إليه في هذه الآية ، لأننا إن جعلنا الضمير في « رآه » وفي « عنده » راجعاً إلى الذي عنده علم من الكتاب جعلنا الضمير في « قال نكروا لها » راجعاً إلى سليمان ، فيكون تقدير الكلام : فلما رأى الرجلُ الذي عنده علمٌ من الكتاب عَرْشَ بَلْقِيسَ مستقراً عنده ، قال : هذا من فَضْلِ رَبِّي إلى آخر الآية ، ثم هذا يَحْكِي قَوْلَ سُلَيْمَانَ « نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا » فلا تحتاج الآية إلى حذف ولا إضمار .

وإن جعلنا الضمائر كلها راجعة إلى سليمان لم يُحْتَجْ أيضاً إلى الحذف الذي ذكره ، بل يكون قَوْلُهُ : نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا إما معطوفاً حذف منه حرف العطف ، تقديره : وقال نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا ، كما قال : (لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً

(١) المثل السائر ٣٢٩/٢ .

من دُونكم لايّاً او نكم خَبَلاً ، وَدُّوا ما عَنَيْتُمْ ، قد بَدَتِ البغضاء من أفواههم^(١) أو جواباً ثانياً للمّا ، أو كلاماً مستأنفاً ، كأنه فرَغَ من تلك القصة ، ثم شرعَ في جملة أخرى ، وهي أنه لا حاجة إلى حذف المذكور ، لأنه لما قال فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ، وهذا يغني عن أن يقدر مرة ثانية (فلما جيء به) لأن معناها واحد .

— ١٢١ —

قال المصنف : « وقد نص أبو الفتح ابن جنِّي على أن حذف الفاعل لا يجوز ، قال : وبيت حاتم يشهد بخلاف قوله وهو :
أماوي ما يُعْني الشراء عن الفتي إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ
وقال الله تعالى : (حتى توارت بالحجاب) ولم يذكرها^(٢) .

أقول : إن البصريين كلهم قد منعوا حذف الفاعل لقاعدة مقررة عندهم ، وهي : أن الفاعل ينزل منزلة جزء من الكلمة ، لأنهم سَكَنُوا لام الفعل إذا اتَّصَلَ به ضمير الفاعل ، نحو ضربت ، كيلاً تتوالى أربع متحركاتٍ لوازم في كلمةٍ واحدةٍ ، فإن ذلك لا يوجد إلا أن يكون قد حُذِفَ حرفٌ من الكلمة للتخفيف ، نحو عُلَيْط^(٣) ، فإسكانهم لام الكلمة تنزِيل لضمير المتكلم وهو الفاعل مَنزِلَةً حرف من نفس الكلمة ، ولذلك لم يُسَكَّنُوا لام الفعل إذا اتَّصَلَ به ضمير المفعول كقوله تعالى : (ما وعدنا الله ورسوله^(٤)) لأنه في نيّة الانفصال ، بخلاف قوله : (وإذْ وعدنا

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٣ .

(٢) المثل السائر ٣٣٢/٢ ولم يذكر ابن الأنثير هذه الآية ، بل ذكر آية أخرى هي : (كلا إذا بلغت التراقي) وقال إن الضمير في بلغت للنفس ولم يجر لها ذكر .

(٣) العليط والعلابط بضم عيْنهما وفتح لامهما وكسر بائهما الضغَم والقطيع من الغنم (القاموس المحيط) .

(٤) سورة الأحزاب : الآية ١٢ (وإذْ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) .

موسى^(١) قالوا وكذلك جَعَلُوا النونَ في يَفْعَلان وبَابِهِ علامة الرفع ،
فلولا أن الألفَ بمنزلة حرف من نفس الكلمة لما جعلوا الإعراب بعده ،
ولأنهم ألحقوا علامة التانيث بالفعل في قولهم : قامت هند ، والفعل
لا يؤنث ، فلو لم يكن الفاعل بمنزلة جزء من الفعل لما جاز إلحاق علامة
التانيث به .

وقد نسبوا إلى (كُنْتُ) فقالوا كُنْتِي ، قال الشاعر :
فأصبحت كُتِيًّا وأصبحت عاجنًا وشرُّ خصال المرء كُنْتُ وعاجنٌ^(٢)
فأثبتوا الياء ، ولولا تزييلها منزلة جزء من الكلمة لم يثبتوها في النسب ،
ولهم على هذه القاعدة أدلة كثيرةٌ مذكورةٌ في مواضعها .

وإذا كان الفاعل بمنزلة جزء من الكلمة لم يَجْزُ حذفه ، كما لا يجوز
حذف الدال من زيد ، ولكنه يُضْمَرُ ، فتارةً يَرْجِعُ إلى شيء متقدم
في اللفظ ، كقولنا: زيدٌ قام ، وتارةً إلى ما يَدُلُّ عليه لفظ مُصَرَّحٌ به ،
وإن لم يكن المضمر راجعاً إلى ذلك اللفظ ، كقولهم : من كذب كان شرًّا له ،
فاسم كان مضمر دل عليه لفظ كَذَبَ ، والمعنى كان الكذب شرًّا له ، قال
الله سبحانه : (ثُمَّ بَدَأْهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنُنُهُ)^(٣)
أي بدأهم بداء ، فأضمر الفاعل لدلالة بدا عليه .

وقد أضمره الشاعر فقال :

لعلك والموعودُ حُتَّى لِقَاؤِهِ

بَدَأَ لك في تلك القُلُوصِ بَدَاءُ^(٤)

(١) سورة البقرة : الآية ٥١ .

(٢) الكنتى : الكبير العمر (القاموس مادة كان) .

العاجن : الشيخ الكبير ، يقال فلان عجن وخبز أي شاخ وكبر ، لأنه إذا أراد القيام
اعتمد على ظهور أصابع يديه كالعاجن ، وعلى راحتيه كالحايز (أساس البلاغة مادة عجن) :

(٣) سورة يوسف : الآية ٣٥ .

(٤) القلوص : النافذة الفتية أو الباقية على السير . بدا : رأي نائي .

وقد تقدم أن قوة العلم بالفاعل في بعض المواضع تقوم مقام ذكره أو ذكر ما يدل عليه ، كقوله تعالى : (حتى توارث^(١)) وقول حاتم (إذا حشرجت) .

والضابط في ذلك ألا يزيد ذِكْرُ الفاعل في قوة العلم به على ما يحصل من قوة العلم وهو غير مذكور كما في الآية والبيت ، فإنه لو ذكر الشمس والنفس لم تَرِدْ قوة العلم على ما نجده الآن ، وإن لم يذكرهما ، وهذا هو الفرق بين حذف الفاعل وحذف غيره ، فإن هذا الضابط غير معتبر في شيء من المواضع إلا في الفاعل إذا لم يذكر .

قال المصنف : وقد يحذف الفعل لدلالة المفعول عليه ، كقولهم : « أَهْلَكَ وَاللَّيْلَ » بتصبها معاً أي اَلْحَقْ أَهْلَكَ وَبَادِرِ اللَّيْلَ^(٢) .

أقول : ظاهرُ هذا الكلام أنه انتصب اللفظان بإضمار فعلين ، وهو خلاف ما تقولهُ النَّحَاةُ ، لأنهما عندهم منصوبان بفعل واحد ، تقديره بَادِرْ أَهْلَكَ وَاللَّيْلَ ، ومعناه بَادِرْ أَهْلَكَ قَبْلَ اللَّيْلِ ، وتحقيق ذلك أن معنى المبادرة مسابقتك الشيء إلى الشيء ، كقولك : بادرت زيداً للمنزل ، كأنك سابقته إليه ، فلما عطف الليل على الأهل وجعلها مُبَادِرَيْنِ أمره بمبادرتهما قَبْلَ أن يسبقه أحدهما إلى الآخر .

قال المصنف : حَذَفُ الفعل ينقسم إلى قسمين : أحدهما يَظْهَرُ بدلالة

(١) سورة ص : الآية ٣٢ (حتى توارث بالجمع) أي الشمس .

(٢) المثل السائر ٢/٣٣٣ .

المحذوف عليه ، كما ذكرناه من قولهم : أهلك والليل ، وكقول النبي :
وما أرضى لمقلته بحلم إذا انتبهت توهمه ابتشاكاً^(١)
ولا إلا بأن يصغي وأحكي فليتك لا يتيممه هواكا
فقوله: ولا إلا بأن تصغي فيه محذوف ، تقديره ولا أرضى إلا بأن
تصغي وأحكي .

قال : والقسم الثاني لا يظهر فيه الحذف ، لأن هناك منصوباً يدل عليه ،
بل بالنظر إلى ملائمة الكلام ، كقوله تعالى : (وعرضوا على ربك صفاً ،
لقد جئتمونا كما خلقناكم) وكقوله : (ويوم تعرض الذين كفروا على
النار أذهبتم طبيباتكم في حياتكم الدنيا) وكقوله : (ووصينا الإنسان
بوالديه حسناً ، وإن جاهداك فتقدير ذلك كله : وقلنا لقد جئتمونا ،
وقلنا أذهبتم طبيباتكم ، وقلنا وإن جاهداك »^(٢) .

أقول : لا فرق بين هذا القسم وبين قوله : إلا بأن تصغي وأحكي ،
لأنه لو أظهر (وقلنا) لكان ما بعده منصوباً لأنه مفعول به ، كما لو أظهر
المفعول فقال : ولا أرضى شيئاً إلا بأن تصغي ، فالقول ينصب ما بعده
إذا كان كلاماً مقولاً كما ينصب الفعل مفعوله ، وكما أن موضع (لقد
جئتمونا) هو المنصوب لا لفظه ، ولا فصل بين الموضعين ، فدعواه أن هذه
الآيات علم الحذف منها بالنظر إلى ملائمة الكلام لا بأن في الكلام مفعولاً
يدل على حذف الفاعل ، وأن قوله (ولا إلا بأن تصغي وأحكي) خلاف
ذلك دعوى غير مقبولة .

(١) الابتشاك : الكذب .

(٢) المثل السائر ٢/٣٣٥ .

قال المصنّف : ومن المحذوفات لفظة « لو » في قول الشاعر :
 لو كنت من مازنٍ لم تستبجح إبلي بنو اللقيطة من ذُهلِ بنِ شيبانا
 إذا لقامَ بنصري معشرٌ خشنٌ عن الحفيظة إن ذو لؤثة لانا
 فجواب الشرط قد استوفاه في البيت الأول ، فلا بد في البيت الثاني
 من تقدير « لو » دفعة ثانية ، أي لو كنت منهم إذن لقام بنصري معشر
 خشن^(١) .

أقول : إن هذه المسألة تنبني على أن العامل في البدل هو العامل في المبدل
 منه أم لا ، فإن لم يثبت ذلك لم يصح هذا الكلام ، لأنه جاز أن يكون قوله
 « إذن لقام بنصري » بدلاً من قوله « لم تستبجح إبلي » لأنه في معناه ، والفعل
 يبدل من الفعل إذا كان في معناه ، نحو أدنُ يا فتى أحسن إليك أعطيك
 مالاً ، وإذا لم يحتاج في البدل إلى تكرير العامل لم يحتاج هنا إلى تكرير أو ،
 وإن لم تثبت هذه القاعدة فإن ما ذكره صحيح لا ريب فيه .

قال المصنّف في باب التكرير : « التكرير على قسمين تكرير في اللفظ
 والمعنى جميعاً ، وتكرير في المعنى فقط دون اللفظ .
 فالأول نحو قولك لمن تستدعيه : أسرع أسرع ، ونحو قوله تعالى :
 (يريد الله أن يُحقّق الحق بكلماته ويَقْطَعَ دابر الكافرين ، ليحقّق الحقَّ
 وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) ومثل قول أبي الطيب المتنبي :
 ولم أرَ مثلاً جيرانِي ومِثْلِي لمثلي عندِ مِثْلِهِمْ مقامٌ^(٢)

(١) المثل السائر ٣٥٦/٢ .

(٢) المثل السائر ٧/٣ .

أقول: التمثيل باللفظة المذكورة وبالآية تمثيلٌ جيدٌ

وأما التمثيل بالبيت فغير جيد ، لأنه لم يتكرر فيه اللفظ والمعنى حسب تكرره في الآية وفي اللفظة المذكورة ، لأنه لم يَدْكُرْ في صدر البيت إلا نَفْيُ رؤيةٍ مثلهِ ومِثْلَ جيرانه ، ولم يُبَيَّنْ في ماذا ، ولا هذه المِثْلِيَّةُ والمِشَابَهَةُ في أي شيء ، فمن الممكن أنه كان يعني لم أر مثلي ومثلهم في حُبِّ بعضنا لبعض ، أو في بغض بعضنا لبعض ، أو في جُودنا أو في شجاعتنا ، أو في ديانتنا ، فلما قال في عجز البيت: « لَمْثَلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مَقَامٌ » كشف ذلك الإجمال ، وأزال ذلك الإبهام ، وأبانَ عن أن مرادَهُ لم أر مثلي مُقِيمًا بين ظهرائي مِثْلِهِمْ ، يعني أنهم على غاية الإساءة لِعِشِيرَتِهِ ، وأنه على غاية الصبرِ عليهم ، والاحتمال لهم ، وأن مقامه عظيمٌ لا يصلح أن يكون مثلهُ مُقِيمًا بَيْنَ هؤلاء الرِّعَاعِ .

فالشاعر لم يكرر كما تكررت ألفاظ الآية ، ولا وُجِدَ اللفظ والمعنى معاً مُرَدَّدَيْنِ مكررين في هذا البيت ، ولكن أول ألفاظه يُعْطِي معنىً مجملًا ، والثاني يُعْطِي مفصلاً ، وهو شرح ذلك المُجْمَلِ ، فلم يكن ذلك تكريراً مشتملاً على إعادة اللفظ والمعنى معاً ، فلم يَجْزُ إدخاله في هذا القسم ، وذكره في جملة أمثله .

قال المصنف: « فأما قوله تعالى : (فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعت ، تلك عشرة كاملة) فليس كما يُتَوَهَّمُ من أنه تكرير فقط ، بل المراد به إيجاب صَوْمِ الأيام السبعة عند الرجوع في الطريق على الفور

لا عند الوصول إلى البلد ، كما ذهب إليه بعض الفقهاء ، وقال : لأن الأمر إذا صدرَ بلفظ التكرير مجرداً عن قرينة يُخرجهُ عن وصفه ، ولم يكن مؤقتاً بوقت معين ، كان ذلك خطأً للمأمور على المبادرة على الفور ، كما تقول أصحابك : قمّ قمّ ، فإنما تريد بهذا اللفظ المكرر أن يبادر إلى القيام في الحال الحاضر^(١) .

أقول : إن المذهب الذي قد اختاره هو مذهبُ مجاهد ، والاحتجاج الذي قد احتج به لنصرته ضعيف ، لأن فحوى كلامه أنه يذهب إلى أن الأمر إذا ورد مجرداً عن التكرير لم يدلّ على الفور ، ألا تراه كيف قد قيد كلامه فقال إذا صدر بلفظ التكرير غير مؤقت ، فلو كان يمتنع يذهب إلى أن الأمر يقتضي على الفور مجرداً لم يحتج إلى هذه القيود .

وإذا كان كذلك فأدلة القائلين بأن الأمر لا يقتضي الفور جميعها موجودة في أن الأمر المكرر قرينة يفهم منها الفورية ، مثل أن يقول له : قمّ قمّ قول غضب أو إرهاب ، أو يشاهد وجهه أو يسمع كلامه ، فيدرك منها ما يدل على ذلك ، أو يظهر من حركاته وقرائن أحواله إمارات تقتضي ذلك .

فأما مجرد الأمر فقط فلا يدل تكريره على الفورية ، لأن الزمان من ضروريات وقوع الامتثال ، كما أن المكان من ضرورياته أيضاً ، وكما لا يدل تكرار الأمر على وجوب إيقاع المأمور به في مكان معين ، فكذلك لا يدل تكرار على وجوب إيقاعه في زمان معين .

ولا حيلة في دفع هذا لمن ذهب إلى أن الأمر يقتضي الفور سواء

(١) المثل السائر ٣/ ٣٤ .

كُرِّرَ أو لم يُكْرَرْ ، فإنه يتكلم على هذا الدليل كلامَ مَنْ أثبت الفورية للأمر ، حيث كان أمراً لا باعتبار التكرير .

ثم يقال له : لو سلّمنا أن الأمر المكرّر اللفظ يدلُّ على الفور ، لكن ليس قوله : (فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتَ تلك عشرة كاملة) مثل قول الإنسان لغيره : قم قم ، ولا تكون السبعة والثلاثة والحكم بأنها عشرة كاملة كذلك التكرير اللفظي في مبادرة الأفهام إلى أن المراد منه تعجيل امثال الأمور به ، فإنما نظيره أن يقول مَنْ تمتع بالعمرة إلى الحج فقد أوجبتُ عليه صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع .

فأما قوله سبحانه : (تلك عشرة كاملة) فلا يعطي هذا المعنى ، لأنه ليس إعادة لفظ الأمر كقولك : قم قم ، ولا معناه كقولك : قم لا تقعد ، وإنما هو نعتُ المأمور به فقط .

وقد اختلف الناس في فائدة هذا النعت ، فقال قوم : معناه عشرة كاملة ثواب الهدى ، أي إذا وقعت بدلاً منه استكملت ثوابه ، وقال قوم غير ذلك ، والمقصود أنه ليس قوله : (تلك عشرة كاملة) تكرير الأمر بلفظه لإفادة الفورية منه ، إذ ثبت أنه لا يفيد الفورية .

قال المصنف : « فإن قلت : بل الغرض بتكرير الأمر أن يتكرّر في نفس المأمور أنه مراد منه ، وليس الغرض الحث على المبادرة إلى امثال الأمر . قلتُ في الجواب : المرة الواحدة كافية في تعريف المأمور أن المأمور به مراد منه ، فالزيادة على المرة الواحدة إن دلّت على ما دلت عليه المرة الواحدة لا غيرُ كان ذلك تطويلاً لا فائدة فيه ، وهو ينافي إعجاز القرآن

وفصاحته ، وإن دلت على أمر زائد فتلك الزيادة ليست إلا الحثّ على المبادرة إلى الامتثال ، وإلا فليُبيِّنْ الخَصْمُ معنى هذه الزيادة ، ولا سبيل إلى ذلك «^(١) .

أقول : إنه قد قال قَبْلَ هذا الموضع بأسطر إن قوله تعالى : (وأنّ تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم) أن هذه الألفاظ كلّها بمعنى واحد ، وإنما كررها للزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده ، والزواج عن زوجته .

وكذلك قوله تعالى : (إنما أشكو بثّي وحزني إلى الله) وزعم أن ذلك من باب البلاغة .

فإذا كان هذا قَوْلُهُ فما المانع من أن يكون المراد بالمرّة الثانية والثالثة في الأمر زيادة التكرير في نفس الأمور ، وأن المأمور به مرادٌ منه ؟ فإن هذا غرضٌ صحيحٌ ، لأنه لو قال له : اعلم أن هذا الشيء مما أريده منك ، وكرّر هذا مرتين أو مراراً لم يكن قبيحاً ، إذا قصّد تأكيد تلك الحال وتقريرها في نفس المخاطب ، فلم يَدْهَبْ إلى أن المرّة الثانية أفادت عَيْنَ ما أفادته المرّة الأولى من غير زيادة ، بل أفادت زيادةً بَيِّنَةً ، وهي قوة اعتقادِ المخاطبِ أن ذلك الشيء المأمور به مرادٌ لا محالة ، كما أفاد قوله (وأنّ تعفُوا وتصفحُوا وتغفِرُوا) زيادةً تحسين العفو كما ذكره ، فقد بطل قوله : فليُبيِّنْ الخَصْمُ معنى هذه الزيادة ، ولا سبيلَ إلى ذلك ، وقد بَيَّنْتُ أن سبيل الخصم إليها أوضح سبيل .

(١) المثل السائر ٣/٣٥ .

قال المصنف : « وقد قال قوم : إن الواو ها هنا إنما أكدت قوله : (تلك عشرة كاملة) ، لتلا يتوهم أنها بمعنى (أو) قال : وهذا باطل ، لأن الواو تجعل بمعنى (أو) مخالفة لأصلها ، لمرجح يرجح ذلك على كونها عاطفة الذي هو الأصل ، ولا مرجح ها هنا » (١) .

أقول : صاحب هذا القول إنما يقوله بعد ثبوت مقدمات ، منها لا بد في كلام الله تعالى من فائدة ، ومنها أنه لا فائدة إذا جعلناها عاطفة ، فإذا ثبت ذلك له قال صحت حينئذ ، وجعلتها بمعنى (أو) ، ولا نزاع أنه إذا ثبت له ذلك كانت بمعنى (أو) .

قال المصنف : « وأيضاً فإن القرآن منتهى البلاغة والفصاحة ، فهلا قال : (وبدا بيننا وبينكم العداوة) ، ولم يقل والبغضاء ، وهلا قال (إنما أشكو بني) ، ولم يقل وحزني » (٢) .

قال المصنف : « وأيضاً فإن الصوم عبادة يجب فيها الاحتياط والإتيان بها على أكمل صورة ، فكيف يظن أن الواو ها هنا بمعنى (أو) » (٣) .

أقول : أليس قد وردت الواو بمعنى أو في قوله تعالى : (متنبي وثلاث ورباع) (٤) وهو في النكاح ، والخطأ فيه أصعب من الخطأ في هذا الصوم ،

(١) المثل السائر ٣/٣٦ .

(٢) لم يعلق ابن أبي الحديد بشيء .

(٣) المثل السائر ٣/٣٦ .

(٤) سورة النساء : الآية ٣

فيجوز أن يكون سبحانه قال : (تلك عشرة كاملة) لإزالة توهم من يتوهم أن هذه الواو كذلك الواو .

- ١٣١ -

قال المصنف : « وأيضاً فالسبعة ليست ماثلةً للثلاثة حتى تُجعلَ مُقَابِلَتَهَا ، لأن معنى الآية إذا كانت الواو فيها بمعنى (أو) : إما أن تصوموا ثلاثة أيام في الحج أو سبعة إذا رجعتُم^(١) .

أقول : ولا إطعامُ المساكينِ يماثلُ في الصورة لكسوتهم ، ولا لِعَتَقِ الرقبة ، فكيف قال : (فكفارته إطعامُ عَشْرَةِ مساكينَ مِنْ أَوْسَطِ ما تطعمون أهليكم ، أو كِسْوَتُهُمْ ، أو تحريرُ رقبة)^(٢) فليس من شرط (أو) أن تتوسط بين المتماثلين في الصورة ، وهكذا الكلامُ ناقصٌ جداً .

- ١٣٢ -

قال المصنف : « فأما عطف لفظه على لفظه ومعناها واحد فكثير ، كقول المنخلِ البَشْكِرِيِّ :

الكاعب الحسناء تَسْرُ قُلُ في الدَّمَقْسِ وفي الحريرِ
فإن الدمقس هو الحرير ، وكقول آخر من شعراء الحماسة :
إني وإن كان ابن عمي غائباً لمقازِفٍ من خَلْفِيسِهِ وورائه
فإن الخلف هو الوراء^(٣) .

(١) المثل السائر ٣/٣٦ ومنه صححنا النص .

(٢) سورة المائدة : الآية ٨٩ .

(٣) المثل السائر ٣/٤١ .

أقول : المثال الأول لا بأس به ، والثاني غير جيد ، لأن الوراثة قد وردت والمراد القدّام في قوله تعالى : (وكان وراءهم ملكٌ يأخذُ كل سفينةٍ غصباً)^(١) لأنه لو لم يكن قدّامهم ما خافوا منه ، ولا احتاج إلى خرق السفينة .

وقال ليبد :

أليس ورائي إن تراجعت متيتي
لُزومُ العصا تُحنى عليها الأصابع^(٢)
ومنه أيضاً قوله سبحانه وتعالى : (من ورائه جهنم)^(٣) .

وقال آخر :

أترجو بنو مروان سَمعي وطاعتي وقومي تيمم والقلادة وراثيا؟^(٤)

قال المصنف : « فأما حدة الكناية فهي ما إذا وردت تجاذبها جانباً حقيقةً ومجازاً ، وجاز حملها على الجانبين معاً لو صف جامعاً ، كقوله تعالى : (أو لا مسسّم النساء) فإنه يصح المعنى ولا يحتلّ بالحمل على كل واحد من المعنيين وهما الجماع والصالق الجسد بالجسد ، ولذلك ذهب أبو حنيفة والشافعي إلى كل واحد من القولين »^(٥).

(١) سورة الكهف : الآية ٧٩ .

(٢) من قصيدته التي مطلعها :

بليتنا وما تيل النجوم الطوالع وتبقى الجبال بدننا والمصانع
(الديوان ٢٣ طبعة فينا بتحقيق ضياء الدين الخالدي المقدسي) .

(٣) سورة إبراهيم : الآية ١٦ .

(٤) كان بالأصل (وقوم نيم) .

(٥) عبارة ابن الأثير : ولهذا ذهب الشافعي رحمه الله إلى أن اللبس هو مصانعة الجسد الجسد ، فأوجب الوضوء على الرجل إذا لمس المرأة ، وذلك هو الحقيقة في اللبس . وذهب غيره إلى أن المراد باللبس هو الجماع ، وذلك مجاز فيه ، وهو الكناية .

ولهذا الحد تنفصل الكناية عن التشبيه والاستعارة وسائر المجازات ، لأنه لا يجوز حمل ذلك أجمع إلا على الجهة المجازية فقط ، كقولنا : زيد أسدٌ ، فإنه لا يجوزُ حملُهُ إلا على المجاز خاصةً ، لأنه يستحيل أن يكونَ زيد سباعاً حقيقةً .

قال : والدليل على صحة ما قلناه أن الكناية أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره ، فلما أن يكون في لفظ تجاذبه جانباً حقيقةً ومجازاً ، أو في لفظ تجاذبه جانباً مجازاً ومجازاً ، أو في لفظ تجاذبه جانباً حقيقةً وحقيقةً .

ولا يصح أن تكون في لفظ تجاذبه جانباً حقيقةً وحقيقةً ، لأن ذلك هو اللفظ المشترك ، وإذا أُطلقَ من غير قرينة تحُصِّصُهُ كان مُبْهَمًا غير مفهوم ، وإذا أُضيف إليه القرينة صار مُخْتَصًّا بشيء بعينه ، والكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، وذلك مخالفٌ للفظ المشترك إذا أُضيف إليه القرينة ، لأنه يختص بشيء واحد لا يتعداه .

وكذلك لا يصح أن تكون الكناية في لفظ تجاذبه جانباً مجازاً ومجازاً ، لأن المجاز لا بُدَّ له من حقيقة نُقِلَ عنها ، لأنه فرعٌ عليها .

وذلك اللفظ الدالُّ على المجازين إما أن يكون للحقيقة شركة في الدلالة عليه ، أو لا يكون لها شركة في الدلالة ، فيكون اللفظ الواحد قد دل على ثلاثة أشياء : أحدها الحقيقة ، وهذا مخالف لأصل الوضع ، وإن لم يكن للحقيقة شركة في الدلالة كان ذلك مخالفاً للوضع أيضاً ، لأن أصل الوضع أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره .

وإذا أخرجت الحقيقة عن أن يكون لها شركة في الدلالة لم يكن الذي تكلمت به دالاً على ما تكلمت به ، وهذا محال .

فتحقق حينئذ أن الكناية أن تتكلم بالحقيقة وأنت تريد المجاز^(١) .

أقول : إنا ما عرفنا أن الحدود يُبَرَّهَنُ عليها ، ولا هي من باب الدَّعَاوَى التي تَحْتَاجُ إلى الأدلَّةِ ، لأنَّ مَنْ وَضَعَ لفظَ الكناية لأمر من الأمور لا يَحْتَاجُ إلى دليله .

ثم يقال له : ألم تَعُدَّ في أمثلة الكناية قول النبي للحادي بالحث :
(رفقاً بالقوارير) يعني النساء ؟ وقول عبد الله بن سلام لمن رأى عليه ثوباً معصفاً : « لو أن ثوبك في تنُّور أهلك أو تحت قدورهم لكان خيراً »
وقول الشاعر :

• إن لم تكن تَصَلِّاً فغِمْدُ نصال^(٢) •

يَعْنِي امرأة هلكَتْ ، فهل هذه المواضع مما يتجاذبها الخانيان ، ويجوز حملها على كل واحد منهما ؟ وهل يتوهَّمُ عاقلٌ أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر أن تُجَشَّعَ أن يَرَفُقَ بالزُّجَّاج ؟ وأن عبد الله بن سلام أمر صاحب الثوب المَعْصَفَ أن يَحْرِقَ ثوبه ؟ والبيت الشعري أبعدُ ، لأن المرأة إنسانٌ ، والإنسان لا يكون غمداً لل سيف ، لأن الحيوان لا يكون جَمَداً ، فإن جاز أن تكون هذه المواضع كنايةات مع أن الأذهان لا تحملها إلا على واحدٍ ، ولا يَسُوغُ حملها على غيرها جاز أن يكون قوله تعالى : (وإن كان مكرهم لِنَزُولِ منه الجبالُ)^(٣) وقول الشاعر :

• ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق •

كناية ، وإن كان لا يجوز حمله على كلا الحملين ، وإلا فما الفرق ؟

(١) المثل السائر ٦٢/٣ ومنه نقلنا النص .

(٢) راجع التعليق في ٨١/٣ .

(٣) سورة إبراهيم : الآية ٤٦ .

ثم يقال له : أهذا الاستدلال هو استدلالٌ على أن الكناية هي ما جاز
حملة على واحدٍ من مَحْمَلَيْ الحقيقة والمجاز ، أم على أن الكناية لا بد أن
يتجاوزها جانباً حقيقةً ومجازاً ، مع قطع النظر عن جواز الحمل عليها وعدم
جوازه ؟ فإن أردت الأولَ فالاستدلالُ لا يماثل ذلك بمالٍ ، ولا تَعَلَّقُ
له به ، وإن أردت الثاني فإن أصحاب علم البيان قَبْلَكَ لم يخالفوك في ذلك
لُحَاجَتِهِمْ وتَعَيَّبَ عليهم ، وأنت لما حكيت أقوال أصحاب هذه الصناعة
لم تَحْكُ عنهم أنهم لم يشترطوا ذلك في الكناية ، أعني أن تكون مترددةً
بين مَحْمَلِ حَقِيقِي ومَحْمَلِ مَجَازِيٍّ ، وإنما حكيت عنهم أنهم لم يشترطوا
أن يَجُوزَ حملُ الكلامِ على كلا المحملين ، فهذا هو الذي حكيت عنهم ،
وخالفتهم ، وزعمت أنك استنبطت وتكلفتم الدلالةَ عليه ، فكيف تركه
جانباً ، وتستدل على مالا تَعَلَّقُ له به أصلاً ؟

ثم يقال له : قد نزلنا على ما تريد ، ونحن نكلمك فيما يتعلق دَليْلُك به ،
لم قُلْتَ إنه لا بد أن يتردد لفظ الكناية بين محملَي حقيقةً ومجازاً ، ولم لا يتردد
بين مَجَازَيْنِ؟ والذي تكلمت به على ذلك ليس بشيء ، أمّا أولاً : فإنك أردت
أن تقول : إمّا أن يكون اللفظُ الدالُّ على المَجَازَيْنِ شركةً في الدلالة على
الحقيقة التي هي أصلُ لها ، فأما قولك هذا فإنه يقتضي أن يكون الإنسانُ
متكلماً بشيء ، وهو يريدُ تَبْيِينَ غيره ، وأصلُ الوَضْعِ أن يتكلم بشيء وهو
يريدُ شيئاً غيره ، فيقال لك : أليس معنى قولك : الكناية أن تتكلم بشيء وأنت
تريدُ غيره أن قولك (شيئاً) تريد واحداً غيره ؟

كلا ، ليس هذا هو المقصود أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره ، فإن
أردت شيئاً واحداً فقد أردتَ غيره ، وإن أردتَ شيئين أو ثلاثة أشياء

أو ما زاد فقد أردتَ غيره ، لأن كل ذلك غيرُ ما دل عليه ظاهر لفظك ، فليس في لفظة (غير) ما يقتضي التَّوْحِيدَ والإِفْرَادَ .

وأما ثالثاً فلم لا يجوز ألا يكون اللفظ الدالُّ على المجازين شركةً في الدلالة على الحقيقة أصلاً ، بل لا يدلُّ إلا على المجازين فقط ؟

فأما قولك : إذا خرجتَ الحقيقةُ من أن يكون لها في ذلك شركةٌ لم يكن الذي تكلمتَ به دالاً على ما تكلمتَ به ، وهو محالٌ ، فيقال لك : لم قلتَ ذلك ؟ ولم لا يجوز أن يكون للحقيقة مجازان قد كثر استعمالهما حتى نُسِيتَ تلك الحقيقةُ ، فإذا تكلم الإنسانُ بذلك اللفظ كان دالاً به على أحدِ ذَيْنِكَ المجازين ، ولا يكون له تعرضٌ ممَّا لتلك الحقيقة ، فلا يكون الذي تكلم به حقيقة ، لأن حقيقة ذلك اللفظ قد صارت منسِيَةً ، فلا يكون عدمُ إرادتها موجباً أن يكون اللفظ الذي قد تكلم به المتكلم غير دالٍّ على ما تكلم به ، لأنها قد خرجتَ بترك الاستعمال عن أن تكون هي ما تكلم به المتكلم .

قال المصنف : « فأما حدُّ الألفاظِ والأحاجيِّ فهو معنى يستخرج بالخنزِرِ والتدسُّسِ ، لا بدلالة اللفظ عليه حقيقةً ولا مجازاً ولا تعريضاً ، كقول القائل في الضُّرسِ :

وصاحب لا أملُ الدهرَ صُحبتهُ يشقى لتفني ويسعى سعي مجتهد
ما إن رأيتُ له شخصاً فمذُ وقعت عيني عليه افترقنا آخر الأبدِ^(١)

(١) رواية المثل السائر (فرقة الأبد) .

قال : فهذا كلامٌ لا يفهم منه أنه الضَّرْسُ حقيقةً ، ولا مجازاً ، ولا من طريق المفهوم ، بل هو شيءٌ يُجَدَّسُ ويُحَزَّرُ ، والخواطر تختلف في الإسراع والإبطاء عند عثورها عليه ^(١) .

أقول : هذا يلزم عليه أن يكون كلامُ الرُّنْجِي إذا تعاطى العربيُّ حَزَرَ معناه من باب الأحاجي والألغاز . والصحيح أن يقال عِيَوْضَ هذا : هو كلُّ معنى يُسْتخرجُ لا بدلالة اللفظ عليه حقيقةً ، ولا مجازاً ، ولا تعريضاً ، بل بالحدسِ مِنْ صفةٍ أو مِنْ صفاتٍ تُنْبِئُهُ عليه .

وعلى هذا فالضَّرْسُ إنما عُرِفَ من هذا الشعر حَدْساً من مجموع هذه الصفات ، وهي كونه صاحباً لا تُمَلُّ صحبته ، وأنه يسعى لينتفع به الإنسان ، وأن الإنسان لا يراه ، فإذا رآه فقد افتراقاً فراق الأبد ، ومجموع هذه الصفات ليست إلا للضَّرْس ، فتنبَّهَ الذهنُ من هذه الصفات والخصائص على مرادِ المُتَغَيِّرِ .

قال المصنف : «ومن الخداقة في هذه الصناعة أن تُجْعَلَ التَّحْمِيدَاتُ في أوائل الكتب السلطانية مناسبةً لمعاني تلك الكتب ، قال : ووجدتُ أبا إسحاق الصَّابِي على تَقْدِمْهِ في فَنِّ الكتابة (كتب) في فتح بغداد وهزيمة الأتراك عنها (كتابه) الذي أوله (الحمد لله رب العالمين الملِكُ الحقُّ) ثم ذكر منه نحو عشرة أسطر سنذكرها في الجواب عن كلامه ، ثم قال : وهذه التَّحْمِيدَةُ لاتناسبُ هذا الكتاب ، ولكنها تَصْلُحُ أن تُوضَعَ في صدر كتاب من مُصَنِّفاتِ

(١) اللئال السائر ٣/ ١٠٤ .

أصول الدين « كالشامل » للجويني أو « الاقتصار » للغزالي أو ما جرى مجراها ، فأما في كتاب فتح فلا ^(١) .

أقول : إن أبا إسحاق رحمه الله لم يُخْلِ هذه التحديدة من الإشارة إلى معنى الكتاب الذي هو مَعْنَاهُ ومقصده ، وذلك أن هذا الكتاب كتب في انتصار عَصَدِ الدولة أبي شجاع وعِزِّ الدولة أبي منصور على الأتراك الذين تَرَأَّسَ عليهم سُبُكْتِكِين الحاجب الذي كان أمير جيوش معز الدولة أبي الحسين وعز الدولة أبي منصور بعده ، وهما سلطانا الحضرة ببغداد ، وكان مع هؤلاء الأتراك الطائع لله الخليفة العباسي والمطيع لله والفتكين القائد الجليل القدر المشهور بالشجاعة بين الأتراك ^(٢) ، وبأيديهم بغداد وأعمالها ، فإن عَصَدَ الدولة وعز الدولة تضافرا على المسير إلى هؤلاء من فارس والأهواز ، وصَدَّما الأتراك صدمةً عظيمةً فطحنوهم ، وانحاز الطائع لله إلى تِكْرِيَتَ مُسْتَحَصَنًا بالقلعة ، وطار الأتراك وهم زيادة على عشرة آلاف فارس إلى الشام ومصر ، ودخل عَصَدُ الدولة ومعز الدولة إلى مدينة الشَّام ، واستقرا على سرير المملكة ، بعد أن وَقَعَ اليأسُ من ذلك .

فقول أبي إسحاق الصابي : « الأَبْدِيّ بلا انتهاء » وقوله : « الدائم لا إلى أَجَلٍ معدود » وقوله : « لا تُخْلِفُه العصورُ ، ولا تُغَيِّرُه الدهور » وقوله : « لا تُزَاحِمُهُ مناكِبُ القُرُناء ، ولا تحاذيه أقدام النظراء » وقوله : « الصمد الذي لا كفاء له ، والقَدَّ الذي لا توأم له » وقوله : « الحي الذي لا تحترمه منون ، والقيوم الذي لا تشغله الشئون » وقوله : « القدير الذي لا تتودّه

(١) المثل السائر ١٣٠/٢ .

(٢) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٢٧٧/١١ أن الأتراك التفوا حول أمير يقال له : الفتكين .

المعضلات ، والخير الذي لا تُعنيه المشكلات « كل ذلك إشارة إلى أن الملك ليس إلا الله تعالى ، وأن ملك البشر لا حقيقة له ، لسرعة زواله وانقضائه ، وأن كل أحد من ملوك الأرض وإن عظم شأنه وقهر الملوك سلطانهُ يزول سريعاً ، وينقضي وشيكاً ، فهؤلاء الملوك الذين طعنهم الدهر بكلِّه في هذه الواقعة فإن منهم من مات كالطبيع لله ، وسبكتين ، وهما خليفة وملكٌ ماتا في الطريق قبل الواقعة ، ومنهم من قرّوا بالمعامل ، وتحصّن خوفاً على نفسه كالطائع ، ومنهم من حمّله الرعب على أن صار رعيةً وسوقةً تحت أيدي ملوك آخر كالفتكين ، فإنه لم يَبِنْ وجهه إلا بمصر ، وصار من جملة رعية العزيز نزار بن معدّ صاحبها ، ومنهم من تشرّد في البلاد ، وفارق الأموال والأولاد ، كالأتراك ، فجميع ما أوما إليه الصابي ملائم للواقعة التي كتب هذا الكتاب فيها ، وغير خارجٍ عن مقصدها ومغزاها .

والمعجّب قوله : ينبغي أن تكون هذه التعميدةُ في صدر كتاب من أصول الدين كالشامل للجويني والاقتصار للغزالي ، وأين «الاقتصار» من «الشامل» حتى يَجْمَعَ بينهما في التمثيل ، و«الاقتصار» مقدمةٌ في نحو خمسة كراريس ، و«الشامل» كتاب كبير في أكثر من خمسة مجلدات ؟ .

وهذا مثل أن يقال : هذا ينبغي أن يكون في كتاب فقهي «كالبُغْيَةِ» لأبي إسحاق الشيرازي أو «الحاوي» للماوردي ، ومثل أن يقال : هذا ينبغي أن يكون في كتاب نحويٍّ «كالشَّع» لابن جنيٍّ أو «شرح سيبويه» للسَّيرافي ، ومثل أن يقال : هذا ينبغي أن يكون في كتاب لغويٍّ كالفصيح للعلب أو «تهذيب اللغة» للأزهري ، وكان الواجب حيث ذكر «الشامل» أن يذكر ما يناسبه «كالهداية» لابن الباقلاني وإذ ذكر «الاقتصار» ضمَّ إليه ما يجري مجراه كالإرشاد للجويني ، وهذا يدل على أنه قد سمع بهذين الكتابين سماعاً ، ولم يرها عياناً .

قال المصنف : « فأما المطابقة فهي اصطلاح أهل هذه الصناعة على أنها الجمع بين الشيء وضده ، كالليل والنهار ، والسواد والبياض .
قال : ولا أعلم من أي شيء اشتقوا هذا الاسم ، ولا وجه مناسبة بينه وبين مُسمّاه ، ولعلهم قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن ^(١) .
أقول : الطَّبَقُ في اللغة المشقة قال الله سبحانه : (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عن طَبَقٍ) ^(٢) أي مشقة بعد مشقة ، فلما كان الجمع بين الضدين على الحقيقة شاقاً متعذراً ، ومن عادتهم أن تُعْطَى الألفاظُ حكم الحقائق في نفسها توسعاً سَمَوْا كل كلام جُمع فيه بين الضدين مطابقة .

قال المصنف : « فأما ترتيب التفسير فمثل قوله تعالى : (وجعلنا آية النهار مبصرة) فَتَقْدَم الليل ثانياً لما قدّمه أولاً ^(٣) ، وقوله تعالى : (فمنهم شقي وسعيد) ، فأما الذين شَقُّوا فني النار) ، فابتدأ بتفصيل أحوال الأشقياء ، لأنه ابتدأ بذكرهم أولاً .

قال : ومن ذلك قول أبي تمام :
وكان لهم غيثاً وعِلْماً فمُعْلِمٌ فيسأله أو باحثٌ فيسأله
وقول علي بن جبلة :

(١) المثل السائر ١٧١/٣ .

(٢) سورة الانشقاق: الآية ١٩ .

(٣) (وجعلنا الليل والنهار آيتين ، فجعلنا آية الليل ، وجعلنا آية النهار مبصرة) سورة الإسراء : الآية ١٢ .

فَقِيَ وَقَفَ الْأَيَّامَ بِالسُّخْطِ وَالرُّضَا

عَلَى بَدَلٍ عُرْفٍ أَوْ عَلَى حَدِّ مُنْصَلٍ^(١)

أقول : إنه سها في إدخال بيت علي بن جبلة في جملة هذه الأمثلة ، لأن الشاعر لما فسرَ قَدَّمَ بَدَلَ العُرْفِ وهو المراد بالرضا وأخرَ حَدَّ المُنْصَلِ ، وهو المراد بالسُّخْطِ ، وهما في صدر البيت على خلاف هذا الترتيب ، ولكن هذا نظير قوله تعالى : (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)^(٢) ..

قال المصنف : « وفيما يؤخذ على الأعشى قوله :

وَمَا مُزِيدٌ مِنْ خَلِيجِ الْفُرَا تِ جَوْنٌ غَوَارِبُهُ تَلْتَطِمُ
بِأَجْسُودٍ مِنْهُ بِمَاعُونِهِ إِذَا مَا سَمَّوْهُمْ لَمْ تَغِيْمُ

قال : فمدح ملكا بالجوود بالماعون ، والماعون كل ما يستعار من قدوم أو قصعة أو قدير وما أشبه ذلك ، ومدحُ الملوك بل السوقة بذلك قبيح^(٣) .

أقول : إن الماعون هنا هو الصدقة ، ذكر ذلك علماء التفسير ، وأنشدوا بيت الراعي :

قومٌ على الإسلام لما يمنعموا ما عونهم ويضيئعوا التهليل^(٤)

(١) المثل السائر ٢٠٣/٣ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٦ .

(٣) المثل السائر ٢١٠/٣ .

(٤) الراعي : هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل ، سمي راعي الإبل لكثرة وصفه لها .
[طبقات الشعراء لابن سلام ٢٥٠ ، ٤٣٤] .

وقال صاحب ديوان الأدب : الماعون: الزكاة ، وقال أبو عبيدة :
الماعون: المنافع كلها .

قال المصنف : « وقد وقفت على كلام لأبي إسحاق الصابي في الفرق بين
المرسّل والشاعر ، ثم ذكر الفصل وهو منشور ، وسيأتي في حكاية
اعتراضه ، وقال في آخر حكايته : وقد عجبْتُ من ذلك الرجل الموصوف
بذلاقة اللسان وبلاغة البيان ، كيف يصدر عنه مثْلُ هذا القول الناكب
عن الصواب ، الذي هو في باب ونَصّي^(١) النظر في باب ، اللهم غَفْرًا .
قال : أما قوله إن خير المرسّل ما وَضَحَ معناه ، وأعطاك سَماعُهُ في

= البيت من قصيدته في مدح عبد الملك بن مروان وشكواه من حال الصدقات ومن الخوارج ،
ومطلعه :

ما بال دُفك بالفراش مذيلًا أقضى بعينك أم أردت رحيلا ؟
الدف الجنب . مذيل : قلق غير مستقر .
والقصيدة كلها في جمهرة أشعار العرب ٣٥٣ . وفي خزنة الأدب للبغدادي ٣٠٣/٢ كثير
من أبياتها .

وقبل البيت الذي استشهد به ابن أبي الحديد قوله :
أخليفة الرحمن إن عشريني أمسى سواهم عرين فلولاً
أي أن ففر عشرينه وسوء حالها تمثل في أن ماشيتهم صارت عارية من الأحمال والرجال
ومتفرقة مبعثرة ، ويصح أن تكون الكلمة (عزين) جمع عزة وهي الفرقة والجماعة .
والبيت في اللسان مادة هلل وفي تفسير الطبري وتفسير الزعرري في سورة الماعون هكذا :
قومي على الإسلام لما يمتنعوا ماعونهم ويضيحوا التهليلاً
وفي اللسان مادة معن وفي خزنة الأدب ٣٠٤/٢ :
توم على التنزيل لما يمتنعوا ماعونهم ويبذلوا التنزيلاً
وفي جمهرة أشعار العرب :

قوم على الإسلام لما يتركوا ما عونهم ويضيحوا التهليلاً
وأما الماعون فقد ذكر المفسرون والقويون أن معناه المال أو الزكاة المفروضة أو الطاعة
والزكاة أو ما يستعان به ويستعار كالدلو والقلم والقدر ، وذكروا أن المراد بالتهليل التوحيد
ورفع الصوت بالشهادتين .

(١) نصي النظر : لعلها من نصي الرجل الثوب إذا كشفه .

أولـ وهلة ما تضمنت ألفاظه ، وأفخر الشعر ما غمض فلم يعطك
 غرضه إلا بعد ملاحظة منه ، فإن هذه دعوى لا مستند لها ، بل الأحسن
 في الأمرين معاً هو الوضوح والبيان ، فإن احتج أبو إسحاق بما قد ذكره
 في نصرة ذلك من قوله: إن الشعر بُني على حدود مقررّة ، وأوزان مقدرة ،
 وفُصِّلَتْ أبياته ، فكان كل بيت منها قائماً بذاته ، فليس يحتاج إلى غيره
 إلا ما جاء على وجه التضمين ، وهو عبث ، فلما كان النَّقْسُ لا يمتد
 في البيت الواحد بالنثر من مقدار عروضه وضربه وكلاهما قليل ، احتج
 إلى أن يكون الفضل في المعنى ، واعتُمد أن يُلطَّفَ ويدقَّ ، والترسل
 مبني على مخالفة هذه الطريق ، إذ كان كلاماً واحداً لا يتجزأ ولا يتفصل
 إلا فصولاً طوالاً ، وهو موضوع وُضِعَ ما يمرُّ على أسماع شيء من خاصة
 ورعية وذوي أفهام ذكية ، وأفهام غبية ، فإذا كان سهلاً ساغ فيها
 وقرب ، فجميع ما يستحبُّ في الأول يكره في الثاني ، حتى إن التضمين
 عبث في الشعر ، وفضيلة في الترسل ، فإن هذا الذي ذكره أبو إسحاق ليس
 بجواب .

وهب أن الشعر كان كل بيت منه قائماً بذاته فلم كان مع ذلك غامضاً ؟
 وهب أن الكلام المشور كان واحداً لا يتجزأ فلم كان مع ذلك واضحاً ؟
 ثم سلمت إليه هذا ، فإذا يقول في الكلام المسجوع الذي كل فقره منه
 بمتزلة بيت من الشعر^(١) ؟

أقول : إن من أطرف الأشياء أنك تحكي جواب أبي إسحاق من أوله
 إلى آخره ، ثم تعيد السؤال الأول بعينه الذي قد حكى جوابه ، وذلك أن
 أبا إسحاق قد سأل نفسه فقال : ولم صار الأحسن في الشعر الغموض

(١) ملخص من المثل السائر ٣/٣٢٨ .

وفي الرسائل الوضوح ؟ وأجاب عنه بما قد ذكره . ومن يحكي ذلك الجواب لا يحسنُ له أن يقول في الاعتراض عليه : وهب أن الشعر كان كل بيت قائماً بذاته ، فلم كان مع ذلك غامضاً ؟ وهب أن الكلام المنشور كان واحداً لا يتجزأ فلم كان مع ذلك واضحاً ؟

وذلك أن الجواب قد أتى على الفرق بين الموضعين ، ونحن نعيده فنقول : إن البيت الشعري لما كان محجوراً على الشاعر أن يزيد فيه أو ينقص منه أو يُلحِق به بيتاً آخر فيحصل أحدهما مرتبطاً بصاحبه بخلاف الرسائل ، فكان المعنى قد يساوي ألفاظ البيت تارة ، ويزيد عليها تارة ، وينقص عنها أخرى ، فكان الأحسن أن يزيد المعنى ، لأن اللفظ الحسن بغير معنى كامراً مبة حسنة الصورة .

وكما كانت معاني الكلام أكثر ، ومدلولات ألفاظه أتمم كان أحسن ، ولهذا قيل : خير الكلام ما قل ودل ، فإذا كان أصل الحسن معلولاً لأصل الدلالة .

وحينئذ يتم إشباع الجملة ، لأن المعاني إذا كثرت ، وكانت الألفاظ تفي بالتعبير عنها احتيج بالضرورة إلى أن يكون الشعر يتضمن ضرورياً من الإشارة ، وأنواعاً من الإيماءات والتنبيهات ، فكان فيه غموض ، كما قال البحرى :

والشعر لمح تكفي إشارته وليس بالهدر طوالت خطبته^(١)

(١) يقول قبل هذا البيت :

كلفتمونا حدود منطقكم والشعر يعني عن صدقه كذبه
ولم يكن ذو القروح يلج بالمنطق ما نوعه وما سببه
من قصيدته التي رد بها على عبيد الله بن عبد الله (ولعله ابن طاهر) التي مطلعها :
لا الدهر مستنفس ولا عجب تسونسا الحسف كله نوبه
نال الرضا ماح ومسدح فقل لهذا الأمير ما غضبه ؟
الديوان ١٣٢/١ .

ولسنا نعني بالغموض أن يكون كأشكال إقليدس والمجسطي، والكلام في الجزء ، بَلْ أن يكون بحيث إذا ورد على الأذهان بلغت منه معاني غير مُبْتَدَلَةٍ ، وحيكماً غير مطروقة ، فلا يجوز أن يكون الشعر الذي يتضمن الحكم ليس بالأحسن ، فثبت أن الشعر الذي يتضمن الحكم هو أحسن الشعر ، ومعلوم أن أحسن الشعر الذي يتضمن الحكم هو المعنوي كشرع أبي تمام ومن أخذ إخذه ، فذلك القدر من المعنى هو الذي يعنيه أبو إسحاق بالغموض لا غير .

فأما قوله : فإذا تقول في الكلام المسجوع الذي كل فقرة منه بمنزلة بيت من الشعر ؟ فجوابه أن السجع ليس شرطاً في المنثور، فقد تكون الرسائل غير مسجوعة ، ولا يمكن أن يكون الشعر إلا وزناً محدوداً .

وبعد فالرسائل المسجوعة لا يلزم فيها ما ذكرناه في الشعر ، لأن الفقرة الواحدة قد يطيلها الكاتب ، وقد يُقَصِّرُها ، وقد يأتي بفقرتين طويلتين ، ثم يأتي بعدهما باثنتين قصيرتين ، ثم يأتي بعد ذلك بفقرتين إحداها قصيرة والأخرى طويلة ، فهو يضرب يمناً وشمالاً ، ويمدُّ نَفْسَهُ تارةً وَيُقَصِّرُها أخرى ، وليس كذلك القصيدة ، فإن صاحبها عند ابتدائها يلتزم عروضاً واحدةً ، ولو زاد فيها حرفاً واحداً أو نقصه لكان شعره فاسداً ، فإين أحد النوعين من الآخر ؟

قال المصنف : « قال أبو إسحاق : والفرق بين المترسلين والشعراء أن الشعراء إنما أغراضهم التي يترمون إليها وَصَفُ الديار والآثار ، والحنين إلى الأهواء والأوطان ، والشبيب بالنساء ، والطلب ، والاستدعاء ، والمدح

والهجاء ، فأما الكتابُ فإنما يترسّلون في سدادِ ثغري ، أو إصلاحِ فسادِ ، أو تحريضِ على جهادِ ، أو احتجاجِ على فئةٍ ، أو مجادلةِ للذّةِ ، أو دعاءِ لألفةٍ ، أو نهيٍ عن فرقةٍ ، أو نهضةٍ بعطيةٍ ، أو تعزيةٍ . قال : وهذا من أبي إسحاق تحكّمٌ محض لا يستند إلى شبهة فضلاً عن بَيِّنَةٍ .

وأَيُّ فرق بين الشاعر والكاتب في هذا المقام ؟ وكما يصف الشاعر الآثارَ والديارَ ويعنّ إلى الأهواء والأوطانِ ، فكذلك يكتب الكاتب في الاشتياق إلى الأوطان ، ومنازل الإخوان والأحباب ، ولهذا كانت الكتب الإخوانيات بمنزلة الغزل والتشبيب من الشعر ، وكما يكتب الكاتب في إصلاحِ فساد أو سدادِ ثغري أو دعاءِ إلى ألفة أو نهيٍ عن فرقة أو نهضةٍ أو تعزيةٍ فكذلك الشاعر . فإن نَدَدْتَ عن الصابي قصائد الشعراء في أمثال هذه المعاني فكيف خَفِيَ عنه قصيدة أبي تمام في استعطاف مالك بن طوق على قومه التي مطلعها :

* حَسْمُ الصِّلْحُ مَا اشْتَهَتْهُ الْأَعَادِي *

وقصيدة البحري التي يذكر فيها غزو البحر ، ومطلعها :

* أَلَمْ تَرَ تَغْلِيَسَ الرِّبِيعِ الْمُبَكَّرِ *

والقصائد التي تجري على هذا المجرى كثيرة ^(١) .

أقول : السؤال في هذا المقام قد يقع عن أمرين : أحدهما أن يقال : ما الفرق بين الشعر والكتابة ؟ والثاني أن يقال : لم كانت منزلة الشاعر دون منزلة الكاتب ؟ وأحد هذين السؤالين غير الثاني ، وكلام أبي إسحاق هو في السؤال الثاني ،

(١) ملخص من المثل السائر ٣/٣٢٩ .

لأنه هكذا قال : إنما كانت حقيقة الشاعر دون الكاتب لكذا وكذا ، وهذا جواب صحيح .

أمّا أولاً : فإنه بنى الشعر على الاجتداء والطلب حتى إن امرأ القيس ، وهو الملك ابن الملك ، جتدّى سعد بن الضباب بالشعر ، وقد كان ابن المنصور الخليفة بن الخلائف يجتدي بالشعر من عبيد الله بن سليمان بن وهب ومن ولده القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد والمكتفي ، فإن لم يكن يجتدي مالا فإنه كان يجتدي جاهاً .

ولم تُبَنّ الكتابة على هذا ، ولا عُرِفَتْ بهذا .

وأمّا ثانياً : فلأن المراد من الكتابة ومقصدها الذي وُضِعَتْ لأجله ما ذكره أبو إسحاق من سداد الثغور ، وإصلاح الأمور ، والدعاء إلى الألفة ، والنهي عن الفرقة ، والاستعداد لحرب ، والإعلام بفتح ، ولم يوضع الشعر لذلك .

ألا ترى أننا ما رأينا ولا سمعنا ملكاً كتب إلى ملك آخر في إصلاح فساد ، أو استمداد على عدو ، أو إعلام بفتح قصيدة من الشعر ، وإنما كتب الرسائل ؟ .

وأمّا القصائد التي ذكرها هذا الرجل لأبي تمام وأبي عباد وأبي الطيب فإنما لم تَنَفَّ كون الشعر قد يشتمل على ذلك ، ولكننا قلنا إنه ليس هو الغرض الأصلي الذي وُضِعَ الشعر له ، ولا يكون أصلاً فيه بل عارضاً وطارئاً ، والرسائل بخلاف ذلك ، لأن هذا المعنى هو الغرض الأصلي فيها .

وكذلك نجد هذا الفن في الديوان الذي حجمه عشرون كراساً في قصيدة

أو قصيدتين ، ونجده في الرسائل التي حجمها عشرون كراساً في خمسة عشر كراساً .

ونحن فما غرضنا إلا الفرق بين مقصدي النوعين ، وقد اتضح .

فأما قوله: قد يكتب كاتب الإخوانيات ، ويذكر فيها الحنين والشوق ، فهي في المثور كالنسب في المنظوم ، فيقال له: إن القصائد التي وُضِعَتْ للمدح يستحب أن يكون أولها نسباً وغزلاً ، وهكذا وجدنا كتاباً في فتح أو استنجاد أو تعريض أو تخذيل في صدره رسالة إخوانية تتضمن الحنين والبكاء ، وذكر الآثار والديار ، فيكفي أبا إسحاق في الفرق بينها هذا القدر فقط ، فإن ذلك من أدلّ الدلائل على أن الشعر في الأصل موضوع لهذا المعنى ، والاجتهاد والطلب ، فلذلك لم يحتج أحدهما للآخر ، وجعل منه الرسائل بخلاف ذلك .

قال المصنف : « فهذه الفروق كلها ضعيفة » ، والذي عندي أن الفرق بين النوعين من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن هذا منظوم ، وذاك مثور .

والآخر : أن من الألفاظ ألفاظاً لا يحسن استعمالها في الكتابة ويحسن في الشعر ، كبعض الألفاظ العربية .

والثالث : أن الشاعر إذا أطال في شرح معان متعددة واحتاج أن يأتي بماتبي بيت أو أكثر فإنه لا يحتذى في الجميع ، بل في الأول ، والكاتب لا يأتي من ذلك جميعه ^(١) .

(١) ملخص من المثل السائر ٣/٣٤٢ .

أقول: قد بينا أن (أبا) إسحاق الصابي لم يتعرض لبيان الفرق بين الكتابة والشعر من حيث هما كتابةٌ وشعرٌ ، وإنما تكلم عن العِلَّةِ التي كانت لأجلها مرتبة الكاتب أعلى من مرتبة الشاعر ، فأما الفرق بين الكتابة والشعر فهي كثيرة ، وليست مقصورة على هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرها هذا الرجل .

فإن من جملة الفرق أن للشاعر أن يُطْرِى نفسه ويمدحها في شعره ، وليس ذلك للكاتب .

ومنها: أن للشاعر أن يبالغ ويؤغِل ، حتى يدخُلَ في الإحالة ، وليس ذلك للكاتب .

ومنها: أن الشعر يحسُنُ فيه الكذبُ ، ولا يستحسن في الكتابة .

ومنها: أن الشاعر يخاطبُ الملك بالكاف كما يخاطب السوقة ، ويدعوه باسمه ، وينسبه إلى أمه ، وليس ذلك للكاتب .

والفرق بين الشعر والكتابة كثيرة ، وإنما نبهنا على بعضها إبطالاً لقوله : إن الفرق هذه الثلاثة فقط .

* * *

فهذا ما سنَحَ لي بأدنى النظر من الاعتراض على هذا الكتاب ، وقد اعترضتُ على مواضع كثيرة منه للقول فيها بحالٌ ، فلم أذكرها إيثاراً للإيجاز ، ومواضع يَرُجِعُ كلامه فيها إلى الجدلِ ومحضِ العناد ، لا في المعنى ، فكان الاشتغالُ بها والبحث فيها تضييعاً للوقت من غير فائدة .

ورأيت أن يتِمَّ الكتابُ ها هنا حامداً الله ، ومُصلِّياً على خير خلقه .

(محمد النبي الأمي ، صلواتُ الله عليه وسلامه)

« الفهارس العامة »

لكتاب

الفلك والدرر على المثل السائر

لابن أبي الحديد

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك

كان عنه مسئولاً ص ٧٣ .

إن كنتم في ريب من البعث فإننا

خلقناكم من تراب ثم من نطفة

ثم من علقه ، ثم من مضغة

ص ٢٤٦ .

إن لك ألا تجوع فيها ص ٢٣٩ .

إنك أنت علام الغيوب ص ٢١٤ .

إنما أشكركم بئى وحزني إلى الله

ص ٢٦٦ .

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله

وإذا كانوا معه على أمر جامع

لم يذهبوا حتى يأتوا ذنوبه ص ٧٦ .

إنما يخشى الله من عباده العلماء ص

٣٨ .

إنه مصيبها ما أصابهم ص ٢٣٧ .

إنها ترمي بشرر كالقصر ص ١٠٦ .

إنهم كانوا لا يرجون حساباً ص

١٧٠ .

إني أراني أعصر خمراً ص ١٨٧ .

أهلك صراطاً سوى ص ١٥٨ .

(الفلك الدائر - م ١٩)

(١)

أتأمرون الناس بالبر وتنسون

أنفسكم ص ١٥٨ .

إذ نفثت فيه غم القوم ص ٢٤٠ .

إذا السماء انشقت ص ٢٣٨ .

أراغب أنت عن آلقى يا إبراهيم

ص ٢٣٥ .

أعوذ برب الناس ملك الناس إله

الناس ص ١٦٩ .

أفي الله شك ص ٢٣٥ .

أقتلوا المشركين ص ١٩٣ .

الله نزل أحسن الحديث ص ٤٦ .

ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي

صبراً ص ٢١٤ .

إما أن تلقى وإما أن نكون نحن

الملقين ص ٢١٤ .

إن الله مع الذين اتقوا ص ١٥٤ .

إن الله يغفر الذنوب جميعاً ص ٤٠ .

إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم

ص ٢٣٩ .

إن رحمة الله قريب من المحسنين

ص ٢٥١ .

حتى توارث بالحجاب ص ٢٥٨ ،
٢٦٠ .

حتى عاد كالعرجون القديم ص
٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٥٢ .

الحمد لله رب العالمين ص ٢١٣ .
ذلك الكتاب لاريب فيه ص ٢٣١ .
ذهب الله بنورهم ص ٢١٥ ، ٢١٨ ،
٢١١ .

رب هب لي من الصالحين ص ٦٣ .
سنفرغ لكم أيها الثقلان ص ١٨٤ .
شهد عليهم سمعهم وأبصارهم
وجلودهم ص ٧٠ .

صراطك المستقيم ص ١٦٨ .
عاليهم ثياب سندس ص ٢٣٩ .
فأجاءها الخاض إلى جذع النخلة
ص ٢٤٤ .

فإذا هي شاخصة أبصار الذين
كفروا ص ٢٣٦ .

فاكهة ونخل ورمان ص ٧١ .
فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح
المؤمنين والملائكة بعد ذلك
ظهير ص ٧٢ .

فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها
الخاض ص ٢٤٥ .

أو لاسم النساء ص ٢٦٩ .
أولم يروا إلى الطير فوقهم ص ٢١٠ .
أولم يروا إلى ما خلق الله ص ٢١١ .
إياك نعبد ص ٢١٢ .

إياك نعبد وإياك نستعين ص ٢٣٠ .
بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم
ممن معك وأمم ستمتعهم ثم
يمسهم منا عذاب أليم ص ١٦٧ .
بل الله فاعبد وكن من الشاكرين
ص ٢٢٩ .

تلك عشرة كاملة ص ٢٦٥ ، ٢٦٨ .
ثم أنشأناه خلقاً آخر ص ٢٤٥ ،
٢٤٧ .

ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات
ليسجننهم ص ٢٥٩ .

ثم ألحيم صلوه ص ٢٣١ .
ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ص
٢٤٥ .

ثم خلقنا النطفة علقه ص ٢٤٥ .
ثم يرم به بريئا ص ١٩٩ .

حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم
سمعهم وأبصارهم وجلودهم
بما كانوا يعملون ص ٧٠ .

أوسط ما تطعمون أهليكم
أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة
ص ٢٦٨ .

فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها
واتبع هواه فتردى ص ٢٤٥ .

فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني
أرى في المنام أني أذبحك ص ٦٢ .

فلما ذهبوا به وأجمعوا ص ٢١٨ .
فليحذر الذين يخالفون عن أمره
أن تصيبهم فتنة ص ٧٦ .

فمثلته كمثل الكلب إن تحمل عليه
يلهث ص ٢٠٢ .

فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
بمثل ما اعتدى عليكم ص ١٩٣ .

فمنهم شقي وسعيد ، فأما الذين
شقوا فني النار ص ٢٧٧ .

في جيدها جبل من مسد ص ٢٣٢ .
فيها من برد ص ٤٠ .

قال الذي عنده علم من الكتاب
أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك
طرفك ، فلما رآه مستقرا عنده
قال هذا من فضل ربي ص ٢٥٧ .

قال نكروا لها عرشها ص ٢٥٧ .

قل كل يعمل على شاكلته ص ٢٩ .

فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ص
٢٥١ ، ٢٥٥ .

فأولئك لهم جزاء الضعف ص ٢٣٥ .

فبأي آلاء ربكما تكذبان ص ٢١١ .

فبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين
ص ٦٢ .

فبشرناه بغلام حليم ص ٦٢ ، ٦٣ .

فبما رحمة من الله لنت لهم ص ١٩٧ .

فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها
وموعظة للمتقين ص ١٢٨ .

فحملته فانتبذت به مكانا قصياً ص
٢٤٤ .

فخلقنا العلقة مضغة ص ٢٤٥ ،
٢٤٦ .

فخلقنا المضغة عظاماً ص ٢٤٥ ،
٢٤٦ .

فسيكفنيكم الله ص ١٦٧ .

فشرد بهم من خلفهم ص ١٥٨ .

فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة
إذا رجعت ، تلك عشرة كاملة
ص ٢٦٣ .

فكسونا العظام لحماً ص ٢٤٥ .

فكفارته إطعام عشرة مساكين من

كالتى نقضت غزها من بعد قوة
أنكاثا ص ١٣٠، ١٣٤ .
كررع أخرج شطاه ص ٢٠٢ .
كلا إذا بلغت التراقي ص ٢٥٨ .
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً
غيرها ص ٧١ .
لا تتخذوا بطانة من دونكم
لا يآلؤنكم خيالاً وُدُّوا ما عنتكم
قد بدت البغضاء من أفواههم
ص ٢٥٧ .
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضاً ص ٧٦ .
لا تخف إنك أنت الأعلى ص ٢١٣ .
لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ص ١٥٧ .
لا تفترؤا على الله كذباً فيسحتكم
بعذاب ص ٢٤٤ .
لا فيها غول ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .
لا لغو فيها ص ٢٤٢ .
لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم
الملائكة هذا يومكم الذي كنتم
توعدون ص ٤٨ .
لتركبوا طباقاً عن طبق ص ٢٧٧ .
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
ص ٢١٨ .
لنخرج به حياً ونباتاً ص ١٦٩ .
ليس كمثل شيء ص ١٩٧ .
ليستخلفنهم في الأرض ص ١٦٧ .
ما كان لنبي أن يكون له أسرى
حتى يشحن في الأرض ص ١٥٨ .
ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة إلا أحصاها ص ٢٢٢ .
ما وعدنا الله ورسوله ص ٢٥٨ .
ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث
إلا استمعوه وهم يلعبون ص
٢١٦ .
مثل نوره كشكاة فيها مصباح
ص ٢٠١ ، ٢٠٣ .
مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ،
فلما أضاءت ما حوله ذهب الله
بنورهم ص ٢١٥ .
مثنى وثلاث ورباع ص ٢٦٧ .
مع الذين اتقوا ص ١٥٧ .
من ورائه جهنم ص ٢٦٩ .
هذا بلاغ للناس ص ٨٤ .
هذا يومكم الذي كنتم توعدون
ص ٤٨ .
هل من خالق غير الله يرزقكم
ص ٤١ .

كالتى نقضت غزها من بعد قوة
أنكاثا ص ١٣٠، ١٣٤ .
كررع أخرج شطاه ص ٢٠٢ .
كلا إذا بلغت التراقي ص ٢٥٨ .
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً
غيرها ص ٧١ .
لا تتخذوا بطانة من دونكم
لا يآلؤنكم خيالاً وُدُّوا ما عنتكم
قد بدت البغضاء من أفواههم
ص ٢٥٧ .
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضاً ص ٧٦ .
لا تخف إنك أنت الأعلى ص ٢١٣ .
لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ص ١٥٧ .
لا تفترؤا على الله كذباً فيسحتكم
بعذاب ص ٢٤٤ .
لا فيها غول ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .
لا لغو فيها ص ٢٤٢ .
لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم
الملائكة هذا يومكم الذي كنتم
توعدون ص ٤٨ .
لتركبوا طباقاً عن طبق ص ٢٧٧ .
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
ص ٢١٨ .

وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال
ص ٢٧١ .

وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم
مما في بطونه من بين فرث ودم
لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ص
١٣٠ .

وأُنزل من السماء ماء فأخرجنا به
أزواجاً من نبات شتى ص ٢٤٥ .
وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم ص ٧٦ .
والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ،
والذى خبث لا يخرج إلا نكدا
ص ١٢٩ .

وتركهم في ظلمات لا يبصرون ص
٢١٩ .

وجزاء سيئة سيئة مثلها ص ١٩٣ .
وجعلنا آية النهار مبصرة ص ٢٧٧ .
وجعلنا في الأرض رواسي ص ٢٣٩ .
وجنات ألفافا ص ١٦٩ .

وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من
الله ص ٢٣٤ .

والعاقبة للمتقين ص ١٥٧ .
وعرضوا على ربك صفاء ، لقد
جئتمونا كما خلقناكم ص ٢٦١ .
الله قى كل ذى علم عليم ص ١٥٨ .

هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر
نوراً ص ٢١٥ .

وأتوا حقه يوم حصاده ص ١٣١ .
واخفض لها جناح الذل ص ١٨٥ ،
١٩٨ .

وأدخلناه في رحمتنا ص ١٨١ ،
١٨٣ .

وإذ واعدنا موسى ص ٢٥٨ .
واسأل القرية ص ٨١ ، ٨٢ .
واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون
ص ٢١٣ .

واقعدوا لهم كل مرصد ص ١٥٨ .
والذين اهتموا زادهم هدى ص
١٣٤ .

والذين هم لفروجهم حافظون ص
٧٣ .

والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجيله
ص ٢٥٥ .

ولما تخافن من قوم حياة فانبد إليهم
على سواء إن الله لا يحب الخائنين
ص ١٢٨ .

وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي
ص ١٩٩ .

وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن
الله غفور رحيم ص ٢٦٩ .

ولدان مخلدون ص ٢٣٩ .
 ولقد أوحى إليك وإلى الذين من
 قبلك لئن أشركت ليحيطنَّ عملك
 ولتكونن من الخاسرين ص ٢٣٠ .
 ولقد عهدنا إلى آدم من قبل نفسي
 ص ٢٤٥ .
 ولما سكنت عن موسى الغضب
 ص ١٨٥ .
 ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
 من حولك ص ١٥٤ .
 وليبدلنَّهم من بعد خوفهم أمنا
 ص ١٥٧ .
 وما ربك بظلام للعبيد ص ٢٤٨ .
 ومن عنده علم الكتاب ص ٢٣٥ .
 ومن يشاقَّ الله ص ٢١٧ .
 ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين
 له الهدى ص ٢١٧ .
 وهو الذى جعل الشمس ضياء
 والقمر نورا ص ٢١٨ .
 ووصينا الإنسان بوالديه حسنا ،
 وإن جاهدك ص ٢٦١ .
 ووضع الكتاب فترى المجرمين
 مشفقين مما فيه ، ويقولون
 يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر

وقال الملائ من قومه إنا لنراك في
 ضلال مبين ص ٢٢٠ .
 وقدّمنا إلى ما عملوا من عمل
 فجعلنا هباءً منثوراً ص ١٨٥ .
 وقيل للمؤمنات يغضضن من
 أبصارهن ويحفظن فروجهن ص
 ٧٣ .
 وقوودها الناس والحجارة ص ١٠٦ .
 وقولوا للناس حسنا ص ١٥٧ .
 وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة
 غصبا ص ٢٦٩ .
 وكذبوا بآياتنا كذابا ص ٢٧٠ .
 وكنا لحكمهم شاهدين ص ٢٤٠ .
 ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل
 الله ص ١٥٣ .
 ولا تكونوا كالتى نقصت غزلها
 من بعد قوة أنكاثا ص ١٣١ .
 ولا تمدنَّ عينيك إلى ما متعنا به
 أزواجاً منهم ص ١٥٨ .
 ولا تمدنَّ عينيك إلى ما متعنا به
 أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا
 لنفتنهم فيه ورزق ربك خير
 وأبقى ص ١٥٥ .

يأخذون عَرَضَ هذا الأدنى ص

. ١٥٨

يأيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول

إذا دعاكم لما يحييكم ص ٧٦ .

يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها

ولا تأذي ص ٢٤٢ .

يخرج من بطونها شراب مختلف

ألوانه ص ٢٣٤ .

يريد الله أن يحق الحق بكلماته

ويقطع دابر الكافرين ليحق

الحق ويبطل الباطل ولو كره

المجرمون ص ٢٦٢ .

يوم تبيضُ وجوه وتسودُ وجوه

ص ١٢٩، ٢٧٨ .

يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى

نورهم بين أيديهم وبأيمانهم

ص ١٢٩ .

صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها

ص ٢٢٣ .

ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاّ

هدينا ونوحاً هدينا من قبل

ص ٢٢٩ .

ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم

لسان صدق عليا ص ٢٠٣ .

ويعلم ما في الأرحام ص ٧٣ .

ويغفر لكم من ذنوبكم ص ٤٠ .

ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون

ما لبثوا غير ساعة ص ٤٧ .

ويوم يُعرض الذين كفروا على النار

أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا

ص ٢٦١ .

يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما

أخرج أبويكم من الجنة ينزع

عنهما لباسهما أيريهما سوءاتهما

ص ١٢٧ .

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية

- | | |
|--|---|
| ليس الصيد لمن أثاره ، بل لمن
حصَّله ص ١٣٨ . | أعيذكما من عين العائن ونفس
النافس ص ١٠٠ . |
| من جعل نفسه قاضياً للمسلمين فقد
ذُبِحَ بغير سكين ص ٧٤ . | اللهم اشدد وطأتك على مضر ص
١٦٢ . |
| هو الطهور ماؤه الحِلُّ ميتته ص
٢٣٦ . | رفقاً بالقوارير ص ٢٧١ . |
| وإنكم لتقدمون على ما قدمتم ص
١٤١ . | صلاة في مسجدى هذا خير من
ألف صلاة في غيره من المساجد
إلا المسجد الحرام ص ٥٢ . |

ثالثاً: فهرس الأمثال

- | | |
|------------------------------|--------------------------------|
| لو ذات سوار لطمني ص ٢٣٨ . | الأعمال بخواتيمها ص ١٣٨ . |
| ملكّت فأسجّع ص ١٣٩ . | أول القيثّ ظلّ ص ١٣٣ . |
| من أشبه أباه فما ظلم ص ١٤٢ . | سبق السيف العذل ص ١١٦ . |
| هما رضيعا لبان ص ١٤٣ . | عسى الغوير أبوساً ص ١٤٦ . |
| هما شريكا عنان ص ١٤٣ . | عند جهينة الخبر اليقين ص ١٣٧ . |

رابعًا : فهرس قوافي الأبيات

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
قافية الهمزة			
وما العيش	وماء	طويل	١٨٩
إني وإن كان	وورائِهِ	كامل	٢٦٨
لا تعذل	أحشائِهِ	»	١٠٧
إن القتل	بدمائِهِ	»	١٠٧
ما الخلل	بسوائِهِ	»	١٠٥
القلب أعلم	وبمائِهِ	»	١٠٤
لا تعذل	أحشائِهِ	»	١٠٤
عذل العواذل	سودائِهِ	»	٩٩
وبلدٍ	سماؤُهُ	رجز	٢٥٦
فلذا شوفي	شفاء	رمل	١٤٨

قافية الباء

وأظلم	يتقلبُ	طويل	٥٤
أغالب فيك	أعجبُ	»	٥٤
تريد بك	المذربُ	»	٥٦
فدينك	والغربا	»	١١٣
هنيئًا	حزبًا	»	١١٣
ولم تفرق	حبًا	»	١١٣
وإن قصرت	نضاربُ	»	١١٧

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
إذا قصرت	فتضاربُ	طويل	١١٧
ولست	المهذبُ	طويل	١٥٢
أناس	الكتائب	»	١٧٧
على مثلها	السواكب	»	١٧٧
إن يقتلوك	شهاب	»	٧٨
كأن صغرى	الذهب	بسيط	٣٩
وأزرق	ينسكبُ	»	١٣٣
فلا تنلك	بالغرب	»	١٢٢
وأزرق الفجر	ينسكبُ	»	١٤٩
كم أحرزت	كُتب	»	١٧٥
السيف أصدق	واللعب	»	٢٣١، ١٧٦
إن يعدُّ	الخطب	»	٢٣١
أقفر	فالذنوبُ	مخلع البسيط	١٧٢
وكل ذي	لا يؤوبُ	»	١٧٢
يهز الجيش	العقابُ	وافر	١٢٢
بغيرك	الضراب	»	١٢٢
وشيوخ	المشيبا	»	١٥٩
ضروب الناس	حييا	»	١٥٩
فاضمم قواصيمهم	شعاب	»	١٣٥
تقد السلوتيَّ	الحجاب	كامل	٣٢

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
ولو أن دهرًا	عتاب	وافر	١٣٥
وثنية	الأحقبُ	»	٢٥٤
أحسن	والغضبُ	منسرح	١٢١
والشعر	خُطْبُهُ	»	٢٨١
وحققك	يحبّه	طويل	٢٥
علمنا بهذا القول	خُطْبُهُ	»	٢٥
كلفتمونا	كذبه	منسرح	٢٨١
لا تذيلن	تضيب	خفيف	١٤٢
أي مرعى	ملحوب	»	١٤٢

قافية التاء

إن الكرام	سويداواتها	كامل	١٦٧
-----------	------------	------	-----

قافية الحاء

جللاً	الشيخُ	»	١٧٤
-------	--------	---	-----

قافية الدال

ولو لا ثلاثُ	عوّدي	طويل	٢٦
فإن نلت	ورده	»	٥٥
أود	جنده	»	٥٥
هنيئاً لك	وعيداً	»	٩٥
وما قتل	الْيَدَا	»	٩٧
لكل امرئٍ	في العدا	»	١٠٣، ٩٧
سيوفك	التدا	»	١٠٤

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
فلم يبق	النواهد	طويل	١٠٨
عواذل	لماجد	»	٨٠١
تنكسهم	المكايد	»	١٠٩
لخولة أطلال	اليد	»	١١٠
ووضع	الندى	»	١٣٤
ما ابيض	البدر	»	١٣٨
وقيدت نفسي	تَقَيَّدَا	»	١٤٠
لكل امرئ	في العدا	»	١٤٠، ١٣٤
ووضع	الندى	»	١٤٤
إذا شد	مُعْشَدَا	»	١٤٥
لكل امرئ	في العدا	»	١٤٥
ووضع الندى	الندى	»	١٦٠
من القوم	بالجعد	»	١٧٥
يهززن	تبريدا	بسيط	١٢٦
أقلني	الجحود	وافر	١٧٣
لبست	بالصعيد	»	١٨٥
يعز عليّ	العواد	كامل	٩١
لله تيم	جلاد	»	٢٤٨
وهب الدهر	فحسد	رمل	٥٥
من رأى	الأسود	»	١٥٢
لولا ثلاث	العبد	سريع	٢٦

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
وليت يومي	ولا شاهد	منسرح	٥٨
إن كان	عامد	»	٥٩
لا ناقي	مقصوده	»	٢٥٣
حالك اليوم	غدا	خفيف	١٥٨

قافية الرءاء

عجبت	الدهر	طويل	٦٧، ١٢
أما والذي	الأمر	»	٦٧
إذا أنت	البدر	»	١٤٢
وإني لترك	أستيرها	»	١٤٣
قسمت	واتر	»	١٧٨
إلام يراك	المنابر	»	٢٠٤
كنمت	المفانير	»	٢٠٤
تطاول	خواطري	»	٢٠٤
أماوي	بها الصدور	»	٢٥٨
لا بأمن	ينتظر	بسيط	١٥٠
تقول هذا	الزناير	»	١٨٠
أهدى	مطير	مخلع البسيط	١٤٧
طول قنا	بحار	وافر	١١٧
إذا ما أول	انتصار	»	١٣٩
وتكرمت	أذفرا	كامل	٤٢

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
نسقوا	مؤخراً	كامل	١٦٢
باد هواك	أو جرى	»	١٦٢
من مبلغ	والاسكندرا	»	١٦٢
وقبر حرب	قبر	»	١٦٧
لا أنت	الأوطار	»	٢١٣
الكاعب	وفي الحرير	»	٢٦٨
المثل السائر	الدائرا	سريع	٧
لا زلت	فاخِر	»	١٤٥
قل للأُمير	وللحاضر	»	١٤٥
كالقسي	الأوتار	خفيف	٢٢٥
أبكاء	نوار	»	٢٢٥
يترقرقن	البحاري	»	٢٢٥
قافية السين			
وعين لها	أخِر	متقارب	٩٣
أحقا	المجالس	طويل	٢٣٥
قافية العين			
فتى كان	مرتعا	»	١٧٢
أصم بك	بلقعا	»	١٧٢
حنت	معا	»	٢٠٤
وأذكر	تقطعا	»	٢٠٤
نجوم	دوامع	»	٢٢٧
سبول	طوالع	»	٢٢٧
سما بي أوس	ورافع	»	٢٢٧

الصفحة	البحر	القافية	صدر البيت
٢٣٥	طويل	واضِعُهُ	ظننم
٢٦٩	»	الأصابعُ	أليس وراني
٢٦٩	»	والمصانعُ	بلينا
٥٩	كامل	أزما	نفذ القضاء

قافية الفاء

٢١٤	»	أعرف	فما الناسُ
١٦٦	»	ظريفا	ودمائه
١٦٦	»	خفيفا	لك هضبة
١٦٦	»	ظريفا	وحلاوة
١٠٢	»	سُلافُ	أخلاقك

قافية القاف

١١	طويل	محتقٍ	إذا سعت
٥٨	»	الموفق	وما ينصر
٥٨	»	وما بقي	لعينيك
٥٨	»	محتقٍ	إذا سعت
٩٦	»	فَبِئَلَقِ	نودعهم
٩٥	»	وما بقي	لعينيك
١١٩	»	والخلاقي	وما الحسن
١١٩	»	السوابق	تذكرت
٢٥١	»	صديقُ	جلون
٢٥١	»	صديق	دعون الهوى

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
وبت أراني	علوق	طويل	٢٥١
أيارب العباد	ريقي	وافر	٢٤
فصل السيوف	تلتحق	كامل	١١٧

قافية الكاف

وأيا شئت	هلاكا	وافر	٥٩
فدى لك	فداكا	»	٥٩
إن كنت	الفلك	منسرح	٣٣

قافية اللام

فتى	وأباجله	طويل	٤٢
ملأت	حابل	»	٩٧
إذا هت	العواذل	»	٩٧
دروع الملك	ويشاعيل	»	٩٨
وقد سقت	المعاقلا	»	١١٠
إذا قصر	فتطول	»	١١٧
إذا المرء	جميل	»	١١٧
شريك المنايا	غلول	»	١١٩
ليالي	طويل	»	١١٩
طلعتهم	قافلا	»	١٢٤
أرى بين	مواثلا	»	١٢٤
تسيل على	تسيل	»	١٥٩

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
إذا المرء	جميل	طويل	١٥٩
كرّم له	باسل	»	١٦١
أفاطم مهلا	فأجملي	»	١٧١
قفانبك	فَحَوِّمَلْ	»	١٧١
ألا أيها	بأَمْثَلْ	»	١٧٢
ومزناة	شمر دل	»	٢٥٤
قوم	التهليل	»	٢٧٨
وكان لهم غيثاً	فيسائله	»	٢٧٧
فقى وقف	مُسْنُصِلْ	»	٢٧٨
بالقائم	الطَّوَلْ	بسيط	٤١
قال الأقارب	الرجل	»	١٤٢
اختصم	جدال	مخلع البسيط	١٦٥
اختصم	جدال	»	١٧٥
فما بقيا	النِّبَالِ	وافر	١١٤
لو لم تكن	إِقْبَالِهْ	كامل	٥٨، ١١
ما بال	رحيلا	»	٢٧٩
أخليفة	فلولا	»	٢٧٩
قومي	التهليل	»	٢٧٩
قوم على	التهليل	»	٢٧٩
ونثرة	الهلال	رجز	١٤٦

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
من لغا	إبل	رمل	١٤٣
أصل التزر	وصل	سريع	١٤٣
أقسم بالله	مستول	»	٦٠
نطعمهم	نايل	»	٩٦
يا دار	عافل	»	٩٦
يا بدر	يا رجل	منسرح	٢٢٦
ولقد رمت	كلاء	خفيف	١١
إن يكن	الأجلا	»	٥٧
ولقد رمت	كلاء	»	٥٧
والعيان	انتقالا	»	٩٦
كتب القتل	الذيول	»	١٠٧
فأنتهم خوارق	والأبطالا	»	١٢٤
هم يطلبون	يقبل	متقارب	٢٣
هم يطلبون	يقبل	»	٥٨، ١١
أيقده	يشمل	»	٥٨
وملمومة	محمّل	»	١٠٢
أيقده	يشمل	»	١٠٢
أيقده	يشمل	»	١١١
فدى الدار	الحايل	»	١١٢
إلام	للعافل	»	١١٢

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
قافية الميم			
بناها فأعلى	متلاطم	طويل	٢٧
أذاق الغواني	الصَّرم	»	٩٢
ملامي النوى	المقم	طويل	٩٢
تقبل أفواه	و بر اجمه	»	٩٩
وفاؤ كما	ساجمه	»	٩٩
بناها فأعلى	مُتلاطم	»	١٠٠
على قدر	المكارم	»	١٠٠
أتوك يجرّون	قوائم	»	١٠٣
وما ضرها	والقوائم	»	١٠٣
على قدر	المكارم	»	١٠٣
ديار لها	معصما	»	١١٠
أمن	فالنتلم	»	١١٠
أما إنه	اللهازم	»	١١٣
وتجهل	باتكلم	»	١١٤
تباري	وأدّهم	»	١١٤
وأحسن	شائمه	»	١١٥
وفاؤ كما	ساجمه	»	١١٦
له عسكرا	ججاجمه	»	١٢٠
وفاؤ كما	ساجمه	»	١٢٠
ولو غبت	خِتام	»	١٢٦

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
ولا تجعل	للقوادم	طويل	١٣٥
لذي الحلم	ليعلم	»	١٣٧، ١٣٦
له يوم	أنعم	»	١٦١
فأما الليالي	وتندم	»	١٦٢
ألم يأن	ناظم	»	١٧١
إذا كان	متيم	»	١٧١، ١١٤
ألم يأن	ناظم	»	١٧١
طلوع الثنايا	يقدم	»	٢٥٢
عقبى اليمين	القسم	بسيط	٩٦
يا أعدل	والحكم	»	١٠٢
وفي أكفهم	تضطرم	»	١٠٥
عقبى اليمين	القسم	»	١٠٥
هذا عتابك	كليم	»	١٠٦
وأحر قلباه	سقم	»	١٠٢
إن المعالي	بفضج دم	»	١٢٨
تنافس	بأعوام	»	١٦١
واحر قلباه	سقم	»	١٠٦
إذا قالت	حذام	وافر	١٣٦
لهوى	أسلم	»	١٥٩
أظن	الرسوم	»	١٧٥
قبيل	الهوام	»	٢١٣

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
ولم أر	مقام	وافر	٢٦٢
أعطيتي دية	قديم	كامل	٩٢
أستقي طولهم	ونعيم	»	٩٢
لا يسلم	الدم	كامل	١٠٤
لهوى النفوس	أني أسلم	»	١٠٤
هذا الحلال	لتحامه	»	١٣٣
أولا	زمامه	»	١٣٣
لا يسلم	الدم	»	١٥٩
لا تنه	عظيم	»	١٦٠
حسدوا	وخصوم	»	١٦٠
للغانيات	قديم	»	١٦٠
يتجنب	آثام	»	٢٥٤
وأرضك	حلم	متقارب	١١٠
وما مزيد	تلتطم	»	٢٧٨

قافية النون

فما لك	سنان	طويل	١٠
لمن طلل	جون	»	٤٢
ولي عهد	خدين	»	٤٢
فما لك	سنان	»	٥٦، ٨
ضمت	شفياني	»	١٠٠
فأصبحت	وعاجن	»	٢٥٩

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
سُنَّةٌ	فاستكن	مديد	٢٥٦
وإن دعوت	فادعينا	بسيط	٤٠
إنا محبوك	سقيننا	بسيط	٤٠
ليس الشفيع	عربانا	»	١٠٧
قد علم	أحرانا	»	١٧٢
أنا ابن جلا	تعرفوني	وافر	١٣٧، ١٣٦
مغاني	الزمان	»	١٧٢
فلو أني	المدان	»	٢٣٨
يا خير	الميمون	كامل	٤١
إن السيوف	الجمعان	»	١٠٦
الرأي قبل	الثاني	»	١١٨، ١٠٦
من شروط	المكان	خفيف	١٧١

قافية الهاء

أهلا	خردها	منسرح	٢٥٢
لا ناقي	أجهدها	»	٢٥٢

قافية الياء

أترجو	وراثيا	طويل	٢٦٩
ما مقامي	حمي	خفيف	٩٨

خامساً : فهرس أنصاف الأبيات

صدر البيت	القافية	البحر	الصفحة
منازل	ربوعها	طويل	٤٥
متى أنت	ذاهل	»	٥٠، ٢٥
تطل الطلول	موقف	»	
فتعركم	بئناها	»	
يهيج	صغارها	»	
سرى	المتخابل	»	
ألا أيها	انجل	»	
قفا نبك	ومتل	»	
وإن كنت	فأجملي	»	
أمن	ومصيف	»	
ولو سكتوا	الحقائبُ	»	٦
ولا رهل	وبأدله	»	
ألم تر	المبكر	»	٢٨
إن لم تكن	نصال	كامل	٢٧
عند الصباح	السُّرى	»	١٣٠
أنا	شعري	رجز	٢١٠
حسم	الأعادي	خفيف	٢٨٠

سادساً : فهرس الأعلام*

(ابن أثير الجزيرة = نصير الدين بن عماد
الموصلي)، ٣٠.

(١)

ابن الأعرابي : ١٣٦، ١٣٧، ١٤٧.

آدم (عليه السلام) : ٢٢٤، ٢٣٩، ٢٤٥.

ابن الباقلاني : ٢٧٦.

إبراهيم الخليل (عليه السلام) : ٦٢، ٢٦١.

ابن جنبل : ٢٣٥.

إبراهيم بن سيار بن هانيء البصري =
النظام : ٨٩.

ابن السكيت : ١٤٣، ٢١٧.

ابن سنان الخفاجي : ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨.

إبراهيم بن عبد الله بن حسن : ١٣٥.

ابن سينا = أبو علي : ١٧٩، ١٨٠.

إبراهيم بن علي بن سلمة : ١٦١.

ابن العلقمي = مؤيد الدين محمود بن
العلقمي.

ابن أبي الحديد = عز الدين عبد الحميد
ابن هبة الله بن محمد بن الحسين : ٥، ٧، [٢١ - ٢٦].

ابن العميد = أبو الفضل عماد بن
العميد.

ابن أبي الحديد = موفق الدين أحمد ابن
هبة الله : ٧، ٢١، ٢٢.

ابن قتيبة : ١١٧.

ابن الأثير (ضياء الدين) : ٥، ٧، ٩، ١٠، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٧.

ابن الكلبي = هشام : ١٣٦، ١٣٧.

(٥) خضضنا لأعلام الشعراء الفهرس التالي.

أبو سعيد = محمد بن يوسف : ١٤٥ ،
١٦٦ .

أبو سهل = سعيد بن عبد الله الإنطاكي :
١٧٢ .

أبو شجاع = عضد الدولة : ٥٩ .

أبو عبد الله البصري : ١٩٧ .

أبو عبيدة = معمر بن المثنى : ١٣٩ ، ٢٧٩ .

أبو عثمان = عمرو بن بحر الجاحظ .

أبو علي = ابن سينا .

أبو علي الفارسي = ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،
٢٠٨ ، ٢٠٩ .

أبو عمرو = الحباب بن المنذر الأنصاري .

أبو الفتح = عثمان بن جني : ١٤ ، ٥٧ ،
١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،
١٩٦ ، ٢٥٢ ، ٢٥٨ ، ٢٧٦ .

أبو الفضل = محمد بن العميد : ١٦٢ ،
١٦٨ .

أبو كبير الهزلي : ٦٧ .

أبو محمد = ابن الخشاب : ٨٤ .

أبو مخلد : ٦١ .

أبو موسى الأشعري : ٢٤ .

أبو نصر محمد بن حيد الطائي : ١٧٢ .

ابن المقفع = عبد الله بن المقفع : ٢٥ ،
٣٦ .

ابن المنصور : ٢٨٤ .

ابن نوبخت : ٢٣ .

أبو إسحاق الصابي = إبراهيم بن هلال
بن زهرون : ١٦٨ ، ١٧٠ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،
٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ،
٢٨٨ .

أبو إسحاق = إبراهيم بن يحيى بن
عثمان : ١٥٢ .

أبو إسحاق الشيرازي : ٢٧٦ .

أبو بكر الصديق : ٥٠ ، ١٣٤ ، ١٦٢ .

أبو جعفر بن حيد : ٢٢٥ .

أبو جعفر = المنصور المستنصر بالله بن
الظاهر : ١١ .

أبو حجاب : ٣٢ .

أبو الحسن = الأخفش : ٤٠ .

أبو الحسن = علي بن إسماعيل الأشعري :
٢٣ ، ٢٤ .

أبو حنيفة (الإمام) : ٢٦٩ .

أبو دلف = القاسم بن عيسى العجلي :
١٧٧ .

أبو زكريا : ٤١ .

- أبو هلال العسكري : ٨٤ .
أبو الهيجاء : ٩٥ .
الأثرمان : ٢٢٧ .
أحمد بن أبي دؤاد : ١٧١ .
أحمد بن محمد بن أبي المعالي القوطي : ٢١ .
أردشير بن بابك : ١٤٠ .
أرسطاليس : ١٦٢ .
الأزهري : ٢٥٥ ، ٢٧٦ .
إسحاق (عليه السلام) : ٦٢ ، ٦٣ ، ٢٢٩ .
إسحاق بن إبراهيم بن كيقطن : ١٥٩ .
إسحاق بن أبي ربيع : ١٣٣ .
إسرافيل : ٦١ .
الإسكندر : ٦٢ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .
إسماعيل (عليه السلام) : ٦٢ .
إسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق : ٧٤ ، ١٠٣ .
الأشعري = أبو الحسن علي بن إسماعيل .
الأصمعي : ١٣٧ .
أفلاطون : ٥٦ .
إقليدس : ٢٨٢ .
الأمدي : ١٦١ .
الأمين = محمد الأمين : ٤٢ .
الأنباري : ١١٧ .
أنجشة : ٢٧١ .
أوس بن حارثة الطائي : ٢٢٧ .
(ب)
بدر : ٢٢٦ .
برزويه : ١١٦ .
بطليموس : ١٦٢ .
بلقيس : ٢٥٧ .
بهرام جور بن يزدجرد : ١٠٣ .
البيهقي : ١٢٦ .
(ت)
تاج الدين علي بن أنجب : ٢٢ .
توقلس (القائد الرومي) : ٢٣١ .
(ث)
ثعلب = أحمد بن يحيى : ١١٧ ، ٢٧٦ .

(ج)

المحافظ : أبو عثمان عمرو بن بحر :
٣٧ ، ٦٠ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٦٨ .

جالينوس : ٦٦ .

جيريل : ٦١ .

جذيمة الأبوش : ١٩٧ .

الجويني : ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(ح)

حاتم الطائي : ٢٢٨ ، ٢٥٨ .

الحارث بن سليل الأسدي : ١٣٢ .

الحارث بن كعب : ١١٦ .

الحباب بن المنذر الأنصاري : ٥٠ ، ٥١ .

الحجاج بن يوسف : ١٢٦ ، ١٥٠ ،
٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

حزام : ١٣٦ .

الحسن بن علي : ١٠٠ .

الحسن بن محمد الصباح : ٧٤ .

الحسين بن إسحاق التنوخي : ٩٢ .

الحسين بن علي : ٩١ ، ١٠٠ .

حفص بن عمر الأزدي : ١٧٥ .

حواء : ٢٢٩ .

(خ)

خالد بن الوليد : ٦٤ ، ٦٥ ، ١٣٤ .

الخفاجي = ابن سنان .

خوات بن جبير الأنصاري : ٤٩ .

خولة : ١٠٩ ، ١١٠ .

(د)

داود (عليه السلام) : ٤٢ ، ٩٦ .

داود الظاهري الأصفهاني : ٨٩ .

الدعاء بنت المنذر : ١٥ .

(ذ)

ذات النحيين : ٤٩ .

(ر)

رافع بن عميرة بن جابر الطائي : ١٣٤ ،
٢٢٨ .

ركن الدولة الحسن بن بويه : ١٦٨ .

رَيا : ٢٠٤ .

(ز)

الزُّبَاء : ١٣٢ ، ١٤٦ ، ١٩٧ .

الزبير بن العوام : ٤٧ .

زكريا (عليه السلام) : ٢٤٠ .

١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧،
١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٦، ١١٧، ١١٨،
١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٣٤،
١٤٠، ١٤٥، ١٧١.

(ش)

الشافعي (الإمام) : ١٢٦، ١٩٠، ٢٦٩.
شقّ (الكاهن) : ٢٤٨.

(ص)

الصابي = أبو إسحاق إبراهيم بن هلال
بن زهرون.
صلاح الدين الأيوبي: ٢٠١.
صلاح الدين الصفدي : ٢٥.

(ض)

ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن
مضر: ١١٦.

ضياء الدين الخالدي المقدسي : ٢٦٩.

(ط)

الطوائع لله (الخليفة العباسي) : ٢٧٥،
٢٧٦.

طلحة بن عبيد الله : ٤٧.

طه (سورة) : ١٥٥، ١٥٧، ٢٣٩، ٢٤٥.

(ع)

عامر بن الظرب العدواني : ١٣٦، ١٣٧.

الزغشري : جاز الله محمود بن عمر :
٢٠٩، ٢١٢، ٢١٣، ٢٣٠.

زياد بن أبي سفيان : ١٤، ٣٨.

زيد القنا : ٢٢٧.

زينب بنت الطثرية : ٤٣.

زينب : ٢٢٥.

(س)

سبكتكين الحاجب : ٢٧٥، ٢٧٦.

سحبان وائل : ١٤، ٣٧.

سطيح (الكاهن) : ٢٤٨.

سعد بن الضياف : ٢٨٤.

السعد التفتازاني : ٣٣.

سقراط : ٥٦.

سليمان (عليه السلام) : ٤٢، ٢٥٧.

سليمان بن وهب : ١٤٢.

سيبويه : ٤٠.

السيد الحميري : ٦٠.

السيد المرتضى : ٢٣، ٢٠٥.

السيرافي : ٢٧٦.

سيف الدولة بن حمدان : ٥٦، ٥٧.

٥٨، ٦٠، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩.

عضد الدولة أبو شجاع : ٥٩ ، ١٦٨ ،
١٧٢ ، ٢٧٥ .

عفراء : ١٠٠ .

علقمة بن خصفة الطائي : ١٣٢ .

علي بن أبي طالب : ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٧ ،
٤٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٤ ، ١١٠ ، ١٣٩ ،
٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٤٨ .

علي بن محمد بن سيار بن مكرم التيمي :
١٥٩ .

عمر بن الخطاب : ٥٠ ، ١٠٦ ، ١٤٧ .

عمران : ٦٣ .

عمر بن العاص : ١٠٦ .

عيسى (عليه السلام) : ١٣٦ .

(غ)

الغزالي = أبو حامد : ٢٣ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ،
١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(ف)

الفتكين : ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

فخر الدين (الإمام) : ٢٣ .

الفضل بن الربيع : ١٧٣ .

فناخسرو : ٥٩ .

عائشة (رضي الله عنها) : ٤٧ ، ١٣٩ .

عبد الله بن سلام : ٢٧١ .

عبد الله بن سلم السهمي : ٦٧ .

عبد الله بن عباس : ٣٧ .

عبد الله بن المقفع : ٤٦ .

عبد الحميد بن يحيى (الكاتب) : ١٣ ،
١٤٧ ، ٤٦ .

عبد الرحيم بن علي اليبساني = القاضي
الفاضل : ٥٠ ، ٥١ ، ٢٠١ .

عبد المسيح بن بقلية : ٦٤ ، ٦٥ ، ٢٤٨ .

عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي :
١٥٨ .

عبد الملك بن مروان : ٢٧٨ .

عبيد الله بن سليمان بن وهب : ٢٨٤ .

عتيبة بن الحارث بن شهاب : ١٧٨ .

عثمان بن عفان : ٦٣ ، ٦٤ .

عز الدولة بن بختيار بن معز الدولة بن
بويه أبو منصور : ١٦٨ ، ٢٧٥ .

عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن
محمد بن الحسين = ابن أبي الحديد .

العزير نزار بن معد : ٢٧٦ .

(ق)

القاسم بن عبيد الله : ٢٨٤ .

القاضي الفاضل = عبد الرحيم بن علي
البيساني .

قس بن ساعدة : ١٤ ، ٣٧ .

قطري بن الفجاءة : ٩٨ .

(ك)

كافور الأخشيدي : ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ٥٥ ،
٥٦ ، ٦٠ .

الكسائي : ٤٠ .

كسرى : ٤٧ .

(ل)

لجيم بن صعب : ١٣٦ .

لقمان : ٧٣ .

(م)

مالك بن طوق التغلبي : ١٣٥ ، ٢٨٣ .

الماوردي : ٢٧٦ .

المشوكل بن نهشل بن مسافع الليثي :
١٦١ .

محمد (صلى الله عليه وسلم) : ٢٩ ،

٣٤ ، ٤٠ ، ٧٥ ، ١٣٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،

٢٨٦ .

محمد الأمين : ٤١ .

محمد بن عبد الملك الزيات : ٤٥ .

محمد بن عبيد الله العلوي : ٢٥٣ .

محمد بن الهيثم بن شبانة : ٩٢ .

محمد بن يوسف : ١٢٢ .

المرزوقي : ٤٣ ، ١٥٩ .

المرزباني : ١٦١ .

مروان بن محمد : ٤٦ .

مريم : ١٥٨ ، ٢٠٣ ، ٢٤٤ .

مساور بن محمد الرومي : ١٧٤ .

المستعصم بالله : ٢٢ .

المستنصر بالله : ٧ .

المسيح (عليه السلام) : ٦٤ .

المطيع لله : ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

معاوية بن أبي سفيان : ١٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ،
٤٧ .

العتصم : ١٧٤ ، ٢٣١ .

العتضد : ٢٨٤ .

معر الدولة : ٥٥ ، ٢٧٥ .

المفضل الضبي : ١٣٤ .

- المكتفي : ٢٨٤ .
 المنصور = أبو جعفر : ١٦١ .
 موسى (عليه السلام) : ٦٣ .
 موفق الدين أحمد بن أبي الحديد : ٧ ، ٢٢ ، ٢١ .
 مؤيد الدين أبو المعالي : ٢٢ .
 مؤيد الدين محمود بن العلقمي : ٢٢ ، ٢٤ .
 الميرزا محمد الشيرازي : ٨ .
 ميكال : ٦١ .
 (ن)
 نصير الدين الطوسي : ٢٢ .
 نصير الدين محمد الموصلي = ابن الأثير : ٣٠ .
 التَّظَام = إبراهيم بن سيار بن هانيء : ٨٩ .
 النعمان بن المنذر : ١١١ ، ١٥٢ .
 نورا : ٢٢٥ .
 نوح (عليه السلام) : ٤٠ ، ٧٦ ، ١٦٣ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .
 (ه)
 هارون (الرشيد) : ٤٢ .
 هشام = ابن الكلبي : ٤٠ ، ١٣٧ .
 هود (عليه السلام) : ١٦٧ ، ٢٣٧ .
 هولاء : ٢٢ .
 الميثم بن الربيع : ٦١ .
 (و)
 وهشودان : ٥٩ .
 (ي)
 يحيى بن زكريا (عليه السلام) : ٢٤٠ .
 يزيد بن معاوية : ١٦٠ .
 يس (سورة) : ٢٥٢ .
 يعقوب (عليه السلام) : ١٤٣ — ٢٢٩ .
 يوسف (عليه السلام) : ٨١ ، ١٥٨ ، ٢١٨ ، ٢٥٦ .

سابعًا : فهرس الشعراء

أبو الطيب المتنبي : ١٠ ، ١١ ، ٤٢ ، ٥٤ ،
٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١١٠ ،
١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٦٣ ، ٢٢٦ ، ٢٥٣ ، ٢٨٤ .

أبو عبادة = البحري .

أبو العتاهية : ٣٣ .

أبو القاسم محمد بن هانيء الأزدي .

أبو كبير الهذلي : ٦٧ .

أبو نواس : ٣٩ ، ٤١ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ،
١٧٤ ، ٢٥٦ .

الأبيوردي : ١٧٩ .

الأخطل : ١٦١ .

الأخنس بن شهاب بن شريق التغلبي :
١١٧ .

الأعشى : ٢٧٨ .

أعشى باهلة : ١٥٠ .

امرؤ القيس : ٩٢ ، ٩٦ ، ١٧١ ، ١٧٢ ،
٢٨٤ .

(أ)

ابن المنصور : ٢٨٤ .

ابن هانيء : ٥٥ ، ١٦٣ .

ابن هرمة : ١٦١ .

ابن هند : ١٠٤ .

أبو الأسود الدؤلي : ١٦٠ ، ١٦١ .

أبو تمام : ١٣ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٩٢ ، ١٣٣ ،

١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٦٦ ،

١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٢١٣ ،

٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٥٤ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ،

٢٨٤ .

أبو الحسن علي بن الحسن الباخري :
١٢٦ .

أبو حية النخيري : ١١٣ .

أبو ذؤابة الأسدي = ربيعة بن عبد الله
بن سعد بن جذيمة .

أبو صخر الهذلي : ١٢ ، ٦٦ ، ٦٧ .

(ب)

الباخرزي = أبو الحسن علي بن الحسن.

البحثري : أبو عبادة : ١١٠، ١٢٣،

١٤٣، ٢٢٥، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٤.

بشار بن برد : ١٣٥.

بشامة بن جزء : ٤٠.

(ج)

جرير : ٢٥١.

(ح)

الحجاج بن يوسف الثقفي : ١٧٢.

حسان بن ثابت : ١٦١، ٢٣٥.

الحيص بيص : ٢٠٤، ٢٠٥.

(د)

ديك الجن = عبد السلام بن رغبان :

١٤٨.

(ر)

الراعي = عبيد بن حصين بن معاوية بن

جندل : ٢٧٨.

ربيعة بن عبيد بن سعد : ١٧٨.

رؤبة : ٢٥٦.

(ز)

زهير بن أبي سلمى : ١١٠، ١٢٥.

زينب بنت الطثرية : ٤٣.

(س)

سحيم بن وثيل الرياحي : ١٣٦.

السموئل بن عاديا : ١٣٠، ١٥٩.

السيد الحميري : ٦٠.

(ش)

شبيب بن البرصاء : ١٤٣.

الشریف الرضي أبو الحسن محمد بن

الحسين : ٩١، ٩٧.

(ص)

صلاح الدين الصفدي : ٢٥.

الصمة القشيري : ٢٠٤، ٢٠٥.

(ض)

ضرار بن الخطاب الفهري : ١١٧.

(ط)

طرفة بن العبد : ٢٦، ١١٠.

الطرماح بن حكيم الطائي : ٩٧، ١٤٩،

١٦١.

(ع)

عامر بن الحارث بن رباح : ١٥٠.

عبد السلام بن رغبان = ديك الجرن.

عبيد بن الأبرص : ١٧٢.

عبيد بن حصين بن جندل : ٢٧٨.

عثمان بن محمد الكلبي الأشهي : ١٥٢.

العجر السلولي : ٢٥٢.

عروة بن حزام : ١٠٠.

علي بن جبلة : ٢٧٧، ٢٧٨.

عمر بن أبي ربيعة : ١٠٧.

عمرو بن الإطناية : ٤٧، ٥٩.

(غ)

الغزي = أبو إسحاق : ١٥٢.

(ق)

قطري بن الفجاءة : ٩٨، ١٥٩.

قيس بن الخطيم : ١١٧.

(ك)

كعب بن مالك الأنصاري : ١١٧.

الكيمت : ٩٧.

(ل)

ليبد بن ربيعة : ٢٦٩.

(م)

المتمس : ١٣٦.

المتني = أبو الطيب.

المتوكل بن عبد الله الليثي^(١) : ١٦٠، ١٦١.

محمد بن وهيب : ١٧٨.

المنتشر بن وهب الباهلي : ١٥٠.

المنخل الشكري : ٢٦٨.

(ن)

النابعة الذبياني : ٣٢، ١٥٢.

نهل بن حري : ١٤٢.

(هـ)

الهيم بن الربيع : ٦١.

(١) وورد في صفحة ١٦١ المتوكل بن نهل بن مسافع الليثي.

مراجع التحقيق

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - أخبار أبي تمام : الصولي . تحقيق الأستاذة : خليل عساكر ، ومحمد عبده عزام ، ونظير الإسلام الهندي . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .
- ٣ - الأغاني : الأصفهاني . طبعة السامي وطبعة دار الكتب المصرية .
- ٤ - الأسمعيات : تحقيق : أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون . دار المعارف بمصر .
- ٥ - الأمالي : القالي . طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ .
- ٦ - أمالي الشريف المرتضى : مطبعة السعادة ١٣٠٥ هـ .
- ٧ - البداية والنهاية : ابن كثير . مطبعة السعادة بمصر ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م .
- ٨ - البيان والتبيين : الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون .
- ٩ - تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي . مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م .
- ١٠ - تاريخ الرسل والملوك : الطبري . المطبعة الحسينية بالقاهرة .
- ١١ - تأويل مشكل القرآن : ابن قتبية . تحقيق سيد أحمد صقر .
- ١٢ - الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور : ابن الأثير . تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد . مطبعة المجمع العلمي العراقي .

- ١٣ - جواهر الألفاظ : قدامة بن جعفر . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٣٢ م .
- ١٤ - خزانة الأدب : البغدادى . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
- ١٥ - الخصائص : ابن جني . مطبعة الهلال بمصر ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م .
- ١٦ - دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني . مطبعة المنار بمصر ١٢٣١ هـ .
- ١٧ - ديوان ابن الرومي :
- (١) شرح محمد شريف سليم . مطبعة الهلال ١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م .
- (٢) طبعة كامل كيلاني ، وعبد الرحمن خليفة .
- ١٨ - ديوان ابن نباتة : نشر محمد القلقيلي .
- ١٩ - ديوان أبي تمام :
- (١) بشرح الخطيب التبريزي : تحقيق الدكتور محمد عبده عزام
مطبعة دار المعارف .
- (٢) طبعة صبيح .
- (٣) طبعة محمد جمال .
- ٢٠ - ديوان أبي نواس :
- (١) تحقيق أحمد الغزالي مطبعة مصر ١٩٣٥ م .
- (٢) طبعة المطبعة العمومية بالقاهرة ١٨٩٨ م .
- ٢١ - ديوان الأخطل : تحقيق الأب أنطون صالحاني .
- ٢٢ - ديوان الأعشى الكبير . تحقيق محمد حسين . النموذجية بالقاهرة ١٩٥٠ م .
- ٢٣ - ديوان امرئ القيس . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف .

- ٢٤ — ديوان أمية بن أبي الصلت : المطبعة الوطنية ببيروت .
- ٢٥ — ديوان البحرني : مطبعة هندية بمصر ١٣٢٩ هـ — ١٩١١ م .
- ٢٦ — ديوان جرير : نشر عبد الله الصاوي . مطبعة الصاوي بمصر .
- ٢٧ — ديوان جميل : تحقيق بطرس البستاني . مكتبة صادر ببيروت .
- ٢٨ — ديوان حسان بن ثابت : تحقيق عبد الرحمن البرقوقي . المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٩ م .
- ٢٩ — ديوان الخطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني : تحقيق نعمان طه .
- ٣٠ — ديوان الحجاسة لأبي تمام . شرح المرزوقي : تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون : مطبعة لجنة التأليف ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م .
- ٣١ — ديوان ذي الرمة : المكتبة الأهلية ١٩٣٤ م .
- ٣٢ — ديوان سقط الزند : بشرح التنوير : المطبعة التجارية الكبرى .
- ٣٣ — ديوان الشريف الرضي :
- (١) المطبعة الأدبية ببيروت ١٣٠٩ هـ
- (٢) مطبعة الحلبي بمصر .
- ٣٤ — ديوان الصولي .
- ٣٥ — ديوان العباس بن الأحنف : طبعة الجوائب ١٢٩٧ هـ .
- ٣٦ — ديوان عمر بن أبي ربيعة : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر .
- ٣٧ — ديوان عنترة بن شداد : تحقيق : عبد المنعم شلبي وإبراهيم الإياري .

- ٣٨ — ديوان الفرزدق : نشره عبد الله الصاوي . مطبعة الصاوي بمصر .
- ٣٩ — ديوان القاضي الأرجاني : طبعة بيروت .
- ٤٠ — ديوان كثير عزة : طبعة الجزائر .
- ٤١ — ديوان المتنبي : بشرح عبد الرحمن البرقوقي . الطبعة الثانية .
- ٤٢ — ديوان مسلم بن الوليد : تحقيق الدكتور سامي الدهان . دار المعارف بمصر .
- ٤٣ — ديوان المعاني : أبو هلال العسكري ، القاهرة حسام الدين القدسي ،
١٣٥٢ هـ .
- ٤٤ — ديوان مهيार الديلمي : دار الكتب بمصر ١٣٤٩ هـ — ١٩٣٠ م
- ٤٥ — ديوان النابعة الذبياني :
(١) طبعة مصر ١٩٠٠ م .
(٢) ضمن مجموعة دواوين طبعة المطبعة الأهلية ببيروت .
- ٤٦ — رسائل ابن الأثير : تحقيق أنيس المقدسي . بيروت ١٩٥٩ م .
- ٤٧ — زهر الآداب : للحصري . تحقيق علي البجاوي . مطبعة الحلبي
١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م .
- ٤٨ — سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي . تحقيق علي فودة . المطبعة
الرحمانية ١٣٥٠ هـ — ١٩٣٢ م .
- ٤٩ — سيرة ابن هشام . تحقيق : مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبياري ،
وعبد الحفيظ شليبي .
- ٥٠ — شذرات الذهب في أخبار من ذهب . ابن العماد الحنبلي . القدسي
١٣٥٠ هـ .
- ٥١ — الشعر والشعراء . ابن قتيبة :

- (١) تحقيق أحمد شاكر . مطبعة الحلبي ١٣٧٠ هـ .
- (٢) طبعة الحلوجي ١٣٣٢ هـ .
- ٥٢ - صبح الأعشى : القلقشندي . مطبعة دار الكتب المصرية .
- ٥٣ - صحيح البخاري : مطبعة الحلبي ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م .
- ٥٤ - الصناعتين : أبو هلال العسكري . تحقيق على البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم .
- ٥٥ - طبقات الشعراء : ابن سلام . تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر . مطبعة دار المعارف بمصر .
- ٥٦ - طبقات الشعراء : ابن المعتز . تحقيق الأستاذ عبد الستار فراج . دار المعارف .
- ٥٧ - العقد الفريد : ابن عبد ربه . تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤١ - ١٩٤٩ م .
- ٥٨ - فوات الوفيات : ابن شاكر . تحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة بمصر ١٩٥١ م .
- ٥٩ - القاموس المحيط : الفيروزآبادي . المطبعة الحسينية بمصر ١٣٤٤ هـ .
- ٦٠ - الكامل في التاريخ : ابن الأثير . إدارة الطباعة المنيرية بمصر ١٣٥٣ هـ .
- ٦١ - اللباب في الأنساب : ابن الأثير . القدسي ١٣٥٧ هـ .
- ٦٢ - لزوم مالا يلزم : أبو العلاء المعري ، مطبعة الشريين الأدبية بمصر ، ١٩٣٠ م .

- ٦٣ — لسان العرب : ابن منظور . المطبعة الأميرية ، ١٣٠٠ — ١٣٠٧ هـ .
- ٦٤ — مجمع الأمثال : الميداني . المطبعة الخيرية بالقاهرة ١٣١٠ هـ .
- ٦٥ — المختار من رسائل أبي إسحاق الصابي : المطبعة العثمانية بلبنان ، ١٨٩٨ م .
- ٦٦ — مروج الذهب : المسعودي . المطبعة البهية المصرية ١٣٤٦ هـ .
- ٦٧ — معاهد التنصيص على شواهد التلخيص . العباسي . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة بمصر .
- ٦٨ — معجم الأدباء : ياقوت . طبعة (دار المأمون) بالقاهرة ١٣٥٥ هـ .
- ٦٩ — معجم البلدان : ياقوت . طبعة القاهرة ١٣٣٣ هـ .
- ٧٠ — مقامات الحريري : المطبعة الحسينية بمصر ١٣٤٨ هـ — ١٩٢٩ م .
- ٧١ — الموازنة بين أبي تمام والبحري : الآمدي . دار المعارف بمصر ١٩٦١ م .
- ٧٢ — الموشح : المرزباني . السلفية ١٣٤٣ هـ .
- ٧٣ — نزهة الألباء في طبقات الأدباء : الأنباري . طبع جمعية إحياء مآثر العرب .
- ٧٤ — النقاظ : رواية أبي عبيدة . ليون ١٩٠٥ م .
- ٧٥ — النهاية : ابن الأثير . مطبعة عثمان عبد الرازق بمصر ، ١٣١١ هـ .
- ٧٦ — الهاشميات : الكميث . مطبعة شركة التمدن ١٣٣٠ هـ .
- ٧٧ — الوساطة بين المتنبي وخصومه : علي بن عبد العزيز الجرجاني . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي .
- ٧٨ — وفيات الأعيان . ابن خلكان : المطبعة الميمنية بالقاهرة ١٣١٠ هـ .
- ٨٩ — يتيمة الدهر : الثعالبي . مطبعة الصاوي بالقاهرة ١٩٣٥ م .

فهرس الموضوعات

الموضوع	صفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٥
كتاب الفلك الدائر علي المثل السائر	٧
الطابع العام لنقد ابن أبي الحديد	٩
نماذج من الأصل	١٧
ابن أبي الحديد	٢١
حياته	٢١
مؤلفاته	٢٢
شعره	٢٣
خطبة الكتاب	٢٩
مقدمة ابن أبي الحديد	٢١

المسائل التي عرض لها :

التعبير عن الحمد	٣٣
تعليم البيان	٣٣
عطف الفعل على الاسم	٣٤
ادعاء فضيلة الإحسان	٣٤
موضوع علم النحو	٣٥
مفسرو الأشعار	٣٦

الموضوع	صفحة
علاقة الأدب بالعلوم	٣٧
أثر العلامة الإعرابية في فهم المعنى	٣٨
تصغير الاسم الخجاسي	٣٨
هل غلط أبو نواس في استعمال فُعِلَتي ؟	٣٩
هل غلط أبو تمام في استعمال اطأدت ؟	٤١
هل لحن أبو نواس في المستثنى ؟	٤١
هل خفي على المتنبي الجمع في حال التثنية ؟	٤٢
الحاجة إلى الإدغام	٤٣
الترادف	٤٣
الاشتراك	٤٤
علاقة المشترك بالتجنيس	٤٤
هل في القرآن كلمات مشتركة ؟	٤٧
هل الأسماء المشتركة من وضع قبائل مختلفة ؟	٤٨
حد المثل	٤٩
بين ابن أبي الحديد والقاضي الفاضل	٥٠
فائدة من فوائد معرفة الإدغام	٥٢
تأويل اللفظ في المعنى وضده	٥٢
تفسير بيت للمتنبي	٥٤
تفسير بيت آخر له	٤٨
ما يدل على الشيء وغيره من القرآن الكريم	٦٢
تعبير يدل على الشيء وغيره	٦٣

الموضوع	صفحة
تعبير آخر يدل على الشيء وغيره	٦٤
تعبير من التوراة يحتمل وجهين	٦٥
تعبير لأفلاطون يحتمل وجهين	٦٦
بيت لأبي صخر الهذلي يحتمل وجهين	٦٦
لا علاقة بين الكهانة والوزن	٦٨
الفرق بين الترجيح البياني والترجيح الفقهي	٦٨
وسيلة الترجيح بين الحقيقة والمجاز	٦٩
بيان الترجيح بين الحقيقة والمجاز	٧٠
دلالة القرينة الدقيقة على مراد المتكلم	٧٣
دلالة القرينة المتقدمة على المعنى المراد	٧٥
حد الحقيقة	٧٧
الفرق بين الحقيقة والمجاز اعتماداً على تبادل الأفهام	٧٩
الفرق بينهما جواز الحقيقة على العموم في نظائرها	٨١
هل لكل مجاز حقيقة ؟	٨٢
الفرق بين الفصاحة والبلاغة	٨٣
رأي ابن أبي الحديد في حد الفصاحة	٨٥
هل الفصاحة مختصة بالألفاظ دون المعاني ؟	٨٦
علاقة الفصاحة بالكلام المركب	٨٧
ما معنى الفصيح ؟	٨٨
التدليل والتعليل في علم البيان	٨٩

الموضوع	صفحة
نثر المنظوم	٩٠
أمثلة من كلام ابن الأثير	٩١
أمثلة من كلام ابن أبي الحديد	٩٤
فصل في التهئة بعيد	٩٤
فصل في لقاء عدو	٩٥
فصل في وصف منهزم	٩٦
فصل في الصفح عن الجرائم	٩٧
فصل في ذكر المراسلة	٩٨
فصل	٩٨
فصل	٩٩
فصل في ذكر معقل	٩٩
مثال من كلام ابن الأثير في حل بيتين	١٠٠
فصل من كلام ابن أبي الحديد	١٠١
فصل في صفة جيش	١٠٢
فصل	١٠٣
فصل في نثر للمتنبي	١٠٤
فصل في صفة السيوف	١٠٥
فصل	١٠٦
فصل في العتاب	١٠٦
فصل في ذكر السبابا	١٠٧

الموضوع	صفحة
فصل في ثر بيت للمتنبي	١٠٨
فصل	١٠٩
فصل	١١١
فصل	١١٢
فصل	١١٣
فصل في حل بيت للمتنبي	١١٤
فسطاط مصوّر	١١٥
فصل	١١٦
فصل	١١٧
فصل	١١٨
فصل	١١٩
فصل في هيئة عسكر	١٢٠
فصل	١٢٠
فصل في ذكر الدنيا	١٢١
فصل	١٢٢
فصل في صفة الخيل	١٢٣
الترصيع بالآيات القرآنية وغيرها	١٢٤
أمثلة من كلام ابن أبي الحديد	١٢٤
تباعد مخارج حروف اللفظة	١٦٣
أنماط متقاربة المخارج وهي غير مستقبحة	١٦٤

الموضوع	صفحة
هل الظرف يختص باللسان ؟	١٦٦
هل طول اللفظة يقبحها ؟	١٦٦
تكرير المعنى في السجعة الثانية	١٦٨
أنواع التصريح	١٧٠
من أنواع التجنيس	١٧٧
نوع آخر منه	١٧٨
الموازنة	١٧٨
الصناعة المعنوية	١٧٩
العدول عن الحقيقة إلى المجاز	١٨١
بين التشبيه والتوكيد	١٨٣
متى يؤتى بالتوكيد ؟	١٨٤
الاتساع	١٨٥
تقسيم الغزالي للمجاز	١٨٦
القسم الأول: تسمية الشيء باسم ما يشاركه في الخاصية	١٨٧
القسم الثاني: تسمية الشيء باسم ما يشترك إليه	١٨٧
القسم الثالث : تسمية الشيء باسم فرعه	١٨٩
القسم الخامس: تسمية الشيء بما يدعو إليه	١٩٠
القسم السادس: تسمية الشيء باسم مكانه	١٩١
القسم السابع: تسمية الشيء باسم ما يجاوره	١٩١
القسم الثامن: تسمية الشيء باسم جزئه	١٩٢

١٩٣	القسم التاسع: تسمية الشيء باسم ضده
١٩٤	القسم العاشر: تسمية الشيء بفعله
١٩٥	القسم الحادي عشر: تسمية الشيء بكلمة
١٩٧	القسم الثاني عشر: الزيادة في الكلام بغير فائدة
١٩٩	القسم الثالث عشر: تسمية الشيء بحكمه
١٩٩	القسم الرابع عشر: النقصان الذي لا يبطل به المعنى
٢٠١	في شروط بلاغة التشبيه
٢٠٣	التجريد
٢٠٥	حول رأي لأبي علي الفارسي في التجريد
٢٠٦	رد على أبي علي ودفاع عنه
٢٠٦	رد آخر ودفاع
٢٠٧	اعتراض على أبي علي ورد على الاعتراض
٢٠٩	الالتفات
٢١٠	الغرض منه عند الرمحشري
٢١٢	اعتراض على الرمحشري ودفاع عنه
٢١٣	توكيد الضمير المتصل
٢١٤	توكيد المتصل بالمتصل
٢١٥	العام والخاص
٢١٨	الفرق بين (ذهب الله بنورهم) وأذهب الله نورهم
٢٢٠	نفي الجنس

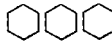
الموضوع	صفحة
في قوله تعالى : (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها)	٢٢٢
في قوله تعالى : (فلا تقل لها أف ولا تنهرها)	٢٢٥
الترقي من الأدنى إلى الأعلى	٢٢٦
بيت لأبي تمام	٢٢٧
تقديم المفعول على الفعل للاختصاص	٢٢٨
آية قرآنية	٢٢٩
اعترض على الزمخشري ودفاع عنه	٢٣٠
آية قرآنية	٢٣١
تقديم خبر المبتدأ للاختصاص	٢٣٢
آية قرآنية	٢٣٤
آية قرآنية	٢٣٥
تقديم الظرف للاختصاص في الإثبات	٢٣٩
تقديم الظرف في النفي قد يكون للتفضيل	٢٤٠
تقديم الحال للاختصاص	٢٤٢
تقديم الاستثناء للاختصاص	٢٤٣
الفاء ليست للفوز بل للتعقيب	٢٤٤
آيات قرآنية	٢٤٥
ألفاظ المبالغة والتكثير	٢٤٧
متى يجوز حمل اللفظة على التضعيف الذي يفيد المبالغة ؟	٢٤٩
هل «علم» أبلغ في المعنى من «علم» ؟	٢٥٠

الموضوع	صفحة
تطويل لا حاجة إليه	٢٥٢
تفسير بيت لأبي تمام	٢٥٤
رواية في بيت لأبي نواس	٢٥٦
تقدير المحذوف في بعض آيات قرآنية	٢٥٧
هل حذف الفاعل لا يجوز ؟	٢٥٨
متى يحذف الفعل ؟	٢٦٠
حذف الفعل قسماً	٢٦٠
ما العامل في البدل ؟	٢٦٢
التكرير	٢٦٢
آية قرآنية	٢٦٣
الغرض من التكرير	٢٦٥
رأى في معنى الواو في قوله تعالى (وسبعة إذا رجعتن)	٢٦٧
آيتان قرآنيتان	٢٦٧
تعليق آخر على آية الصوم	٢٦٧
تعليق ثالث	٢٦٨
عطف المترادفين	٢٦٨
حد الكتابة	٢٦٩
حد الألفاظ والأحاجي	٢٧٣
مناسبة التحميدات لمعاني الكتب السلطانية	٢٧٤
المطابقة	٢٧٧
ترتيب التفسير	٢٧٧

الموضوع	صفحة
نقد الأعشى	٢٧٨
الفرق بين المترسل والشاعر	٢٧٩
الفرق بين الشعراء وموضوعات المترسلين	٢٨٢
الفرق بين الشعراء وموضوعات المترسلين في رأى ابن الأثير	٢٨٥

فهارس الكتاب :

أولا : فهرس الآيات القرآنية	٢٨٩
ثانيا : فهرس الاحاديث النبوية	٢٩٦
ثالثا : فهرس الأمثال	٢٩٧
رابعا : فهرس قوافي الأبيات	٢٩٨
خامسا : فهرس أنصاف الأبيات	٣١٢
سادسا : فهرس الأعلام	٣١٣
سابعا : فهرس الشعراء	٣٢٣
مراجع التحقيق	٣٢٧
فهرس الموضوعات	٣٣٣



عَمَّ مُحَمَّدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
الْفَيْلُوسُوفُ الدُّرُوسِيُّ وَالْمُتَلَكِّمُ السَّائِرُ

الطبعة الثانية



من إصدارات الجديد دار الرفاعي

* الموصوفة في نسب النبي وأصحابه عشرة

موسوعة في الأنساب والتراجم والتاريخ والأدب
تأليف، محمد بن أبي بكر الشهير بالبري وتحقيق الدكتور محمد التونسي

* المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر

أشهر كتاب في صناعة البلاغة والنقد الأدبي
تأليف، ضياء الدين بن الأشير وتحقيق الدكتور أحمد الخوفي
والدكتور بيدوي طيبانه

* الطبقات السنية في تراجم الحنفية

أوسع كتاب في تراجم أتباع الإمام أبي حنيفة
تأليف، تقي الدين التميمي وتحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلوي

* وقرئ بآمع أول معجم من نوعه :

معجم مصنفات القرآن الكريم
تأليف: الدكتور علي شواخ إسحاق

دار الرفاعي

ص.ب. ١٥٩٠ - الرياض ١١٤٤١

ت : ٤٧٧٧٢٦٩



المملكة العربية السعودية - تلفون ٤٧٧٧٢٦٩ - برقياً دار الرفاعي

الرياض } ص.ب ١٥٩٠
الرمز ١١٤٤١ المزل

منشورات دار الرفاعي بالرياض

AL - FARAZDAK PRESS

مطابع الفزاذك التجارية

TEL { 4788510 ALMALZ
4824983 AL-DIRAYAH

تلفون { ٤٧٨٨٥١٠ المزل
٤٨٢٤٩٨٣ الفرعية

P.O. Box: 1798 Riyadh 11441

ص.ب ١٧٩٨ الرياض ١١٤٤١

Saudi Arabia

المملكة العربية السعودية